مجلّة الإكليريكيّة

مجلّة سنويّة تصدرعن الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة– غزير

العدد الحادي والعشرون   كانون الثاني ٢٠٢١

مجلّـــــــــــــة الإكليريكيّـــــــــــــة

مجلّة سنويّة تصدر عن الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة– غزير

مدير التحرير: **الخوري شوقي كرم**

المدير الماليّ: **الخوري بيار جبّور**

التّدقيق اللّغويّ: **أدما طربيه**

العنوان: الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة - غزير

هاتف: ٠٩/٩٢٥٠٠٤-٩٢٦١٠٠-٩٢٠١٥١-٩٢٠١٥٠

فاكس: ٠٩/٩٢٠٥٦٦

البريد الإلكتروني: segspm@gmail.com

Facebook@SPMaronite.ghazir

ملَفّ العدد: الكاهن وسرّ الأَفْخَارَسْتِيَا

الفهرس

الإفتتاحيّة: الكاهن وسرّ الأفخارَسْتِيا: **الخوري شوقي كرم** ٣

الروح القدس والأفخارَسْتِيَا عند مار أفرام قراءة للنشيد العاشر

من أناشيد الإيمان: **المونسنيور جورج أبي سعد** ٧

الأفخارَسْتِيَا سرّ الكنيسة: **المونسنيور أنطوان مخائيل** ١٣

التنشئة الكهنوتيّة: البُعد الأفخارَسْتِي: **الأب ميشال الخوري الرّاهب الأنطوني** ٢٢

الكاهن والأفخارَسْتِيَا: **الخوري سايد مرّون** ٣٠

كيف يستعدّ المؤمن للمشاركة في القدّاس؟ نصائح عمليّة: **الخوري دانيال زغيب** ٤٠

الأفخارَسْتِيَا: عيش السينودسيّة الكنسيّة: **الخوري ريمون باسيل** ٤٧

من أجل فهم أفضل لمفهوم مشاركة المؤمنين

في الاحتفال بالأفخارَسْتِيَا: **الخوري شربل ناصيف** ٥٤

إحتفال الأسقف بالقدّاس في الرعيّة: **الأب هاني مطر ر.م.ل.** ٦٠

الفنّ في خدمة الاحتفال الأفخارَسْتِي: **الأخت أنجال المسنّ الراهبة الأنطونيّة** ٦٩

من أجل عبادة قربانيّة مثمرة: **الخوري شربل شدياق** ٧٤

الأفخارَسْتِيَا وسرّ التوبة: **الخوري بولس مطر**.. ٧٩

الأفخارَسْتِيَا وسرّ الزواج: **الخوري يوسف أبي زيد** ٩١

شتّان بين"تقدمة القرابين" و"أبونا، شو بيتوجّب علينا؟": **الخوري بيار جبور**.. ١٠٨

الإحتفال الأفخارَسْتِي بالقربانة الأولى: **الخوري شوقي كرم** ١١٦

إحياء ساعة سجود للقربان المقدّس: **الخوري شوقي كرم** ١٢٣

إشكاليّة القدّاس الخاصّ داخل الرعيّة أو خارجها.

قانونيّة لاهوت وراعويّة هذا القدّاس: **الخوري جوني التنّوري** ١٢٧

قدّاس الشبيبة: **المطران جول بطرس** ١٣٤

ملفّ التنشئة: "توجيهات راعويّة من أجل تعزيز الدّعوات إلى الخدمة الكهنوتيّة"

وثيقة كنسيّة: **عرّبها عن الفرنسيّة الخوري إيلي سمعان** ١٤١

أخبار الإكليريكيّة: ١٦٧

الافتتاحيّة

الكاهن وسرّ الأَفْخَارَسْتِيَا

الخوري شوقي كرم

تحتلّ الأَفْخَارَسْتِيَا في حياة الكنيسة ورسالتها، كما في حياة الكاهن ورسالته، مكانًا فريدًا من حيث هي "سِرّ الأسرار": " فكلّ الأسرار الأخرى تشخص إليها كما إلى غايتها" (مار توما الأكويني، المجموعة اللاهوتيّة ٣، ٦٥، ٣). هذا لأن الأَفْخَارَسْتِيَا "هي منبع الحياة المسيحيّة كلّها وقمّتها. فالأسرار وجميع الخِدَم الكنسيّة والمهام الرسوليّة مرتبطة كلّها بالأَفْخَارَسْتِيَا ومترتّبة عليها. ذلك أنّ الأَفْخَارَسْتِيَا تحتوي على كنز الكنيسة الروحيّ كلّه، أي على المسيح بالتّحديد فصحنا"[١].

ولمّا كان من الضروري أن نتذكّر ونذكّر بعظمة الأَفْخَارَسْتِيَا في جوهرها، وبمكانتها الفريدة والمميّزة في حياة الكاهن وفي خدمته الرعويّة، اخترنا موضوع الكاهن وسرّ الأَفْخَارَسْتِيَا لهذا العدد السنوي من المجلّة الإكليريكيّة. غايتنا من هذا الخيار أن نقدّم للكاهن ولأبناء الكنيسة مواضيع تحاكي الواقع الكنسيّ والكهنوتيّ الّذي تُعاش فيه الأَفْخَارَسْتِيَا اليوم، بما فيه من غنًى وفقر، ومن يقين وضياع، ومن أمانة وتهاون، على صعيد الفهم الإيماني والالتزام. وفي مُحاكاة هذا الواقع، كان الهمّ أن نقدّم أجوبةً على مسائل جديدة لاهوتية وليتورجيّة ورعويّة مطروحة حول الأَفْخَارَسْتِيَا، أجوبة ترفقها تطلعات رعويّة تساعد الكاهن على تحقيق الدعوة الملحّة إلى الإبداع الرعوي، لإنعاش التوق إلى الأَفْخَارَسْتِيَا لدى المؤمنين، والرغبة في تذوّق أطايبها الروحيّة الكثيرة.

يطالعنا الخورسقف جورج أبي سعد ببحث عن " **الروح القدس والأَفْخَارَسْتِيَا عند مار أفرام** يشرح فيه رابط الأَفْخَارَسْتِيَا بالروح القدس انطلاقًا من النشيد العاشر من أناشيد الإيمان لمار أفرام، الّذي يصوّر المشاركة في الأَفْخَارَسْتِيَا كعنصرة جديدة، وخَلْق جديد، ومدعاة إلى الدهشة الروحيّة.

ويُقدّم لنا الخورسقف أنطوان ميخائيل بحثًا لاهوتيًّا في "**الأفخارستيَا سرّ الكنيسة**" يوضح فيه ارتباط سّر الأَفْخَارَسْتِيَا، كتَذْكار فِصْح الابن وسّر ذبيحته، بباقي الأسرار الّتي تُشكّل غايتهم وكمالهم. ويجيب في بحثه على مسألة كيف تصنع الكنيسة الأَفْخَارَسْتِيَا، والأَفْخَارَسْتِيَا تصنع الكنيسة، وتبني الشراكة فيها، وتُحقّق وَحْدتها، وتُحدّد رسالتها في العالم.

ونقرأ بحثًا للأب ميشال الخوري الراهب الأنطوني في "**التنشئة الكَهَنوتيّة: البُعد الأفخارَسيّ**"، يّذكّر فيه بهُوّيّة الكاهن الجديدة المنبثقة من سرّ الكَهَنوت الّذي به يصبح رجلًا أفخارستيًّا، ويعرض لأبعاد ثلاثة

[١] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، العدد ١٣٢٤، (١٩٩٩) منشورات المكتبة البولسية.

للتنشئة في هذا البُعد الأفخارستيّ تؤهل طالب الكَهَنوت لأن يجعل من الأَفْخَارَسْتِيَا "محورًا لحياته الروحيّة وخدمته الرسوليّة، كيما، معها وبها، يتقدّس ويُقدِّس"، لأنّه ومن دونها يفقد جوهر دعوته.

وفي مقالة بعنوان " **الكاهن والأفْخارَستِيا"**، يُحدّثنا الخوري سايد مرّون عن روحانية الكاهن بارتباطها **بالأفْخارَستِيا** الّتي تُشكّل مبدأ الخدمة الكَهَنوتيّة ووسيلتها وغايتها. يعرض ثمار الأَفْخَارَسْتِيَا في حياة الكاهن وعمقَ تأثيرها في حياة الكاهن، إذ بها تصير حياته على مثال المسيح قربانًا للآب وذبيحة حبّ للبشر. ويعرض واجب وكيفيّة الاحتفال بالأفْخارَستِيا، كما العبادة وأسلوب الاحتفال بها، مشيرًا إلى المبادئ والتوصيات الكنسيّة الملزمة الّتي تُساعد الكاهن على أن يحيا ويشهد على روحانية الأفْخارَستيا.

ويجيب الخوري دانيال زغيب على السؤال التالي: **كيف يستعِدُّ المؤمن للمشاركة في القُدَّاس؟** ويقدّم في بحثه مجموعة من النصائح العمليّة الّتي تساعد المؤمن على أن يشارك مشاركة كاملة وواعية وفاعلة في سرّ الأَفْخَارَسْتِيَا، تعود عليه بثمار روحيّة وفيرة.

ويتطرق الخوري ريمون باسيل إلى موضوع **"الأفْخارَسْتِيا: عيش السينودسيّة الكنسيّة" بارتباطها** بدعوة البابا فرنسيس إلى السينودس الحالي حول السينودسيّة، مبرهنًا على أن لا أفخارَستيا دون السينودسيّة، ولا سينودسيّة دون الأفخارَستيا؛ لأن الأُفْخارستيا تُعطي من يشترك فيها أن يعيش بحق السينودسيّة كشركة ومشاركة ورسالة.

ويتناول الأب شربل ناصيف في بحثه الحاجة الملّحة "**من أجل فَهمٍ أفضل لمفهوم مشاركة المؤمنين في الاحتفال بالأَفْخَارَسْتِيَا"**. بعد عرض مقتضب لسبل إشراك المؤمنين في الاحتفال الأفخارَستيّ، يضع بعض الأسس الضروريّة لفهمٍ أفضل لمفهوم مشاركة المؤمنين في الاحتفال بالليترجيّا الأفخارَستيّة الّتي هي عمل جماعيّ يبرز وَحْدة شعب الله باختلاف درجاته ووظائفه ومواهبه، وغايته الأخيرة المشاركة في سرّ المسيح الفصحيّ.

ويعالج الأب هاني مطر موضوع احتفال الأسقف، مُمثّل المسيح بامتياز، بالقدّاس في الرعيّة الّذي هو علامة شركة ووحَدْة. ويتوسّع في شرح أهميّة ارتباط هذا القداس بالرعيّة كجسد المسيح وبالجسم الكَهَنوتيّ وببعده الليتورجيّ ومعانيه اللّاهوتيّة.

وتُحدِّثنا الأخت أنجال المسنّ الرّاهبة الأنطونيّة عن "**الفنّ في خدمة الاحتفال الأفْخارَسْتِيّ**"، الفنّ الّذي يجسد "اللّاهوت في رموز". وتشرح كيف أن الكنيسة بأقسامها الثلاثة بما يُزيّنها من الفنّ الكنسيّ تهدف إلى التعبير عن فكرة دينيّة تدعو العين إلى تمييز وتعرّف الحقيقة المسيحيّة بالكلمة والصّورة المكتوبة.

ويطالعنا الخوري شربل شدياق ببحث "**من أجل عبادة قربانيّة مثمرة"** تقود إلى التأمّل والدخول في سرّ يسوع المسيح الأفخارَستيّ-الفِصْحيّ، وتعزّز لدى المؤمن اتحاده بالكنيسة، ومحبّة الخليقة، والتوق إلى الملكوت، والحسّ الرسوليّ.

ويعالج الخوري بولس مطر موضوع علاقة **الأَفْخَارَسْتِيَا بسّر التوبة** بجوانبه الكتابيّة واللاهوتيّة والليتورجيّة والرّعويّة، مجيبًا على الأسئلة الّتي تطرح عن الحالة الروحيّة الّتي تسمح للكاهن بالاحتفال بسرّ الأَفْخَارَسْتِيَا، وللمؤمن بالتقدّم من المناولة، والخطايا الّتي تمنع منها.

ويجيب الخوري يوسف أبي زيد في بحثه على سؤال عن علاقة الأَفْخَارَسْتِيَا بالزواج، فيعود إلى طبيعة الأَفْخَارَسْتِيَا وطبيعة الزواج الأسراريّة القائمة على شركة الأشخاص في الحبّ، وكيفيّة تلاقي الاثنين وتناسبهما بعضهما لبعض، ليقدّم لنا جوابًا يكشف ضرورتها لشركة حبّ متجدّد أبدًا. ويختم بحثه بتبيان تأثير الأَفْخَارَسْتِيَا في حياة ورسالة العائلة إذ تقدّم لها غذاءً يساعدها على أن تعيش ككنيسة بيتيّة.

ويبيّن الخوري بيار جبّور الفرق الشاسع بين ما يقدّم المؤمن في "لمّة الصينيّة"، وحسنة القداس، من حيث المعنى والغاية والثمار، والسؤال الّذي يطرحه المؤمن على الكاهن بعد تقدمة الذبيحة على نواياه: "شو بيتوجّب عليّ يا أبونا". ويجيب بالعودة إلى المعنى الكتابي واللّاهوتي للكَهَنوت العام والتقدمة العينيّة والمادّية الّتي يعيشها المعمّد، الّذي يربطها بالشكر للربّ عطاياه، وبالمحبة للفقراء والمساهمة في تأمين حياة كريمة للكاهن. ويقدم اقتراحًا رعويًّا للوقت الأفضل للمة الصينيّة في القداس، يُبرِز هذا المعنى.

ويقدّم لنا الخوري شوقي كرم اقتراحات رعوية للإعداد للقربانة الاحتفاليّة للأولاد في الرعيّة، تساعد على تحويل هذه المناسبة المفرحة إلى فرصة لتنشئة مسيحيّة للأولاد وأهلهم. كما يقدّم لنا تصوّرًا حول كيفيّة إحياء ساعة السجود للقربان المقدّس لتبقى متناغمة مع معناها الروحيّ، ولتعطي الثمار المرجوّة.

ويُطالعنا الخوري جوني التنّوري بمقال لاهوتيّ وقانونيّ وراعويّ عن معنى القداس الخاص داخل وخارج الرعيّة. فيؤكد أن ليس من قانون يجيز هذا القداس لتناقضه مع المعنى المتكامل للأَفْخَارَسْتِيَا الّتي يُحتفَل بها في كنيسة الرعيّة. ويشير إلى ضرورة الحصول على إذن من الأسقف المحليّ لضرورة رعوية تأخذ بكل متطلبات ومعاني هذا القداس.

أما المطران جول بطرس، فيقدّم لنا بحثًا في قداس الشبيبة مؤكّدًا أن الغاية ليست في خلق مِهْرجان يُبهِر الحواسّ، بل مساعدة الشبيبة على فهم معاني ورموز وغايات القدّاس الإلهي، وتحقيق رغبتهم العميقة في لقاء الله وسماع كلمته وفهمها والاتّحاد به. ويشير على من يحضّر ويخصّ الشبيبة بقداس أن يستخدم نعمة الإبداع في الشهادة على جمال الله وتحقيق هذه الرغبة.

وفي المِلَّف الخاص بالتنشئة، نقدّم للقارئ الكريم الوثيقة الكنسيّة «**توجيهات راعويَّة من أجل تعزيز الدَّعَوات إلى الخِدْمة الكَهَنوتيَّة**»، الّتي عرّبها الخوري إيلي سمعان عن الفرنسيّة. وتشكّل هذه الوثيقة خلاصة لاهوتيّة للمشاورة الّتي أطلقها **العمل الحَبْريّ من أجل الدَّعَوات الكَهَنوتيَّة** (*Œuvre Pontificale pour les Vocations Sacerdotales*)، بطلبٍ من **مجمع التَّربية الكاثوليكيَّة**، من أجل إعداد توجيهاتٍ راعويَّةٍ تُساعد المراكز والهيئات واللِّجان المعنيَّة بالدَّعَوات الكَهَنوتيَّة، على تفعيل راعويَّةٍ (pastorale) من أجل تعزيز

الدَّعَوات الكَهَنوتيَّة في الأبرشيَّات والبلدان كافَّة. ونجد فيها ثلاثة أقسام: يتناول القسم الأوَّل موضوع "**راعويَّة الدَّعَوات من أجل الخِدْمة الكَهَنوتيَّة، في العالم**. ويعالج القسم الثاني موضوع **"دعوة الكَهَنوت الخِدْمِيّ وهُوِّيَّته"**. أمّا القسم الثالث فيقدّم " **مقترحات من أجل راعويَّة الدَّعَوات الكَهَنوتيَّة"**.

وفي ختام المجلّة، نجد أخبار الإكليركيّة من شهر أيلول ٢٠٢١ حتى ختام السنة في شهر أيار ٢٠٢٢ من إعداد الشدياق باتريك عازار.

وعليه، لا ندّعي أننا استطعنا أن نحيط الموضوع على أهميّته بكلّ جوانبه، فالأمر يحتاج إلى أكثر بكثير من مجلّة واحدة، بل نعترف بأننا حاولنا أن نضيء بقدر الإمكان بعضَ المسائل الجديدة الملحّة والضروريّة المتعلّقة بعلاقة الكاهن بسرّ الأَفْخَارَسْتِيَا.

إنّ الكاهن والكنيسة والعالم في حاجة شديدة إلى متابعة التذكّر والتأمل والبحث في سرّ الأَفْخَارَسْتِيَا، سرّ الحبّ الإلهي اللامتناهي، لأجل معرفة أعمق لها، وفهمٍ وإدراكٍ أوسعين لأبعادها الروحيّة والحياتيّة. فبقدر ما تبقى الأَفْخَارَسْتِيَا ماثلة في تفكير وتأمل الكاهن ومَنْ يخدمهم، وحاضرة كمنبع أساسي في مسيرة حياتهم المسيحيّة، وراسخة في قناعتهم كقمّة لعبادتهم بالروح والحقّ، بقدر ما سيحافظون على صفاء وتألق جوابهم على دعوتهم إلى الحبّ والقداسة وسط عالمهم.

لهذا، نشكر الله كلَّ الّذين شاركوا في كتابة أبحاث هذا العدد من المجلة الإكليريكيّة، وللآنسة أدما طربيه التّدقيقَ اللغويّ، ولكلّ مَنْ عمل في التنسيق والطباعة، سائلين الله أن يكافئ الجميع على جهودهم بوفير بركاته.

الروح القدس والأفخارَسْتِيَا عند مار أفرام

قراءة للنشيد العاشر من أناشيد الإيمان

المونسنيور جورج أبي سعد

يلجأ مار أفرام بشكل أساسيّ إلى الرموز ليعبّر عن فهمه لسرّ المسيح، فالرموز قادرة أكثر من المصطلحات على مقاربة السرّ الذي لا يُسبَر غوره. من بين الرموز الكثيرة التي يستعملها مار أفرام، يحتلّ رمز النار مكانة مميّزة؛ رمز تعود جذور استعماله إلى الكتاب المقدّس: فالله هو "نار آكلة" (تث ٤: ٢٤)، وقد تجلّى لموسى في نار علّيقة مشتعلة (راجع خر ٣: ٢)، عمود النار قاد شعب الله في البريّة ليلًا (راجع خر ١٣: ٢١)، تجلّى الله على جبل سيناء كنار آكلة (راجع خر ٢٤: ١٧)، وفي العهد الجديد حلّ الروح القدس بشبه ألسنة من نار على الرسل (راجع أع ٢: ٣)...

يستعمل مار افرام هذا الرمز ليظهر الرباط الوثيق بين المسيح والروح القدس. فالمسيح هو نار يلهب المؤمنين بنار الروح القدس. فهو مثلًا يحقّق ما رمزت إليه الجمرة التي مسّت شفتي آشعيا وطهّرته من خطيئته وفتحت فمه ليعلن كلمة الله "حنّة النبيّة قبّلت شفتيه بمفمها، على شفتيها حلّ الروح، كما على شفتي آشعيا الذي انفتح فمه المغلق بالجمرة التي لمست شفتاه. فالتهب فم حنّة بالروح وبدأت تنشد"[٢].

النار الإلهيّة تجسّدت لتمنحنا ذاتها ولتحوّلنا إليها وذلك يتحقّق بشكل أساسيّ في الأسرار، خاصّة في سِرَّي العماد والأفخارَسْتِيَا. بالنسبة إلى مار أفرام، هدف نزول المسيح في مياه الأردنّ تقديس مياه المعموديّة، أي تأجيج هذه المياه بنار الروح القدس. فالمسيح النار، أو الجمرة، عند نزوله في الماء، بدل أن تطفىء المياه النار كما هي العادة في الطبيعة، حصل العكس، أي أن النار ألهبت المياه وجعلتها أحشاء تلد بنين روحيّين. حين ينزل المؤمن في المياه ليعتمد يخرج لابسًا حلّة جديدة، هي حلّة النار والروح وحلّة المجد التي خلعها آدم. اللباس هو رمز كتابيّ آخر سيتعمله مار أفرام ليتكلّم على الإنسان الجديد أو الخَلْق الجديد. يقول مثلًا "لقد بيّض يوحنا المعمدان وَصَمات الخطايا بالماء العادي لتصبح الأجساد مُؤَهَّلة لثوب الروح الذي يمنحه الرب؛ لأنّ الروح كان مع الابن، والابن أتى نحو يوحنا المعمدان لينال منه العماد حتى يمزج الروح الذي لا نراه بالماء

[٢] مار افرام، أناشيد الميلاد ٦: ١٣-١٤

المنظور"[3] ويقول في نشيد آخر "يا أبناء ينبوع المعمودية، الأطفال البهيّين الذين لبستم النار والروح! حافظوا جيّدًا على ثوب المجد هذا الذي لبستموه من الماء؛ لأنّ كلّ مَن يلبسه يستطيع أن يقتلع بلهيبه نبتة أشواك خطاياه"[4].

الأفخارَسْتِيَا هي السرّ الثاني الذي يلهبنا بنار الروح. هذا الموضوع، أي الرابط بين الأفخارَسْتِيَا والروح القدس، يرد ذكره في العديد من أناشيد مار أفرام. في هذا المقال الصغير، سنحاول دراسة هذا الموضوع في نشيد واحد من أناشيد مار أفرام هو النشيد العاشر من أناشيد الإيمان.

سنعرض في البداية بعض مقتطفات من هذا النشيد كما وردت في تعريب الخوري بولس الفغالي في كتابه "أفرام السّريانيّ، بين مائدة ومائدة"[5]؛ ذلك ليتسنّى للقرّاء تذوّق جمال هذا النشيد والتأمّل في غنى معانيه.

"أنت كتبتَ يا ربّ: إفتح فمك فأملأه (مز ٨١: ١١). ها فم عبدك فُتح لك مع وجدانه. أنت املأه يا ربّ من موهبتك، وعلى حسب مشيئتك، أرتّل التسبيح لك. [...]

إن كان يوحنّا الكبير هتف: لستُ أهلًا يا ربّ لرباط نعلَيْك، مثل الخاطئة في ظلال ثوبك، ألجأ إليه وأقيم، ومثل تلك التي ارتهبت فأمسكت وشُفيَت، إشفِ رهبتي من القنوط فأتعزّى بك. وهكذا يقودني ثوبك نحو جسدك فأخبر عنه حسب قواي. [...]

في خبزك اختفى الروح الذي لا يؤكل، وحلّت في خمرك النار التي لا تُشرَب، الروح في خبزك، يا للدهشة الفريدة!

نزل الربّ على الأرض لدى المائتين، فخلقهم خلقًا جديدًا كما الملائكة. مزج فيهم النار والروح، ليكونوا نارًا خفيّة وروحًا.

ها اقترب السرافيم بأصابعه من الجمرة، قرّبها فقط تقريبًا من فم أشعيا. لا هو أمسكها ولا هو أكلها، ولكن لنا وَهب الاثنين ربّنا.

للملائكة الروحيّين مأكل الجسديّين. قرّب إبراهيم فأكلوا، يا للدهشة الجديدة. فربّنا العظيم أعطى الأجساد النار والروح مأكلًا ومشربًا.

---

[3] مار افرام، أناشيد ربّنا ٥٥

[4] مار افرام، أناشيد الدنح ٤: ١٩-٢٠

[5] الخوري بولس الفغالي "افرام السرياني، بين مائدة ومائدة". منشورات الجامعة الأنطونيّة. ٢٠٠٥

نار الغضب على الخطأة نزلت وأكلتهم. ونار الحنان في الخبز نزلت وأقامت. بدل هذه النار التي أكلت البشر، النار هي الخبز أكلتم فوجدتم الحياة.

ذبائح إيليّا نزلت عليها النار وأكلتها، ولنا نار المراحم صارت ذبيحة حياة. النار أكلت القربان، وأكلنا نارَك، ربّنا، في قربانك.

من أمسك الريح في حفنتَيْه؟ تعال وانظر يا سليمان ما صنع ربّ أبيك. النار والروح، لا بطبعهما، مزج وصبّ في حفنات التلاميذ. *[...]*

ها النار والروح في حضن والدتك. ها النار والروح في نهر فيه اعتمدت. النار الروح في معموديّتنا، وفي الخبز والكأس النار والروح القدس.

خبزك قتل الشَرِه الذي صنعنا خبزه. كأسك أباد الموت الذي ابتلعنا. أكلناك يا ربّ، وشربناك، لا لننهيك بل لنحيا فيك. *[...]*

الأفخارَسْتِيَا عنصرة دائمة

ربْط الأفخارَسْتِيَا بعطيّة الروح القدس يُظهر أن الجسد الأفخارستيّ هو جسد المسيح القائم من الموت، والذي يمنح متناوليه الروح القدس. من هنا المشاركة في الأفخارَسْتِيَا هي لقاء القائم من الموت، وهي لقاء قوّة القيامة ونيل هذه القوّة المحوِّلة التي أقامته من الموت، على حدّ قول بولس الرسول "إذا كان روح الله الذي أقام يسوع من بين الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح من بين الأموات يحيي أيضًا أجسادكم المائتة بروحه السّاكن فيكم". (روم ٨: ١١)

المشاركة في الأفخارَسْتِيَا هي إذن عنصرة متجدّدة، فيها ننال الروح بالخبز والخمر وكأننا نأكل الروح بالخبز ونشربه بالخمر. "ها النار والروح في حضن والدتك. ها النار والروح في نهر فيه اعتمدت. النار والروح في معموديتنا، وفي الخبز والكأس النار والروح القدس"[٦].

نجد صدى لفكر مار أفرام في ليتورجيتنا المارونيّة، ففي أحد تقديس البيعة مثلًا ننشد "طوبى لكِ يا كنيسة الإيمان خِطّيبُكِ أعطاكِ خبزًا طيّبًا قربان. في عرسِكِ أسقاكِ خمرة تروي العطشان. الخبز كليه نار والخمر اشربيه روح، بالنار ازداني والروح وادخلي خدر الأنوار"[٧].

---

[٦] مار أفرام. أناشيد الإيمان ١٠: ١٧

[٧] كتاب القدّاس على حسب طقس الكنيسة الأنطاكيّة السريانيّة المارونيّة. بكركي ٢٠٠٥. خدمة أحد تقديس البيعة، لحن البخور

الاندهاش أمام العطيّة

أمام هذا السرّ وهذه العطيّة الكبرى لا يسع الإنسان سوى الاندهاش. الاندهاش موضوع مهمّ في الروحانيّة السّريانيّة، وقد أصبح عند بعض الآباء في مرحلة لاحقة أسمى وأعلى درجات الصلاة، كما يقول القديس إسحق السّريانيّ مثلًا "عندما يحصل أحد على مشاهدة هذه الأسرار بشكل مستمر، بفضل العين الداخليّة التي تسمّى مشاهدة روحيّة، وهي كناية عن رؤية تأتي من النعمة، وعندما يعرف أحد هذه الأسرار، تلقائيًّا يدخل قلبه في حالة من الاندهاش، وتتوقف شفتاه عن الصلوات اللفظيّة وتصمت، والأفكار أيضًا تتبدّد من قلبه بفضل الاندهاش الذي يجتاحه. وينال في الوقت عينه من النعمة عذوبة أسرار الحكمة والمحبّة الإلهيّة بفضل المشاهدة"[٨].

الاندهاش عند مار أفرام هو أولًا يقظة لعظمة عطيّة الله لنا "في خبزك اختفى الروح الذي لا يؤكل، وحلّت في خمرك النار التي لا تُشرَب، الروح في خبزك، يا للدهشة الفريدة"[٩].

عطيّة قد لا نقدّرها كما يجب إلّا إذا نظرنا إلى العهد القديم لنرى كم أنعم الله علينا بالمقارنة مع المؤمنين وكبار خدّامه في العهد الأول. ما أعطيَ لنا يتخطى بكثير كلّ انتظارات وأحلام الأنبياء والملوك والمرسَلين، لا بل هو عطيّة لا يمكنها أن تخطر على قلب بشر.

"من أمسك الريح في حفنتيه؟ (أم ٣٠: ٤) تعال وانظر يا سليمان، ما صنع ربّ أبيك. النار والروح، لا بطبعهما، مزَج وصبّ في حفنات تلاميذه":[١٠]

يعود مار أفرام في تأمّله إلى الكثير من النصوص البيبليّة التي تتكلّم على النار ويجد فيها رمزًا إلى الأفخارَسْتِيَا. فنصّ دعوة أشعيا مثلًا، حيث أخذ الملاك جمرة بالملقط ولمس بها شفتيّ آشعيا ليطهر.، يصبح رمزًا أفخارستيًّا. هذه الجمرة ترمز إلى المسيح الأفخارَسْتِيَا. "ها اقترب السرافيم بأصابعه من الجمرة، قرّبها فقط من فم أشعيا (أش ٦: ٧) لا هو أمسكها ولا هو أكلها، ولكن لنا وهب الاثنين ربّنا"[١١].

---

[٨] إسحق السرياني ٣٥: ٢

[٩] مار أفرام. أناشيد الإيمان، ١٠: ٨

[١٠] مار أفرام، أناشيد الإيمان، ١٠: ١٤

[١١] مار أفرام، أناشيد الإيمان ١٠: ١٠

والنار نزلت من السماء بعد صلاة إيليّا النبيّ والتهمت قربانه (راجع ١مل ١٨: ٣٨)، في حين أن النار الإلهيّة، أو الله الذي هو نار، أصبحت قرباننا "ذبائح إيليّا نزلت عليها النار وأكلتها، ولنا نار المراحم صارت ذبيحة حياة. النار أكلت القربان وأكلنا نارك، ربّنا، في قربانك[٢]".

إيليّا أيضًا أنزل نار الغضب على رسل الملك أحزيا الذين أرسلهم للقبض عليه، لأنه أنّبه على التجائه إلى بعل زبوب في مرضه (راجع ٢ مل ١). أمّا في الأفخارَسْتِيَا، فنشترك في نار حنان الله ورحمته. "نار الغضب على الخطأة نزلت وأكلتهم، ونار الحنان في الخبز نزلت وأقامت. بدل هذه النار التي أكلت البشر، النار في الخبز أكلتم فوجدتم الحياة[٣]".

كما يقارن بين وليمة إبراهيم للملائكة (راجع تك ١٨: ٨-٩) ووليمة الله لنا في الأفخارَسْتِيَا. فإذا كان جلوس الملائكة إلى مائدة البشر هو سبب دهشة، فما تكون الدهشة أمام وليمة يقدّم فيها الله النار والروح مأكلًا؟ "للملائكة الروحيين مأكل الجسديين، قرّب إبراهيم فأكلوا. يا للدهشة الجديدة! فربّنا العظيم أعطى الأجساد النار والروح مأكلًا ومشربًا[٤]".

الخلق الجديد

مفاعيل المشاركة في الأفخارَسْتِيَا أو في هذه العنصرة الدائمة لا تقتصر على الاندهاش، فالروح القدس هو قوّة محوّلة. هو يحقّق في المؤمنين الخلق الجديد الذي وعد به الأنبياء[٥] وأعلن عنه يسوع في حديثه مع نيقوديموس[٦] وشرحه بولس في رسائله[٧].

الخلاص ليس تحريرًا من سلطان الخطيئة والموت وحسب، بل هو عطيّة حياة جديدة وخلق بشريّة جديدة ممتلئة من الروح القدس.

تكلّم يسوع في حديثه مع نيقوديموس على الولادة الجديدة التي تتمّ بالروح، وقال إنّ المؤمنين يصبحون روحًا "مولود الجسد جسد ومولود الروح روح" (يو ٣: ٦) إنها طريقة ساميّة في التعبير عن هذه

---

[٢] مار أفرام، أناشيد الإيمان ١٠: ١٣

[٣] مار أفرام، أناشيد الإيمان ١٠: ١٢

[٤] مار أفرام، أناشيد الإيمان ١٠: ١١

[٥] راجع مثلًا: إر ٣١. حز ٣٦-٣٧

[٦] راجع يو ٣: ١-٢١

[٧] راجع مثلًا ٢ كور ٥: ١٧. أف ٤: ٢٠-٢٤. كول ٣

الطبيعة الجديدة التي ينالها المعمّدون وهي اشتراك في الطبيعة الإلهيّة بقوّة الروح القدس. الروح القدس يصبح هو حياة المعمَّد.

مار أفرام لم يربط الخلق الجديد أسراريًّا بالعماد فقط، بل الأفخارَسْتِيَا أيضًا. فإذا كان الروح هو الذي يحقّق الخلق الجديد، وهو أيضًا الحياة الجديدة للخليقة الجديدة، فالروح يناله المؤمن بالأفخارَسْتِيَا باستمرار. "نزل الربّ على الأرض لدى المائتين، فخلقهم خلقًا جديدًا كما الملائكة. مزج فيهم النار والروح، ليكونوا نارًا خفيّة وروحًا[٨]".

المشاركة في الأفخارَسْتِيَا هي المشاركة في انتصار الربّ على الشرير والخطيئة والموت. وهي أيضًا نيل ثمرة شجرة الحياة التي مُنِعَت عن آدم بسبب خطيئته. "خبزك قتل الشَرِهِ الذي صنعنا خبزه. كأسك أباد الموت الذي ابتلعنا. أكلناك يا ربّ وشربناك، لا لننهيك بل لنحيا فيك[٩]". وهو القائل في مكان آخر "ما نأكله هو الحياة التي في المسيح: جسده بدل ثمار شجرة الحياة ومذبح يأخذ مكان الفردوس"[٢٠]

يفتح مار أفرام أمام أعيننا آفاقًا جديدة للتأمّل في سرّ الأفخارَسْتِيَا العظيم. فبالإضافة إلى المحوريّة الكريستولوجيّة في هذا السرّ، هناك محوريّة أخرى وهي المحوريّة الروحيّة أو البنوماتولوجيّة. محوريّة عطيّة الروح القدس تجعلنا ننظر إلى الأفخارَسْتِيَا كعنصرة دائمة، تحوّلنا إلى رسل ممتلئين من نار الروح القدس وقوّته. وتاليًا يتضح لنا البعد الإرسالي للأفخارَسْتِيَا، فتصبح دعوة الكاهن في نهاية الاحتفال "اذهبوا بسلام" مرادفة لكلام يسوع "ستنالون قوّة بحلول الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا [...] حتى أقاصي الأرض" (أع ١:٨).

---

[٨] مار افرام. أناشيد الإيمان ١٠: ٩

[٩] مار أفرام، أناشيد الإيمان ١٠: ١٨

[٢٠] مار أفرام، دياتيسرون ٢١: ٢٥

الأفخارَسْتِيَا سرّ الكنيسة

المونسنيور أنطوان ميخائيل

يعلّمنا المجمع الفاتيكاني الثاني أنّ الأفخارَسْتِيَا هي "ذروة حياة الكنيسة كلّها ومصدرها" ("في الليتورجيا" ١٠). إنّها سرّ اتّحاد البشر بالله، وبعضهم بالبعض الآخر. عشاء الربّ هو أيضًا "المكان" الذي فيه يحضر الثالوث الأقدس في التاريخ بالطريقة الأكمل، ويبعث الكنيسة-الشراكة: الأفخارَسْتِيَا تصنع الكنيسة. في الوقت عينه، تستدعي الكنيسة، في الحدث الأفخارَسْتيّ، عطيّة الله، وتنفتح عليها في جدّة الأوقات والأزمنة: الكنيسة تصنع الأفخارَسْتِيَا.

الأفخارَسْتِيَا تُظهِر الكنيسة وتبنيها

من البديهيّ القول إنّ الأفخارَسْتِيَا هي، في الأساس، عمل الربّ القائم والممجّد والجالس عن يمين الآب، حيث يمارس كَهَنوتًا لا ينقضي (عبرانيّين ٧، ٢٦-٢٨). ففي كلّ مرّة تجتمع الكنيسة لتحتفل بالسرّ الأفخارَسْتيّ، فإنّها تشترك في حدث تمّمه الابن إذ قدّم ذاته مرّة واحدة للآب (عبرانيّين ٩، ١٢). في الوقت عينه، تقتضي تقدمة الابن لذاته وجود الكنيسة. فبين مجيئه الأوّل ومجيئه الثاني، يعمل الربّ الممجّد، بطريقة أسراريّة، بجسده الكنسيّ، بوصفه علامة حضوره الأساسيّ في العالم. لذلك، يكون الاحتفال الأفخارَستيّ احتفال الجماعة أيضًا، التي تستذكر ذبيحة الابن الوحيدة، وبه ومعه تدعو الآب في وَحدة الروح القدس.

الأفخارَسْتِيَا غاية الأسرار وكمالها

يتجلّى البعد الكنسيّ للأفخارَسْتِيَا أوّلًا في علاقة هذه الأخيرة بسرّ العماد، الذي تشكّل معه (ومع سرّ التثبيت) وَحْدة أسراريّة سمّاها التقليد المسيحيّ "أسرار التنشئة". يقول توما الأكويني: "إذا كان العماد هو مبدأ الحياة الروحيّة وباب الأسرار، فالأفخارَسْتِياَ هي تمام تلك الحياة، وغاية الأسرار كلّها"(الخلاصة اللاهوتية، القسم الثالث، السؤال ٧٣. ١). يشرح الأكويني هذا التأكيد اللاهوتيّ، فيعتبر أن سرّ العماد تجتازه رغبة المؤمن في أن يشعر بقوّة جسد المسيح ودمه. صحيح أنّ العماد يطبع المؤمن بختم الروح القدس، الذي يشركه في المصالحة المتحقّقة في فصح المسيح، إلّا أنّ هذه المشاركة لا تبلغ غايتها ما لم يجلس المُعمَّد، ومعه

الكنيسة كلّها، إلى المائدة الأفخارَسْتيّة، علامة حقيقيّة لانتمائه منذ الآن، إلى عالم القيامة (الخلاصة اللاهوتية، القسم الثالث، السؤال ٨٠. ١١).

لذلك، إذا كان العماد هو سرّ الدخول إلى الكنيسة، فالأفخارَسْتِيَا هي سرّ الكنيسة الفعليّ؛ وبما أنّه لا يمكن أحدًا أن يكون مسيحيًّا من دون أن يكون، بالفعل عينه، في الكنيسة، فالأفخارَسْتِيَا هي الحدث الأسراريّ الذي لأجله وُجِد العماد، حدث من هذه الأرض، ولكنّه يُجلِس مسبقًا إلى وليمة عرس الحمل الأزليّة (رؤيا ١٩، ٩). وإذا كان العماد يمنح عربون الميراث الموعود (أفسس ١، ١٤) وبواكيره (رومانيّين ٨، ٢٣)، فالأفخارَسْتِيَا تجعل هذا الميراث يشعّ في حقيقته الكاملة، في رمزيّة أسراريّة تمنحه الآن؛ لأنّ الربّ الممجّد يُعطى فيه بالحقيقة، وإن تحت علامة الإيمان. في هذا المعنى، تكمّل الأفخارَسْتِيَا مفاعيل العماد. يقول بولس الرسول: "فإنّنا اعتمدنا في روح واحد لنكون جسدًا واحدًا؛ أيهودًا كنّا أم يونانيّين، عبيدًا أم أحرارًا وشربنا من روح واحد" (قورنتس الأولى ١٢، ١٣). هذا الجسد، الموجود في كلّ عضو من أعضاء الكنيسة، إذًا يقبل الطعام عينه والشراب عينه، ليحافظ على الحياة فيه، ويعزّز وَحْدَته.

هذا الرابط الأساسيّ للعماد بالأفخارَسْتِيَا والكنيسة، يتوسّع ليشمل الأسرار كافّة. نقرأ في الوثيقة الصادرة عن مجلس أساقفة إيطاليا، السنة ١٩٨٣، بعنوان "الأفخارَسْتِيَا، شراكة وجماعة": "إضافة إلى كونه يسبّب حياة المعمّد الكَهَنوتيّة ويُسنِدها، يجدّد الاحتفال الكنسيّ بالأفخارَسْتِيَا التزام التثبيت بالشهادة، ويوجِب التوبة والشراكة الكاملة، التي تعيد بناءها وتقوّيها باستمرار التوبة الأسراريّة، ويحقّق الخدمة الكَهَنوتيّة، ويغذّي روابط الاتّحاد الزواجيّ والوَحْدة في الحبّ ويثبّتها، ويساعد المرضى على أن يشركوا آلامهم في آلام الربّ وقيامته، في انتظار لقائه" (٨٦). هكذا تجعل الأفخارَسْتِيَا الجماعة الكنسيّة تنمو بعطاياها المتنوعة، وتترابط كشعب الله الواحد ("نور الأمم" ١١، ١٣).

الأفخارَسْتِيَا احتفال الكنيسة

من ثمّ، تشكّل الأفخارَسْتِيَا، احتفال الكنيسة المركزيّ، وفيه لا تحتفل هذه الأخيرة بذاتها، بل بالحدث الذي أوجدها، وبالرجاء الذي يُحييها ويحوّلها. في الوقت عينه، يمثّل هذا الاحتفال ما عليه الكنيسة أو ما يجب أن تكونه، أي جماعة تشهد ليسوع المسيح ولملكوت الله الذي أعلنه، وتجهد في أن تجسّد هذه الشهادة في خدمة القريب. بطريقة رمزيّة، يجمع الاحتفال الأفخارَسْتيّ هاتين الحركتين: شهادة الكلمة وشهادة العمل، الكرازة بالكلمة وكسر الخبز.

بوصف الأفخارَسْتِيَا إحتفال الكنيسة، تكشف لنا الأفخارَسْتِيَا تركيبتها أيضًا. فمن جماعة أورشليم الأولى إلى يومنا، يُحتفل بعشاء الربّ في جماعات صغيرة حول مائدة مشتركة (أعمال ٢، ٤٦). هذه هي تركيبة الكنيسة الأساسيّة: اجتماع وجماعة وشراكة. استنادًا إلى هذا الواقع التاريخيّ، اعتبر المجمع الفاتيكاني الثاني أنّ الكنيسة الجامعة هي شراكة كنائس محليّة: كلّ واحدة من الكنائس المحليّة الشرعيّة هي "في رقعتها، الشعب الجديد الذي دعاه الله... فيها يتجمّع المؤمنون بالدعوة بإنجيل المسيح، وفيها يُحتفل بسرّ عشاء الربّ... وهذه الجماعات، مهما كانت في الغالب صغيرة أو فقيرة أو مشتّتة، فإنّ المسيح حاضر فيها" ("نور الأمم" ٢٦).

في هذه الشراكة، هُوِيَّة الكنيسة: "تتجلّى شركة الكنيسة في الشركة الناشطة بين الكنائس المحلّيّة التي يقوم كمال الكنيسة في كلّ واحدة منها... وتصون الكنائس المحلّيّة ذاتها في شركة الكنيسة بالإنجيل الواحد، والمعموديّة الواحدة، وعشاء الربّ الواحد، تضطلع بها كلّها خدمة الكَهَنوت المشترك. ومن ثمّ، إنّ شركة الكنائس المحلّيّة ليست إضافة اختياريّة، بل وجهًا أساسيًّا من وجوه الاستدلال على هُوِيّة الكنيسة" ("في طبيعة الكنيسة ورسالتها" ٦٥).

الأفخارَسْتِيَا تُوَحِّد الكنيسة وتُنَمِّيها.

إلى ذلك، تقيم الليتورجيا الكنسيّة علاقة متينة لأفخارَسْتِيَا بالكنيسة، علاقة تتجلّى في التركيبة الثالوثيّة للصلاة الأفخارَسْتِيّة. فإلى فعل الشكر للآب، مصدر كلّ قداسة، تُجمَع دعوة الروح الذي بقوّته يتمّ استذكار فِصْح الابن. في هذه الأوقات الثلاثة، التي تشمل تصميم الله الآب الرحيم، ورسالة الابن الخلاصيّة، وعمل الروح المقدِّس، يكمن مصدر الكنيسة، وشكلها، وغاية شراكتها.

الأفخارَسْتِيَا علامة وَحْدة جسد المسيح الكنسيّ

يسمّي بولس الكنيسة "جسد المسيح" (قورنتس الأولى ١٢، ٢١-٣١؛ رومانيّين ١٢، ٥؛ أفسس ١، ٢٣؛ كولوسي ١، ١٨). أن تكون الكنيسة جسد المسيح، فهذا يعني أنّها تحقّق حضوره الدائم في جماعة البشر المجتمعين باسمه. فبوصفه رأس الكنيسة، يشكّل المسيح مبدأها الحيويّ وأساسها الدائم: "إنّه المسيح بذاته الذي ياتي وسط خاصّته، ويجعل من نفسه طعامًا لهم، ويتّحد بكلّ واحد منهم يقبله بإيمان. هكذا يضحي

"سرّ الإيمان" (*mysterium fidei*) "سرّ الكنيسة" (*mysterium ecclesiae*) بامتياز" (البرتوس الكبير، "في سرّ الأفخارَسْتِيَا" ٦، ٢).

قبل كلّ شيء، الأفخارَسْتِيَا هي فعل شكر كبير للآب لأجل نِعَمِه وعطاياه. في ذبيحة الشكر هذه، تتكلّم الكنيسة باسم الخليقة كلّها، وتقدّم الخبز والخمر، ثمر الأرض وعمل الإنسان، للآب بإيمان وبفعل شكر لعطيّته العظمى، والتي تجلّت في إرساله الابن مخلّصًا وفاديًا. هذا ما تعبّر عنه الصلاة الشهيرة من كتاب الديداكيه (Didachée): "كما أنّ هذا الخبز كان منتشرًا، على التلال، وأصبح شيئًا واحدًا، كذلك تجتمع كنيستك من أقاصي الأرض في ملكوتك" (٩، ٤). هكذا تعني الأفخارَسْتِيَا مسبقًا، ما على العالم أن يصيره في النهاية: تقدمة ونشيد تمجيد للآب الخالق، وشراكة كونيّة في جسد المسيح، وملكوت عدالة وحبّ وسلام في الروح القدس.

تَذكار فِصْح الابن، الأفخارَسْتِيَا هي أيضًا سرّ ذبيحته. فهي تجدّد حدث موته وقيامته الخلاصيَّ، المتحقِّق مرّة واحدة نهائيّة، والذي يجمع المشاركين في المائدة المقدّسة، ويجعل منهم جسد المسيح الواحد. جسد الربّ الأفخارَسْتيّ، يسبّب في الزمن جسده الذي هو الجماعة الكنسيّة، علامة حضوره الفعليّ في التاريخ. يؤسّس هذا الفعل كون الكنيسة "الجسد السريّ" (انظر رسالة البابا بيوس الثاني عشر *Mystici corporis*، ١٩٤٣)، وفيها يوجد المنظور في اللامنظور، في مماثلة تشبه، وإن بشكل غير كامل، علاقة شخص الكلمة بالطبيعة البشريّة التي أخذها (دستور "نور الأمم" ٨). إذًا، ليس هناك من شيء في الكنيسة ينبغي لنا اعتباره مجرّد تنظيم بشريّ، لأنّ كلّ شيء فيها يملأه حضور الرب القائم. هكذا يتوسّع التَّذكار الأفخارَسْتيّ ليشمل حياة الكنيسة بأكملها.

في هذا المعنى، حدّد المجمع الفاتيكاني الثاني الكنيسة المحتفلة بالأفخارَسْتِيَا ككنيسة محلّية، ووضع ذات الاحتفال في شعب الله المنظّم في كامله ("في الليتورجيا" ٧، ٤١، ٢٦-٢٧). داخل هذا الشعب، يمثّل الأسقف المحتفل بالذبيحة الإلهيّة، بشراكة مع أسقف روما ومعه سائر الأساقفة في العالم، العلامة المنظورة لوَحْدة الكنيسة. هذه الوَحْدة تتجسّد أيضًا في كلّ مكان يحتفل به كاهن بالأفخارَسْتِيَا، بشراكة أسقفه. بما أنّ هناك معموديّة واحدة، فليس هناك سوى مذبح واحد؛ وسواء أكان هناك جمع كبير أم خادم لوَحْدِه في الكنيسة، فنحن أمام ذبيحة الجماعة عينها. فروابط الوَحْدة تُعقَد أينما كان، والاجتماع الكبير يحدث في كلّ زمان؛ لأنّ الكنيسة الواحدة حاضرة بكليّتها في كلّ احتفال بالعشاء الربّاني.

إذًا، من الأفخارَسْتِيَا تنبع وَحْدَة الكنيسة ("في استعادة الوَحْدة" ٢)، لأنّ فيها يوحّد المسيح الكنيسة وذاته، وينمّيها بتلك المحبّة التي حرّكت حياته بكاملها، وميّزت حضوره ربًّا قائمًا يعطي ذاته خبز حياة للجميع. يقول بولس الرسول: "أليست كأس البركة التي نباركها مشاركة في دم المسيح؟ أليس الخبز الذي نكسره مشاركة في جسد المسيح؟ فلمّا كان هناك خبز واحد، فنحن على كَثْرتنا جسد واحد، لأنّنا نشترك كلّنا في هذا الخبز الواحد" (قورنتس الأولى ١٠، ١٦-١٧). في المعنى عينه، نقرأ عند يوحنا الدمشقيّ: "تُسمَّى الأفخارَسْتِيَا تناولًا؛ لأنّنا بها نتناول لاهوت يسوع. وتُسمَّى شركة، وهي بالحقيقة كذلك، لأنّنا بها نُشرك ذواتنا في المسيح فنقبل جسده ولاهوته. وفيها يشترك ويتّحد بعضنا مع البعض الآخر" ("في الإيمان الأرثوذكسيّ" ٤، ١٣). يعني هذا أنّ سرّ المسيح الفِصْحيّ يعطي البشر إمكانيّة أن يجدوا الوَحْدة في الكَثْرة، وذلك بتغذّيهم بالحياة النابعة من حبّ الله. لذا يدعونا الاحتفال الأفخارَسْتيّ إلى أن نَعِيَ كِياننا كمُعمَّدين، ونلتزم ببناء جسد المسيح الواحد. فباشتراكنا في جسد المسيح ودمه، نحن نتحوّل إلى ما نأخذه. لنصغِ إلى ما يقوله لنا أغوسطينوس: "إذا كنتم جسد المسيح، فها هو سرّكم موضوع أمامكم على مائدة الربّ. إنّكم تقبلون سرّكم. أنتم تجيبون: "آمين حقًّا" على ما يُعطى لكم. عندما تسمع هذه العبارة: "جسد المسيح"، أنت تجيب: "نعم". إذًا، كُنْ عضوًا في جسد المسيح لتكون "آمينك" حقيقيّة! إذًا، كونوا ما تشاهدون واقبلوا ما أنتم عليه!" (العظة ٢٧٢). في مكان آخر، يشرح أغوسطينوس للموعوظين مسار تهيئتهم الأسراريّة فيقول: "لقد فُصِلتُم وطُحِنتُم (بالصوم) كحبّات قمح، وعُجِنتُم بالماء (بغَسْل المعموديّة)، وشُويتُم بالنار (بالروح) لتصبحوا خبز الله، جسد المسيح، الذي تجعله الأفخارَسْتِيَا حاضرًا على المائدة المقدّسة" (العظة ٢٢٧). هكذا يتحوّل سرّ المناولة إلى سرّ الشراكة.

الأفخارَسْتِيَا علامة الشّراكة في الجسد الكنسيّ

ممّا لا شكّ فيه أنّ التعبير الأعلى عن الشراكة الكنسيّة هي الشراكة الأفخارَسْتيّة. فالشراكة الكنسيّة تتجلّى في بعدها المنظور وغير المنظور، وتُبنى في العمل الكنسيّ بامتياز: الاجتماع الأفخارَسْتيّ. الأفخارَسْتِيَا هي "علامة وَحْدة، ورباط محبّة" ("في الليتورجيا"، العدد ٤٧). هناك ترابط تركيبيّ جوهريّ بين هاتين الحقيقتين الخلاصيّتين، يجعل من الكنيسة، وهي تحتفل بفِصْح المسيح، تعيش ما تحتفل به وتحقّقه. إذًا، تقيم الأفخارَسْتِيَا تواصلًا خفيًّا للجسد الذي يُعطى على المائدة الإلهيّة، والجسد الكنسيّ، إذ لا يمكننا أن نكون "في المسيح" ما لم نكن، في الوقت عينه، أعضاء في جسده. هذا التواصل يجعل من الكنيسة نسيج علاقات أخويّة، فيها يتجرّد المؤمن من ذاته، ويعي أنّه غير منفصل عن الآخرين. إلى ذلك، علينا أن نعترف بأنّ

الاحتفال بذبيحة المحبّة، يقود الكنيسة إلى أن تعرف ذاتها في شراكة سائر الجماعات الأفخارَسْتِيّة المنتشرة في العالم، ما يعطي كاثوليكيّتها بعد مصالحة واسعة، يشمل البشريّة والكون في شراكة الله. هذه المقاربة الأسراريّة من الكنيسة، تجعلنا نتخطّى كلّ حصر للكنيسة في بعدها المؤسّساتي الخارجيّ، وننظر إليها في شراكة عميقة للكنائس الأخرى، في عمليّة انفتاح وقَبول متبادلين، تغذّيها وتقويّها وَحْدة الاحتفال بتَذكار الربّ.

الأفخارَسْتِيَا عنصرة متجدّدة

إلّا أنّ الكلام على العلاقة العضويّة للكنيسة بالأفخارَسْتِيَا، لا يكتمل من دون الروح القدس. فقانون إيمان نيقية-القسطنطينيّة، يربط الإيمان بالكنيسة بالإيمان بالروح القدس، ما يعني أنّها أولى ثمار عمله المتحقّق في الاحتفال الأفخارَستيّ. من المعلوم أنّ الأفخارَستيا هي دعوة الروح إلى أن يأتي ويقدّس القرابين المقدّمة، فيجعل منها علامة حضور المسيح الحقيقيّ، ويجمع المؤمنين في جسد واحد. ولأنّ تَذكار الفِصْح يكتمل بقوّة الروح القدس، فالجماعة التي تولد منه هي، في الوقت عينه، شعب الله الآب، وجسد المسيح الابن، وهيكل الروح القدس.

إذًا، من الكلمة والخبز الأفخارَسْتيّ تنشأ شراكة المتناولين، وهي شراكة خِصْبة بالوَحدة، لأنّ فيها تعطى النعمة للمؤمنين، ومنها تُقام "شراكة القدّيسين" (*communio sanctorum*أنظر قانون إيمان الرسل)، أي وَحْدة المؤمنين الذين، بجلوسهم إلى مائدة الحياة، يُزرَعون في المسيح بالرّوح القدس. لأجل ذلك، تتوسّع دعوة الروح وقت الاحتفال الأفخارَسْتيّ، لتشمل كامل السرّ الكنسيّ المعاش في الحياة والتاريخ. في المعنى عينه، يحضّ أغوسطينوس المؤمنين على: "لا نأكلنّ جسد المسيح ونشربنّ دمه كعلامة فقط، بل لنأكله ونشربه ضمن شراكة في الروح". هذا ما تُبرِزُه صلوات الاستدعاء (Epiclèse) في الليتورجيّات الشرقيّة، وفيها يُستدعى الروح إلى الجماعة المحتفلة وإلى القرابين معًا، فيُقدِّس الخبز والخمر ويجعلهما جسد الربّ ودمه، ويوسِّع عمله ليطول المؤمنين أثناء المناولة وبعدها. كلّ من يقبل هذا السرّ بالإيمان والروح، ويجهد في أن يعيشه، تتفجّر فيه "أنهار من الماء الحيّ" (يوحنّا ٧، ٣٨). نقرأ من الصلاة الأفخارَستيّة في كتاب "التقليد الرسوليّ": " اللهمّ الآب! نشكر لك بواسطة ابنك الحبيب يسوع المسيح الذي أرسلته، في آخر الأزمنة، فاديًا ومخلّصًا... ونسألك أن ترسل روحك القدّوس إلى قربان كنيستك المقدّسة، فتملأ كلّ الذين يشتركون في هذا القربان من هذا الروح، وتوحّدهم ليتقوّوا في الإيمان والحقّ" (٤). هكذا، لا تعود المناولة مشاركة حسّية في

جسد المسيح وحسب، بل تأليه المؤمن باتّحاده في الابن مع الآب بقوّة الروح القدس، واجتماع المؤمنين في جسد واحد. بهذا يصل الاحتفال الأفخارَسْتيّ إلى معناه الكامل، ويتحوّل إلى عنصرة جديدة، تجعل من المشتركين في جسد الربّ ودمه أشخاصًا جددًا. فهدف الأفخارَسْتِيَا وذروتها يقومان على تحوّل المؤمنين إلى أبناء لله، يملأهم الروح، ويجعلهم إخوة وأخوات محبوبين، ويقدّس الخطأة منهم، ويجدّدهم بعطيّة الابن المحبّة لذاته، هو الذي قرّب نفسه "إلى الله بروح أزليّ" (عبرانيّين ٩، ١٤).

لكنّ هذه الصورة الجميلة للكنيسة، المُستقاة من السرّ الأفخارَسْتيّ، يناقضها بشدّة واقع الانقسام في جسد المسيح الواحد. لذا، لا يكتمل معنى الاشتراك بالذبيحة الإلهيّة، ما لم يلتزم المؤمنون بإصلاح هذا الواقع، ويعملون على إزالة كلّ أشكال العلاقات غير السويّة، وتخطّي كلّ الانقسامات الناتجة من الأنانيّة والكبرياء والضعف البشريّ: "يقتضي القدّاس تصالح وتشارك جميع الذين يُعتبَرون إخوة وأخوات في أسرة الله الواحدة، وهو لا ينفكّ يستنهض هؤلاء للبحث عن علاقات تليق بهم في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة" ("في طبيعة الكنيسة ورسالتها" ٨١).

هكذا يحوّل الروح القدس، الفاعل في جسد المسيح ودمه، المؤمنين المشاركين في الأفخارَسْتِيَا، ويخلق الشراكة بينهم، وينمّيها: "بالمعمودية دُعينا إلى أن نكون جسدًا واحدًا، وبالأفخارَسْتِيَا تتحقّق هذه الدعوة" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ١٣٩٦). في الأفخارَسْتِيَا تقبل الكنيسة تعبيرها الأكمل، وفي الكنيسة تُقطَف الثمار الخلاصيّة الجمّة المخبوءة في الأفخارَسْتِيَا.

إلى ذلك، تضيء هذه الحقيقة البُعد الرسوليّ لسرّ الأفخارَسْتِيَا، الذي يكشف للكنيسة دعوتها العماديّة ورسالتها، ويغذّي فيها الرجاء بشهادة جامعة لهذا السرّ بوصفه "خبز الحياة للعالم": "إنّ الأفخارَسْتِيَا تضطرّنا إلى الاشتراك اشتراكًا فعليًّا في ما هو ناشط اليوم من ترميم لأحوال العالم وأوضاع الإنسان" ("في طبيعة الكنيسة ورسالتها" ٨١). فبتناول جسد الربّ ودمه، تعي الكنيسة أنّها مُرسَلة لتجعل من هذا العالم العالم الذي يريده الله، أرضًا تُمسَح فيها الدموع، ويصمت ضجيج السلاح، ويُسمَع صراخ الفقراء والمسحوقين، وتَندمِل جراح الظلم والحقد، وتُزهِر صُلبان الألم. لذا تشكّل الأفخارَسْتِيَا أُلقَةً من العالم الجديد (رؤيا ٢١، ١-٦)، وزادًا ثمينًا للمُرسَلين في خروجهم إلى العالم.

الأفخارَسْتِيَا زاد الكنيسة المعادي

في معنًى أخير، يطبع الاحتفال الأفخارَسْتيّ مسيرة الكنيسة من قيامة يسوع إلى عودته الممجّدة في نهاية الزمن. لذلك ״يحتاج النموّ في الحياة المسيحيّة إلى غذاء المناولة الأفخارَسْتيّة، خبز حجّنا (في هذه الحياة) إلى أن تحين ساعة موتنا فنُعطاه زادًا للحياة الأبديّة" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ١٣٩٢). الأفخارَسْتِيَا هي، في الوقت عينه، استذكار للماضي، وحضور للمسيح، ونبوءة للمستقبل؛ وحضور المسيح فيها هو حضور ديناميّ، يؤجّج فينا انتظار عودته: "تعال! أيها الربّ يسوع" (رؤيا ٢٢، ٢٠)، ويمنحنا ثقة الإيمان بأنّ الربّ المنتظر في آخر الأزمنة، يرافقنا على دروب الحياة. هذا ما يجعل من عشاء الربّ "للكنيسة معين حياة، وعربون المجد السماويّ" ("في استعادة الوَحْدة" ١٥). إذًا، من الواجب الإيمانيّ أن تواصل الكنيسة الاحتفال بفِصْح الربّ "إلى أن يجيء" (قورنتس الأولى ١١، ٢٦).

هكذا تُضْحي مشاركتنا في الأفخارَسْتِيَا مشاركة في الخلاص النهائيّ، الذي يقدَّم لنا الآن مسبقًا تحت حجاب العلامات الأسراريّة، وفي محدوديّة الأشياء البشريّة. لذلك، اعتمد التقليد الكنسيّ الأفخارَسْتِيَا كسرّ للمُدنِفين، لكونها تُعطى زاد سفر للمؤمن ("قد اتخذتك يا ابن الله زادًا لي في السفر")، يُشرِكه في سرّ موت المسيح وقيامته، سرّ عبوره إلى الآب. هذا العبور من الموت إلى الحياة، يستعيد عبور المؤمن الأول في العماد ويكمِّله.

لكنّ الأفخارَسْتِيَا، مثلها مثل سائر الأسرار، ستختفي في حضرة الربّ، الذي فيه "ابتُلع الموت بالغلبة" (قورنتس الأولى ١٥، ٥٤). فكلّ ما في الكنيسة هو تحت نظام الأسرار، الموافق لحالتنا الزمنيّة، وهو معدّ لأن يزول أمام الحقيقة النهائيّة، التي يشكّل علامة فعليّة لها. لا يعني هذا الأمر محوًا لشيء أمام شيء آخر، بل انكشاف له في حقيقته. فعندما نصل إلى أرض ميعادنا الجديدة، لا تعود هناك ضرورة لتمثيل تاريخيّ لموت المسيح وقيامته، وتنتفي حاجتنا إلى الخبز الأفخارَسْتيّ، لأنّنا نعطى إذّاك "منًّا خفيًّا" (رؤيا ٢، ١٧)، يكون خفيًّا أثناء مسيرتنا الأرضيّة، ويُكشَف بكامله في المجد السماويّ. عندئذ، ستتجلّى الكنيسة في كلّ بهائها، وتكتمل كلّ أسرارها.

ختامًا، لننشِد مع أغوسطينوس: "ما هي المُحرقة؟ إنّها النار الإلهيّة، التي تأتي لتُشعِل كلّ شيء... هكذا تُنشِد الكنيسة، جسد المسيح: "أدخل إلى بيتك بالمحرقات"، أي فلتُضرِمني نارك بكليّتي، فلا يبقى من كِيانيّ شيء خارجًا عنك، بل لأكُن بكلّيتي لك. ليحترق فيّ كلّ ما ينتمي إلى حياتي المائتة، وليكتمل في حياتك الأبديّة" ("في شرح سفر المزامير" ٦٥، ١٨).

مراجع هذه المقالة

- De Lubac, H., (1953). Méditation sur l'Eglise. Théologie 27. Paris: Aubier.
- Conferenza Episcopale Italiana, (1983). L'eucaristia communione e communità.
- Tillard. J.M., (1984). Les sacrements de l'Eglise. Initiation à la pratique de la théologie: Dogmatique II. Cerf: Paris. p. 384-466.
- Tillard, J.M., (1992). Chair de l'Eglise, Chair du Christ. Aux sources de l'ecclésiologie de communion. Cogitatio Fidei 198. Paris : Cerf.
- التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، (١٩٩٩) منشورات المكتبة البولسية.
- المجمع الفاتيكاني الثاني، (٢٠٠٤) منشورات المكتبة البولسية.
- مجلس الكنائس العالمي، (٢٠١٣). وثيقة "في طبيعة الكنيسة ورسالتها".

التنشئة الكهنوتيّة: البُعْد الأفخارَسْتيّ

أ. ميشال الخوري الراهب الأنطونيّ

"أيّها الكهنة الأعزاء! أيُّها الذين اختاركم المسيح لكيما معه تعيشون حياتكم ذبيحة تسبيحٍ لخلاص العالم! إليكم أتوجّه فقط بالاتحاد بالمسيح يمكنكم أن تنالوا ذلك الخِصْب الروحيّ، الذي منه ينبعث الرجاء في خدمتكم الرعويّة. القديس لاون الكبير يذكّرنا بأنّ "مشاركتنا في جسد ودم المسيح هدفها الوحيد هو أن نُضحِي ما ننال" (العظة ١٢، في الآلام: ٣، ٧). وإذا كان ذلك صحيحًا لكلّ مسيحيٍّ، فكم بالحريّ لنا نحن الكهنة. أن نكون وأن نصبح أفخارسْتِيًا! فلتكن هذه رغبتنا الدائمة، لكيما مع تقدمة جسد ودم الربّ على المذبح، نقدم أيضًا ذبيحة وجودنا." بهذه العبارات توجّه البابا بندكتس السادس عشر إلى الكهنة ليلة عيد الجسد في ١١ حزيران من العام ٢٠٠٩.

إنّ موضوع تقدمة "ذبيحة الوجود" من جرّاء المشاركة في جسد ودم المسيح، الذي طرحه قداسة البابا، بالغٌ في الأهميّة وهو ليس وليد الصدفة أو بديهيّ التحقيق، لذا، لا بدّ من التحضير له بتنشئةٍ كهنوتيّةٍ تعطي البُعد الأفخارَسْتيّ مكانةً مهمّة.

في هذا المقال، سوف نلقي الضوء على هذا البُعد الجديد والأساسيّ في التنشئة الكهنوتيّة، متناولين:

أوّلًا، سرّ الكَهَنوت في تعليم الكنيسة.

ثانيًا، الكاهن رجلٌ أفخارَسْتيٌّ.

ثالثًا، البُعد الأفخارَسْتيّ في التنشئة الكهنوتيّة.

أوّلًا، سرّ الكَهَنوت في تعليم الكنيسة

قبل التطرّق إلى كيفيّة تنشئة المدعوّين في البُعد الأفخارَسْتيّ، يجدر بنا التوقّف في لمحةٍ سريعةٍ على ما تعلّمنا إيّاه الكنيسة عن سرّ الكَهَنوت نفسه لنتعمّق في ماهيّة هذا السرّ الذي يجعل الله قريبًا وحسيًّا في وسط شعبه بالأسرار ولا سيّما سرّ الأفخارَسْتِيَا، لأنّ على كلّ عملٍ كهنوتيّ وكلّ بُعدٍ في التنشئة الكهنوتيّة أن يصبّا في وَحدة الهُويّة الكَهَنوتيّة، الهُويّة التي تحدّدها الكنيسة.

تعطي الكنيسة سرَّ الكهنوت مكانةً رفيعةً وتؤكّد في البند ١٥٣٦ من كتاب تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ سرّ الكهنوت "هو السرّ الذي يكفل استمرار الرسالة التي وكلها المسيح إلى تلاميذه ناشطةً في الكنيسة حتى منتهى الأزمنة"، الأمر الذي يضع على كاهل الكاهن مسؤوليّةً مهمّةً نسبةً إلى أهميّة المرسِل وقصده في تدبير الخلاص الذي لمّا ينتهِ منه. وقد أصاب القدّيس توما الأكويني في شرحه للرسالة إلى العبرانيّين عندما قال: "المسيح هو الكاهن الحقيقيّ الأوحد، وما الآخرون سوى خَدَمَته"، لكن، من خلال هؤلاء الخَدَمة، يحضر المسيح نفسه في كنيسته بوصفه رأس الجسد السريّ، مؤسّس الأسرار، سبب الخلاص، الكاهن الأعظم المقرِّب والمقرَّب. أكّد البابا بيوس الثاني عشر، من جهته في رسالته العامّة "وسيط الله" العام ١٩٤٧، أنّ الكاهن "يتمتّع بالقدرة على العمل بقوّة المسيح نفسه الذي يمثّله". إنّه لدورٌ يفوق الإدراك البشريّ، أن يجعل الكاهن حضور المسيح مرئيًّا في وسط جماعة المؤمنين.

على الرغم من الارتباط الوثيق والجوهريّ والكِيانيّ الذي يمنحه سرّ الكَهَنوت المُرتسِم، تعود الكنيسة وتؤكّد أنّ هذا الارتباط لا يقي الكاهن من كلّ وهنٍ بشريّ أو حتّى من الخطيئة؛ لأنّ قوّة الروح، التي تضمن دور الكاهن في الأسرار وتمنع خطيئته من حجب ثَمَرة النعمة، لا تعمل في جميع أعماله بالفعاليّة عينها. في المقابل، إنّ السلطان الممنوح للمرتسِم للقيام بخدمته الكهنوتيّة هو سلطانٌ منوطٌ كليًّا بالمسيح وما هو إلّا سلطان المسيح بالتّحديد لذا يُدعى "سلطانًا مقدّسًا". إذًا، لا بدّ أثناء ممارسة هذا السلطان، من اتّخاذ المسيح مقياسًا ونموذجًا.

لا يلعب الكاهن دوره في اتّجاهٍ واحدٍ فقط: من الله إلى الجماعة أي من الرأس إلى الأعضاء، بل يذهب في الاتّجاه المعاكس أيضًا أي من الجماعة إلى الله، من الأعضاء إلى الرأس. هذا الأمر يتجلّى بوضوحٍ في الاحتفال الأفخارَسْتيّ حيث ينوب الكاهن مناب المسيح، معلنًا سرّه ومقربًّا القرابين، لكن في الوقت عينه رافعًا صلوات الشعب إلى أبيهم واضعًا بين يديه طِلْباتهم.

كلّ هذا يخلص بنا إلى القول إنّ سرّ الكهنوت عطيّةٌ مجّانيّةٌ من الله ولا يُقبَل إلّا على هذا الأساس، لذا ما من إنسانٍ يملك حقّ المطالبة به، لأنّ الله وحده هو الداعي. ومثل سائر الدَّعوات، على من يتلمّس في أعماقه براعم دعوة الله له إلى السلوك في الخدمة الكهنوتيّة، أن يطرح رغبته أمام السلطة الكنسيّة التي تعود لها حصرًا مسؤوليّة التمييز وقبول التدرّج في الدرجات الكهنوتيّة.

ثانيًا، الكاهن رجلٌ أفخارَسْتيٌّ

استشهد البابا بندكتس، في رسالته في سنة الكَهَنوت، السنة ٢٠٠٩، بقولٍ للقدّيس جان ماري فيانيه: "عجبًا! كم أنّ الكاهن عظيمٌ! إن فُهِم مات... الله يطيعه: إنه يقول كلمتين فيسمعه الله وينحدر من السماوات ويسكن في القربان". ويكمل البابا حديثه عن القدّيس فيقول: "وفي سبيل تفسيره أهميّة الأسرار للمؤمنين، كان يقول: "لو لم نحصل على سرّ الكهنوت لما نلنا ربّنا. من وضعه هنا في بيت القربان؟ إنّه الكاهن".

إنّ السنة الكهنوتيّة تلك كشفت بوضوحٍ كم تأثّر البابا بندكتس بخبرة هذا القدّيس الأفخارستيّة، فهو لا ينفكّ يقتبس من أقواله فينقل مرّةً عنه: "إن كلّ الأعمال الصالحة لا تساوي ذبيحة القدّاس لأنّها أعمالٌ بشريّةٌ، في حين أنّ القدّاس هو عمل الله". ويخبر قداسة البابا اقتناعه بأنّ حماسة حياة الكاهن تعتمد على القدّاس، يقول: "إنّ سبب فتور الكاهن يكمن في إهمال القدّاس. مع الأسف، إلهي! كم ترى من كاهن جدير بالشفقة عندما يقوم بذلك كما لو اعتياديًّا!".

قال البابا بندكتس في عظته يوم خميس الأسرار العام ٢٠٠٩، للكهنة الذين اختارهم المسيح كي يَحْيَوا معه حياة ذبيحة حمدٍ لخلاص العالم، إنّ الاتحاد بيسوع هو الذي يخصب حياتهم الروحيّة التي تبعث الرجاء في الخدمة الرعويّة. ودعاهم إلى أن يتشوّقوا دومًا إلى إقامة ذبيحة القدّاس بكل جوارحهم وعواطفهم الوجوديّة، لافتًا إلى أنّ ما ينتظره المؤمنون من الكهنة هو مثلهم الصالح في عبادةٍ قربانيّةٍ أصيلةٍ وقضاؤهم فترات صمتٍ وسجودٍ ليسوع المسيح.

من جهةٍ أخرى، في محاولةٍ له لمقاربة الرسالة العامّة التي كتبها البابا يوحنا بولس الثاني "الأفخارَسْتِيَا حياة الكنيسة" العام ٢٠٠٣، علّق مجمع الإكليروس، في اليوم العالميّ للصلاة من أجل تقديس الكهنة في ٢٧ حزيران ٢٠٠٣، على التوق الإسكاتولوجيّ الملازم للأفخارَسْتِيَا الذي تحدّث عنه البابا، محمّلًا الكهنة مسؤوليّةً تجاه أرضنا في زرع بذور الرجاء في أعمالهم اليوميّة. إنّ كلّ احتفالٍ أفخارَسْتيٍّ يهدف إلى إيقاظ ضمائر المشتركين فيه، وبالنسبة إلى الكاهن، إنّ القدّاس يوقظ فيه مسؤوليّته تجاه العالم الذي يجب أن يُحوَّل بفعل الأفخارَسْتِيَا. من الذبيحة الأفخارَسْتيّة يتبصّر الكاهن أنوار رسالته الكهنوتيّة الموكولة إليه ودوره في تفعيل قدرة الأفخارَسْتِيَا وتأثيرها في كلّ نفسٍ بشريّةٍ.

من هنا، يكون الكاهن مسؤولًا عن بنيان مجتمعٍ جديدٍ في المسيح، وفي الأكثر هو مدعوٌّ إلى عيش شهادة إيمانٍ منبثقةٍ من هذا السرّ الذي يحوّل الخبز والخمر إلى جسد ودم الربّ. فأعجوبة هذا الحضور الإلهيّ تفتح أبواب نفس الكاهن لرجاءٍ جديدٍ يتخطّى كلّ العقبات والتجارب التي يواجهها في ممارسته الكهنوتيّة. وفي سياق عمله على بناء هذا المجتمع الجديد في المسيح، هناك مهمّةٌ أخرى منوطةٌ بالكاهن، مهمّة استقبال الحضور الأفخارَسْتيّ بنظرةٍ تأمليّةٍ وعبادةٍ.

يذكر البابا يوحنا بولس الثاني في البند ٢٥ من رسالته: "يتّسم الإكرام الذي نؤدّيه للأفخارَسْتِيَا خارجًا عن القدّاس بقيمةٍ لا تُقدّر في حياة الكنيسة"، ويحمّل الرعاة مسؤوليّة تشجيع المؤمنين على هذا الإكرام، لا بالقول فقط إنّما بالشهادة الشخصيّة أيضًا، وذلك بصمد القربان الأقدس والسجود أمام المسيح الحاضر في الأجزاء الأفخارَسْتِيّة. إنّ البابا لا يكتفي بتشجيع الكهنة على إعطاء هذه الشهادة وحسب، بل يشاركهم في خبرته الخاصّة قائلًا في البند عينه: "إنه لمن المفيد التحدّث إليه، والتأثّر بحبّ قلبه اللامتناهي، فيما نتّكئ نحن على صدره كالتلميذ الحبيب (يو ١٣ : ٢٥). وإذا ما كان على المسيحيّة، في عصرنا الحاضر، أن تتميّز بالأخصّ بـ"فنّ الصلاة" ، فكيف لنا ألّا نشعر بالحاجة المستمرّة إلى المكوث مطوّلًا أمام المسيح الحاضر في القربان الأقدس، والتحدّث إليه بالروح ، في عبادةٍ صامتةٍ ووضع حبّ؟ لقد اختبرتُ ذلك مرّاتٍ عديدة، أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، فنلتُ قوّةً وتعزيةً وسندًا!".

خبرة الحبر الأعظم تشكّل حافزًا لجميع الكهنة، قرّاء هذه الرسالة العامّة، إلى اكتشاف وتقدير هذه الأوقات الشخصيّة الحافلة بالنعم التي توفّرها عبادة القربان الأقدس. بهذا الفعل، تغدو الأفخارَسْتِيَا معين تأمّلٍ مقدَّسٍ ومثمرٍ.

ثالثًا، البُعد الأفخارَسْتيّ في التنشئة الكَهَنوتيّة

كلّ ما تقدّم حتّى الآن يُعلي من شأن الأفخارَسْتِيَا في حياة الكاهن، لا بل يجعلها محورًا لحياته الروحيّة وخدمته الرسوليّة، معها وبها يتقدّس ويُقدِّس، ومن دونها يفقد الجوهر. كلّ هذا يؤكّد أهميّة التنشئة الكهنوتيّة في البُعد الأفخارَسْتيّ، وسنتوقّف تاليًا على ثلاثة مبادئ لهذه التنشئة.

1. الأفخارَسْتِيَا مدرسة بذل الذات

عشيّة خميس الأسرار، ولمّا علِم يسوع أنّ ساعته قد أتت، رسم سرّ الأفخارَسْتِيَا أي سرّ الحبّ الباقي في وسط الكنيسة بعد أن يعود الابن إلى يمين الآب. هذا الحدث استبق موت يسوع على الصليب وأكّد أنّه هو من يبذل حياته في سبيل أحبّائه ولا أحد ينتزعها منه (يو١٠/١٨). إذًا، في استطاعتنا أن نقول إنّ سرّ الأفخارَسْتِيَا هو تأكيدٌ على حريّة الحبّ القابل مسبقًا فعل الموت عن الذات، هو الضامن لنا أنّ قبول يسوع بحكم الموت الذي أطلقته البشريّة عليه لم يكن فرضًا لا مناص منه، بل كان فعل حبٍّ ذهب به إلى أقصى الحدود (يو١٣/١)، لأنّه سلّم نفسه للبشريّة في القربان قبل أن تسلّمه البشريّة للصَّلب.

هذه الحركة الإلهيّة، فعل البذل هذا، يجب أن يشكّل قاعدة التنشئة الأساسيّة، قاعدةً تقوم عليها جميع أبعاد التنشئة: من إنسانيّة وروحيّة ورعويّة وفكريّة. تنشئةٌ تقوم على البُعد الأفخارستيّ هي تنشئةٌ تقوم على مفهوم بذل الذات، وما من حقيقةٍ أنصع من هذه، لأنّ سرّ الأفخارَسْتِيَا هو سرّ بذل الذات. إذًا، أن ننشّئ شبّانًا كي يكونوا لاحقًا كهنةً أفخارَسْتِيّين يعني أن ننشّئ شبّانًا في الخروج من الذات، في عدم التمحور حول الأنا وعدم البحث عن الضمانات الشخصيّة.

هذا المبدأ عليه أن يكون في أصل كلّ ما يعمل عليه المنشّئون، في جميع المجالات وعلى جميع المستويات، بغية أن يساعدوا الإكليريكيّين على التمرّس أكثر فأكثر بعيش المحبّة، كي لا يضحي الكهنوت امتيازًا يعزّز عند الفرد التمركز حول الذات ويضخّم الأنا، فيفقد تاليًا هُويّته الأصيلة في التشبّه بالله الذي هو الحبّ في حدّ ذاته.

من هنا نقول، كلّ موضوعٍ أو مجالٍ تقدّمه التنشئة للمدعوّين يجب أن يقودهم إلى يسألوا أنفسهم: "كيف لي أن أبذل ذاتي في هذا الموضوع؟".

2. الشفافيّة الروحيّة

تبقى العلاقة الشّخصيّة بالمسيح أساس الحياة الروحيّة الكهنوتيّة، لأنّ الكاهن الذي يجعل حضور الله مرئيًّا للشعب بممارسة الأسرار، ولا سيّما سرّ الأفخارَسْتِيَا، لا بدّ من أن تتماهى شخصيّته مع المسيح ليصبح، يومًا بعد يومٍ، أكثر شفافيّةً في عيشه لكلمة المسيح. هذه العلاقة الشخصيّة المبنيّة على التأمّل في سرّ الحبّ تجعل أحاسيس الكاهن شبيهةً بأحاسيس المسيح، ومنطق الكاهن مطابقًا لمنطق المسيح، وسلوك

الكاهن امتدادًا لسلوك المسيح. إنّها تعطيه المجال لأن يكون مسيحًا آخرَ وقناةً نقيّةً تمرّ منها نِعَم الربّ للشعب المؤمن.

الشفافيّة الروحيّة تعرب عن الوَحدة القائمة ما بين الخدمة الكهنوتيّة والحياة الشخصيّة، والخطر الأكبر يكمن في أن يختبر الكاهن ألم التباعد وانفصال هُويّته الشخصيّة عن دعوته الكهنوتيّة. هذا الطلاق غالبًا ما يُترجَم في حياةٍ روحيّةٍ سطحيّةٍ تكتفي بممارسةٍ خارجيّةٍ للأسرار من دون أيّ تفاعلٍ شخصيٍّ عميقٍ. هذه الحالة يعزّزها واقع الروتين والانهماك في الرسالة، لكنّها تصبح خطرةً عندما تتحوّل مع الوقت إلى نهج حياةٍ.

هنا يأتي دور التنشئة لتؤسّس في حياة المدعوّ إلى الكهنوت قناعةً راسخةً غير قابلةٍ للتزعزع، قناعةً بضرورة السهر على العلاقة الشخصيّة المميّزة بالمسيح. وهل تقوم علاقةٌ بالمسيح من دون علاقة بالأفخارَسْتِيَا؟ أوَلَيس هذا السرّ سرّ حضور الله في وسط شعبه؟ أوَلَيس هذا السرّ هو ما يعلنه الكاهن أثناء احتفاله بالذبيحة الإلهيّة؟ لذا، من الضروريّ أن يتضمّن برنامج التنشئة وقتًا شخصيًّا يقضيه المدعوّ أمام القربان في عبادةٍ تنسج خيوط العلاقة الفريدة بالمسيح وتُدخِل الفرد إلى أعمق ما فيه ليقف بكلّ صدقٍ أمام ذاته.

تضع التنشئة الإكليريكيّ على طريق المصداقيّة ليبدأ برسم حياةٍ شفّافةٍ لا استعراضيّةٍ تغرق فيما بعد في النشاطات والمظاهر وداخلها فارغ. تؤكّد هذه التنشئة على أهميّة التطبّع بالربّ، فحياةٌ صادقةٌ تسعى إلى التمثّل بالمسيح، ولو حملت العديد من الكدمات، تبقى أفضل بكثيرٍ من حياةٍ برّاقةٍ خدّاعةٍ فارغةٍ تمثّل اتّباع المسيح. هنا يأتي دور المنشّئين في مرافقة المدعوّين منذ البدء إلى خوض غمار رحلةٍ روحيّةٍ صادقةٍ وشفّافةٍ مع الربّ.

3. أفخارَسْتِيَا مُعاشة

مسيرة بَذْل الذات وتأسيس علاقةٍ شخصةٍ بالمسيح لا بدّ من أن يتجلّيا في الحياة الرعويّة بشهادةٍ حيّةٍ تعكس شعور وأحاسيس المسيح "وأعطيكم رعاةً على حسب قلبي" (إر٣/ ١٥). في هذ السياق يقول البابا يوحنا بولس الثاني، العام ١٩٩٢، في إرشاده الرسوليّ "أعطيكم رعاة" في البند ٢٣: "بذل الذات الذي يجد في المحبة الرعويّة جذوره وخلاصته، يتوجّه إلى الكنيسة. هكذا علّمنا المسيح الذي "أحبّ الكنيسة وبذل ذاته لأجلها" (اف ٥ / ٢٥)، وهكذا يتصرّف الكاهن. المحبة الرعويّة تصيّر الممارسة الكهنوتية مهمّة حبّ، تمكّن

الكاهن الذي اعتنق طريق الخدمة من أن يجعل من كهنوته موضوع شغفه ومن الكنيسة والنفوس هدف إيثاره وعنايته. فإذا عاش الكاهن هذه الروحانيّة عيشًا واقعيًّا، أضحى في إمكانه أن يحبّ الكنيسة الجامعة والجزء الذي وُكِلَ إليه منها، حبّ الرجل لامرأته. التضحية بالذات ليس لها حدود لأنّها تتّسم بنفس ما اتّسمت به رسالة المسيح من انطلاقةٍ رسوليّةٍ ورساليّةٍ، فالمسيح هو القائل: "ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة. فتلك أيضًا لا بدّ لي من أن أقودها. وستصغي إلى صوتي فتكون هناك رعيةٌ واحدةٌ وراعٍ واحدٌ" (يو ١٠ / ١٦)."

ولعلّ أكثر كلمات البابا فرنسيس تداولًا هي ما قاله للكهنة في عظته مترئّسًا قدّاس تبريك الزيوت يوم خميس الأسرار العام ٢٠١٣: "هذا ما أطلبه منكم: كونوا رعاةً تفوح منهم رائحة القطيع!". وفيها شدّد على ضرورة الحضور من أجل شعب الله، ضرورة القرب منهم والاحتكاك بهم.

كلّ ما تقدّم يؤكّد لنا أنّ الكاهن الحاضر أمام سرّ الأفخارَسْتِيَا، أي أمام حضور الله السرّي في أعراض الخبز والخمر، يأتي حضوره لرعيّته امتدادًا تلقائيًّا من هذه العلاقة الحميمة بالقربان. فمن المسيح الصائر قربانًا من أجل شعبه يتعلّم الكاهن كيف يصير بدوره قربانًا من أجل رعيّته. حالة الحضور هذه ليست ببديهيّةٍ بل تهيّئ لها تنشئةٍ تصقل ذهن الكاهن ومبادئه لتجعله يعي أنّ السلطة التي أوكلتها إليه الكنيسة تستمدّ نموذجها من سلطة المسيح التي هي خدمة وحضور.

لذا، من الضروريّ أن تتطبّع التنشئة الرعويّة بالبُعد الأفخارَسْتيّ، أي ببُعد التهيّء للحضور بين الشعب لا لإدارة شؤونه فحسب. إنّ المبدأين الأوّل والثاني يبقيان عقيمين إذا لم يُترجما بهذا المبدأ الثالث، فبماذا ينتفع العالم إذا لم يرَ ثمار بذل الذات والعلاقة المتينة بالمسيح التي يعمل عليها الكاهن؟ ما يهمّ العالم ويقوده إلى الخلاص ليس كثرة النشاطات الرعويّة المتزايدة، ولا كثرة التنظيم أوالكماليّة في العمل، إنّما الحضور المحبّ الذي يعكس حضور المسيح في الأفخارَسْتِيَا.

في رسالة آباء المجمع إلى شعب الله، في أثناء الجمعيّة العامّة العاديّة الثامنة، عن تنشئة الكهنة في الأحوال الراهنة العام ١٩٩٠، ركّز الآباء السينودسيون على أنّ: "هويّتنا الكهنوتيّة، نبعها الأخير هو حبّ الآب. ونحن متّحدون سرّانيًّا بالابن الذي أرسله كاهنًا أعظم وراعيًا صالحًا، بالكهنوت الرعويّ وقدرة الروح القدس. حياة الكاهن وخدمته هما استمرار حياة المسيح نفسه ومواصلة عمله. تلك هي هُويّتنا، وحقيقة كرامتنا، وينبوع بهجتنا، ويقين حياتنا".

"استمرار حياة المسيح نفسه ومواصلة عمله" مسؤوليّتان مُلقاتان على الكاهن تليق أيضًا بالحديث عن الأفخارَسْتِيَا لأنّها سرّ "استمرار حياة المسيح ومواصلة عمله". البُعد الأفخارَسْتيّ في التنشئة الكهنوتيّة بُعدٌ أساسيٌّ لا يُستهان به لكي لا تضيع هُوِيّة الكاهن الحقيقيّة.

الكاهن والأفْخارَسْتِيَا

الخوري سايد مرّون

هناك ارتباط عضويّ لِهُوِيّة الكاهن بالأفخارَستِيا التي تُشكّل محور الخدمة الكَهَنوتيّة وأداة تقديس فعّالة جدًّا. نجد الكلام الأكثر تعبيرًا عن علاقة الكاهن بالأفخارَسْتِيَا أفخارَسْتِيَا في "دليل في خدمة الكهنة وحياتهم" الذي صدر عن مجمع الإكليروس السّنة ٢٠١٣: "إن الأفخارَسْتِيَا، التَّذكار السريّ لموت المسيح وقيامته من بين الأموات، والتمثيل الحقيقيَّ والفعّال للذبيحة الفدائية الوحيدة، ونبع وقمة الحياة المسيحيّة وكلِّ تبشيرٍ بالإنجيل، هي مبدأ الخدمة الكَهَنوتيّة ووسيلتها وغايتها، بما أن جميعَ الخِدْمات الكنسيّة والمَهامّ الرسوليّة مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بالأفخارَسْتِيَا وخاضعة لها. إنّ الكاهن، بوصفه مُكرَّسًا لديمومة الذبيحة المقدَّسة، يُظهر هكذا هُوِّيّته بأجلى بيان"[٢١].

انطلاقًا من الأهمية القصوى للأفخارَسْتِيَا في حياة الكاهن، سنلقي الضوء، وفي اختصار، استنادًا إلى بعض الوثائق الكنسيّة من تعليم البابوات وكتابات بعض اللّاهوتيين المعاصرين، على ثمر هذا السِّر كأداة تقديس فعّالة، وعلى النمط الأفخارَسْتي الذي يجب أن يطبع الكاهن في حياته الروحيّة وخدمته الراعويّة، وعلى كيفيّة الاحتفال بالذبيحة والجواب على هذه العطيّة.

أوَّلًا: ثمار الأفخارَسْتِيَا في حياة الكاهن

بداية، وممّا لا شكّ فيه، إنّ الأفخارَسْتِيَا تتّسم بقوّة تقديس للمؤمنين وللكاهن على حدّ سواء. لكنّنا، وبناء على موضوع بحثنا، سنتناول أثرها في حياة الكاهن. تكرّر الكنيسة كلمات وحركات يسوع في الأفخارَسْتِيَا. بالتالي، تستذكر العشاء السرّي والحدث الفِصْحيّ؛ وهكذا، يُصبحُ بالروح القدس الماضي الخلاصيّ حاضرًا خلاصيًّا، بمعنى أنّ ما حصل في تلك الليلة المقدّسة وفي الحدث الفِصْحيّ يصِلنا ويُدركنا بالروح القدس في نسيج حياتنا الحاضرة ويأخذ حضورًا آنيًّا، إذ يكتسي فعاليّة فداء وتقديس في واقعنا الكَهَنوتيّ الشخصيّ[٢٢]. الأفخارَسْتِيَا هي الاختبار الذي يُحقّق اللقاء العذب لقلب الكاهن وربّ القلوب. إنّها الحدث حيث يقترب الربّ مباشرة من الكهنة والمؤمنين.

---

[٢١] مجمع الإكليروس، "*دليل في خدمة الكهنة وحياتهم*"، روما، ٢٠١٣، الفقرة ٦٦.

[2] Cf. K. RAHNER, "*Sur l'Eucharistie*", Paris, Éd. L'Epi, 1966, p. 31.

إنها سرّ حضور المسيح المائت والقائم الذي يمنح كلًّا من المحتفل والجماعة عطيّة فداء، نعمة تقديس ورباط وَحْدة وحب، وبالتالي يبعث قوّة حياة إلهيّة.[٢٣] لقد أدركت الكنيسة، ومنذ القرون الأولى، القيمة المقدّسة للذبيحة الإلهيّة كمشاركة في قيامة الربّ وكنبع حياة إلهيّة مُحوِّلة لِكِيان المؤمن. نجد، في هذا الإطار، صلاة ليتورجيّة أنطاكيّة تعود إلى القرن الرابع، صلاة يُطلب فيها من الآب: "أرسل روحك القدّوس على القرابين المقدّمة لتُظهِر لنا أنّ هذا الخبز هو جسد ربّنا يسوع، وهذه الكأس هي دم يسوع بذاته، حتى إنّ كلّ الذين يأكلون منها يحصلون على الحياة والقيامة..."[٢٤].

تتميّز الأفخارَسْتِيَا بقيمة روحيّة لا بديل لها. في هذا الإطار، يُشير الدستور العقيديّ "نور الأمم" إلى أنّ الأفخارَسْتِيَا تشكّل "يَنبوعَ الحياة المسيحيّة وقمّتها".[٢٥] إنّها النبع الذي يرفد الكهنة والمؤمنين بعطيّة الروح القدس فيتقدّسون ويصبحون شهودًا للمسيح. إنّها القمّة التى يصبو إليها كلّ تلميذ للمسيح بحيث يقدّم حياته لله الآب بالمسيح الابن "ذبيحة حياة مَرْضيّة".[٢٦] في الواقع، بالأفخارَسْتِيَا تتحوّل حياة الكاهن بكلّ تفاصيلها إلى فعل عبادة روحيّة. لقد عبّر الإرشاد الرسوليّ "سرّ المحبة" عن القدرة المُحوِّلة للأفخارَسْتِيَا، هذه القدرة التي تقود إلى التماثل مع المسيح وتثبّت الكاهن في دعوته: "إنّه (الاحتفال الأفخارَسْتيّ) يهدف، من ثمَّ، إلى فعّاليّة روحيّة خاصّة، لأنه إذا عيش القدّاس بانتباهٍ وإيمانٍ تنجم عنه تنشئةٌ، بأعمق ما يعنيه التعبير، من حيث إنها تعزّز التماثل مع المسيح وتوطّد الكاهن في دعوته".[٢٧]

من ناحية أخرى، يعطي القديس البابا يوحنّا بولس الثّاني في إرشاده الرسوليّ "أعطيكم رعاة" تحديدًا لاهوتيًّا معبّرًا جدًّا بما يخصّ الهُوِّيّة الكَهَنوتيّة: "يجد الكاهن جوهر هُوِّيّته وملء حقيقته في أنّه شريك مميّز وامتداد للمسيح نفسه الكاهن الأعظم والأوحد للعهد الجديد. إنّه صورة حيّة شفّافة للمسيح الكاهن".[٢٨] ويشير في فِقْرة أخرى إلى المضمون ذاته: "حياة الكاهن وخدمته هما استمرار لحياة المسيح نفسه ومواصلة عمله".[٢٩] ويخلص بطريقة مؤثّرة إلى انعكاس هذه الحقيقة على الكاهن إذ يقول: "تلك هي هُوِّيّتنا، وحقيقة

---

2 Cf. *Ibid.*, p. 68. 3

2 L. BOUYER, L'Eucharistie,4Belgique, Desclée, 1990, p. 174. Cf.

٢٥ الدستور العقيديّ الكنيسة «**نور الأمم**»، الرقم ١١؛ را أيضًا القرار «**خدمة الكهنة...**»، الرقم ١٨.

٢٦ روم ١٢: ١.

٢٧ بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ «سرّ المحبّة»، ٢٠٠٧، الفقرة ٨٠.

٢٨ يوحنا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ «أعطيكم رعاة»، ١٩٩٢، الفقرة ١٢.

٢٩ المرجع ذاته ، الفقرة ١٨.

كرامتنا وينبوع بهجتنا ويقين حياتنا":[٣] إذًا، تؤهّل، الرسامةُ الكاهن "للمشاركة" في كَهَنوت المسيح، وتشكّل خدمته "امتدادًا" لرسالة المعلم، وبالتالي هو "صورة حيّة وشفّافة للمسيح". حين يقبل الكاهن جسد المسيح ودمه أثناء الاحتفال الأفخارَسْتي، يترسّخ في حقيقة كِيانه الكَهَنوتيّ ويتأصّل في هُوِيّته. بتعبير آخر، بالمناولة يشارك الكاهن في حياة المسيح الكاهن وبالتالي، يختبر ما هو عليه في صميم كَهَنوته الذي هو "مشاركة في كَهَنوت المسيح". إنّها نعمة تؤهّله لأن "يحيا بالمسيح" وأن يتجذّر في كونه "صورة حيّة للمسيح" الذي قبله في القربان. ما ناله بالرسامة يتوطّد بالقداس أيضًا.

وعلى صعيد آخر، تُسهِمُ الأفخارَستِيا في تفعيل العلاقة التي تربط الكاهن بالربّ الحبيب. الأفخارَسْتِيَا تُفعِّل في القلب رباط الحبّ بالمسيح الذي يستحوذ على كل كِيان الكاهن. في هذا الإطار، يستعمل البابا فرنسيس مصطلحًا لغويًّا مرتبطًا بالنار ليشرح أثر هذا السرّ في العلاقة بالمسيح، إذ يقول: "تُلهِبُ الأفخارَسْتِيَا في القلب شعلةَ الحبّ الإلهيّ".[٣١]

ثانيًا: في نمط حياة أفخارَسْتيّ

الكاهن مدعوّ إلى أن يقبل أن تحوّله نعمة القربان ويتبنّى بجديّة تامة روحانيّة أفْخارَسْتِيّة تجسّد ثمارًا في واقع حياته. إنّ الكلمات، التي يوجّهها الأسقف إلى المرتسم أثناء الرسامة في الطقس اللّاتيني، تعبّر عن الرباط الأكيد للاحتفال بالأفخارَسْتِيَا وبنمط الحياة الكَهَنوتيّ المدعوّ كلّ كاهن إلى أن يتبنّاه: "إذًا، كن واعيًا لما تعمل! اقتدِ بما أتممت! وبما أنك تحتفلُ بسرّ موت الربّ وقيامته من بين الأموات، احملْ موتَ المسيح في جسدك! وسِرْ في جدَّة حياته!".[٣٢]

في هذا الإطار، يشرح اللّاهوتي كارل راهنر أهميّة أن يقبل الكاهن النعمة المُحوِّلة لسرّ الأفخارَسْتِيَا: "الشيء الوحيد المطلوب من الكاهن هو "آمين" الإيمان والحب للعمل الذي يحقّقه الربّ فينا".[٣٣] بالنسبة إليه، إن وضَعنا في الإحتفال شيئًا من ذواتنا، إن قبلنا أن يستولي علينا ما يحصل بيننا ولأجلنا، نشترك، عندها، بـ"نعم" الابن لإرادة الآب المتسامية وغير المُدرَكة... وهكذا، ندخل في روحانية التسبيح والعبادة بالحقّ. بالتالي، نصير القربان والمقرّبين فتنفتح ذبيحةُ أيادينا وقلوبنا على ذبيحة المسيح، الذبيحة الوحيدة والدائمة.

---

[٣٠] المرجع ذاته.

[٣١] البابا فرنسيس، المقابلة العامة في ١٤ نيسان ٢٠١٨.

[3] Pontificale Romanum, *D[2]e ordinatione Espicsopi, Presbyterorum et Diaconorum*, II, 151, *l.c.*, 87-88.

[3] Cf. K. RAHNER, "*Sur l'Eu[3]charistie*", *op. cit*, p. 42.

عندها نتحوّل إلى عبّاد حقيقيين بالروح والحقّ، ونتحوّل إلى خلائق جديدة لأشخاص أضحى الموت بالنسبة إليهم دخولًا إلى الحياة، وينفتحون انطلاقًا من الـ"هنا والآن" إلى "زمن الله" إلى الحياة الأبدية... وهكذا، تُصبِح كلّ عناصر حياتنا متبنّاة في حياة الله ومحبة المسيح، وبالتالي تتمّ المُصالحة مع الله وتسقط قيودُنا وتُفتَح كلُّ المسارات والأفق.

بالسياق ذاته، وعلى حسب "دليل في خدمة الكهنة"، الكاهن مدعوّ إلى أن يُدرِجَ حياته في دينامية أفخارَسْتِيّة ويتبنّى ما يحصل في هذا السرّ حيث يقدّم الإبن ذاتَه ذبيحة حبٍّ لله الآب من أجل فداء البشر. المسيح يستولي على كِيان الكاهن، وهذا الأخير مدعوّ إلى أن يتبنّى نمط حياة المسيح: "بما أن الكاهنَ يُعيرُ المسيحَ، الكاهنَ الأعظمَ والأزليّ، ذكاءَه وإرادتَه وصوتَه ويدَيه، كي يستطيع، بخدمته، أن يقدّم المسيحُ للآب ذبيحةَ الفداء السرّيّة، عليه أيضًا أن يتبنّى استعداداتِ المعلّم ويعيش، كعطيّة لأخوته، على مثاله. بالتالي، عليه أن يتعلّم الاتحادَ الحميمَ بالتقدمة، واضعًا حياته كلَّها على المذبح، كعلامة حبّ الله المجّاني"[٣٤]. بالتالي، إنّ الروحانيّة الأفخارَسْتِيّة الأصيلة تنعكس محبة وخدمة وتقدمة ذات للإخوة، وهذا ما حدا اللّاهوتي الفرنسيّ غوستاف مارتيلي على التكلّم على "البُعد الاجتماعيّ" للقيامة الأفخارَسْتِيَا. بالنسبة إليه: الاتّحاد بالمسيح القائم بالأفخارَسْتِيَا يجب أن ينعكس في العلاقة بالآخرين. يتجسّد هذا البُعد الاجتماعيّ بفنٍّ جديد للحياة في قلب العالم يقوم على العطاء الكلّيّ للذات مثل المسيح.[٣٥]

يتكلّم البابا فرنسيس في تعليم بتاريخ ٤ نيسان ٢٠١٨ على الشهادة للأفخارَستيا التي تبدأ مع نهاية الاحتفال. كلامه موجّه إلى كلّ مؤمن؛ لكنه ينطبق بشكل أساسيّ على كلّ كاهن كون الأفخارَستِيا تشكّل محوَر حياته. بالنسبة إلى أسقف روما، يجب أن تنضج ثمار القداس في نسيج حياتنا اليوميّة. "فالأفخارَستيا تُلزِمُنا بالآخرين لا سيّما الفقراء إذا تعلّمنا الانتقال من جسد المسيح إلى جسد إخوتنا حيث ينتظر المسيح أن نعرفه ونخدمه ونكرمه ونحبه"[٣٦].

يعبّر البابا فرنسيس عن الرباط العميق للأفخارَسْتِيَا بالقداسة. فالأفخارَسْتِيَا تجعلنا رجالًا ونساء أفخارَسْتِيّين. يعني ذلك السماح للمسيح بأن يعمل فينا، فتُصبح أفكارُه أفكارَنا ومشاعرُه مشاعرَنا وخِياراتُه

---

[٣٤] مجمع الإكليروس، "*دليل في خدمة الكهنة وحياتهم*"، الفقرة ٦٦.

[35] *Cf.* G. MARTELET, *Resurrection, Eucharistie et genèse de l'homme*, Belgique,Desclée, 1972, p. 202.

[٣٦] راجع البابا فرنسيس، المقابلة العامة في ١٤ نيسان ٢٠١٨.

خياراتِنا: القداسة بالمفهوم المسيحيّ تعني أن نتشبّه بالمسيح. بالنّسبة إلى القديس بولس، القداسة هي التحوّل بالمسيح: "لَقَدْ صُلِبْتُ مَعَ المَسِيح: فلَسْتُ بَعْدُ أَنَا الحَيّ، بَلِ المَسِيحُ هُوَ الْحَيُّ فِيَّ."(غل ٢: ١٩ – ٢٠).

نحن نجاهد ضدّ أنانيتنا وضدّ كلّ ما يعارض الإنجيل ومحبة الله، وبالتالي نخلق مِساحة في داخلنا حيث تفعل قوّة الروح القدس. المسيحيّون مدعوّون إلى أن يجعلوا الروح القدس يوسّع نفوسهم بعد أن يكونوا قد تناولوا جسد ودم المسيح، فلا تبقى ضيّقة منغلقة صغيرة وأنانية.

إنّ الكاهن مدعوّ فعلًا إلى أن يجعل من حياته أفخارَستِيا دائمة، وذلك بانفتاحه على قوّة الروح، فيتماثل مع المسيح وتتجلّى فيه ثمار الحب: الخدمة والعطاء الكليّ للذات على مثال المعلّم الذي جعل من حياته قربانًا للآب وذبيحة حبّ للبشر.[٣٧]

ثالثًا: في واجب وكيفيّة الاحتفال بالأفْخارَسْتِيَا

سنتناول فيما يلي ضرورة الاحتفال اليوميّ بالأفخارَسْتِيَا، أهميّة الاستعداد التَقَوِيّ والوجوديّ[٣٨] للاحتفال بالقداس.

أ. الاحتفال اليوميّ

إنّ الكاهن مدعوّ إلى الإحتفال يوميًّا بالذبيحة الإلهيّة حتى من دون مشاركة المؤمنين. في هذا الإطار يقول "دليل في خدمة الكهنة": "من الضروريّ التذكير بالقيمة التي لا بديل لها والتي يجدها الكاهن في الاحتفال اليوميّ بالقداس، -"يَنبوعِ الحياة الكَهَنوتيّة وقمّتِها"-[٣٩]؛ حتى من دون مشاركة المؤمنين".

في السياق ذاته، يعلّم البابا بندكتوسُ السادسَ عشر: "مع آباءِ السينودس أوصي الكهنة، "بالاحتفال اليوميّ بالقدّاس، حتى من دون مشاركة المؤمنين". بادِئَ بَدْءٍ تتناسبُ هذه التوصيّة والقيمةَ اللّامتناهية في ذاتها التي يتّسم بها كلُّ احتفالٍ أفخارَسْتيّ؛ إنه يهدف، من ثمَّ، إلى فعّاليّة روحيّة خاصّة":[٤٠]

كذلك، يدعو الشرع الخاص للكنيسة المارونيّة الكاهن إلى الالتزام بأسس الحياة الروحيّة ومن ضمنها الاحتفال اليوميّ بالقداس:

---

[٣٧] راجع المرجع ذاته.

[٣٨] على حسب تعبير راهنر.

[٣٩] المجمع الفاتيكاني، «**نور الأمم**»، الفقرة ١١؛ راجع أيضًا القرار «**خدمة الكهنة...**»، الفقرة ١٨.

[٤٠] بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ «سرّ المحبّة»، ...، الفقرة ٨٠.

"على الكاهن، لكي يكون علامة لحضور المسيح وسط الجماعة، الالتزام بما يلي:
السّهر على حياته الروحيّة بالمثابرة على قراءة الكتب المقدّسة والتأمل فيها، وعلى الصّلاة الفرديّة والجماعيّة، ولا سيّما صلاة الفرض الإلهيّ، وعلى الإحتفال اليوميّ بالقداس الإلهيّ، واللجوء إلى سرّ التوبة بتواتر".[٤١]

نلاحظ أنّ الهدف الأساسيّ يكمن في أن يكون الكاهن أداة لحضور المسيح في جماعة المؤمنين، وهذا يقتضي الاحتفال بالأفخارَسْتِيَا. إنّ تحديد وتيرة القداسات "يوميًّا" يعكس الأهمية القصوى للممارسة المنتظمة لهذا السرّ في حياة ورسالة الكاهن.

ب. الاستعداد للاحتفال بالقدّاس

الكاهن مدعوّ إلى "أن يعيش قدّاسه كوقتٍ محوريٍّ لنهاره ولخدمته اليوميّة، وكَثَمَرةٍ لرغبةٍ صادقة ومناسبةٍ للقاءٍ عميقٍ وفعّالٍ بالمسيح". وعليه أن يستعدّ للذبيحة المقدّسة بحبّ ووَرَع وصمت داخليّ وذلك حتى "يعيشها بتقوى، من دون عَجَل، وفي احترام للقوانين الليتورجيّة وللرّوبريكات، كي ينال المؤمنون منها درسًا أصيلًا للتعليم المسيحيّ".[٤٢]

إنّ خبرة العديد من الكهنة تدلّ على أهمية الاستعداد الداخليّ للاحتفال الأفخارَسْتي بالصمت والصلاة. وهكذا، يتمكّن الكاهن من عيش القداس بطريقة عميقة جدًّا وبوَرَع وتقوى فيستطيع بالتالي الدخول أكثر في السرّ الذي يحتفل به، ويتمكّن من اختبار "المشاركة الكثيفة "[٤٣] على حسب تعبير اللّاهوتي راهنر.

خ. الاستعداد وجوديًّا للاحتفال بالقدّاس[٤٤]

لقد تكلّم اللّاهوتي اليسوعيّ كارل راهنر على كيفيّة المشاركة في القداس وثمارها، وذلك لجميع المؤمنين؛ لكنّ كلامه ينطبق بشكل أساسيّ على الكاهن المدعوّ إلى أن يعيش الروحانية الأفخارَسْتيّة بطريقة جذرية في كَون الاحتفال بهذا السرّ يُشكّل خدمة أساسيّة ومحوريّة في حياة الكاهن.

يميّز راهنر بُعدَين للمشاركة في القداس: البُعد الوجوديّ ويسميّه "القداس في الحياة الشخصيّة"، والبُعد الاحتفاليّ للقدّاس المُحتفَل به أي "القدّاس الأسراريّ".

---

[٤١] البطريركية المارونية، *الشرع الخاص بالكنيسة المارونيّة*، بكركي، ٢٠١٨، المادة ٩٩ البند ١.

[٤٢] را المرجع السابق نفسه، الرقم ٦٤.

[43] K.RAHNER, *L'Eucharistie et les hommes d'aujourd'hui,* Paris, Mame, 1996 p,57.

[44] *Cf. Ibid.*

كيف يُعاش "القداس في الحياة الشخصيّة"؟ يشير اللّاهوتي الألمانيّ إلى أهميّة أن ينمو في حياة المؤمنين، وبالأحرى الكهنة، كل ما له صِلة بالاحتفال في الأفخارَستِيا؛ أي أن تتميّز حياتهم اليوميّة خارج الكنيسة بروحانيّة صلاة، صمت، تأمّل، تمييز لعلامات حضور الربّ في قلب الواقع والانفتاح عليه، الشوق إلى لقاء الربّ، تقدمة الذات لله الآب في كلّ الظروف الحياتيّة... هذا ما يسمّيه بـ"القداس في الحياة". إنّ هذه الممارسات تشكّل أداة للمشاركة بطريقة عميقة جدًّا في القداس في الكنيسة إذ يصبح من السهل لِمَن اعتادها في حياته الشخصيّة أن يعيشها في الاحتفال الأفخارَسْتي.

على سبيل المثال، واستنادا إلى تفكير راهنر، علينا أن نكون أتقياء لكي نستطيع أن نحتفل بالقداس بتقوى... علينا أن نعتاد الانفتاح على الربّ في حياتنا اليوميّة ليكون سهلًا الانفتاح العميق عليه في القداس. نحن مدعوّون إلى أن نقدّم له كل أعمالنا اليوميّة كقربان مقبول لله الآب كيما نُقدِّم مع الابن ذبيحة حياتنا للآب أثناء القداس... وهنا يلاقي راهنر تفكير مار بولس في رسالته إلى أهل روما:" إِذًا أُنَاشِدُكُم، أَيُّهَا الإِخْوَة، بِمَرَاحِمِ الله، أَنْ تُقَرِّبُوا أَجْسَادَكُم ذَبيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً لله: تِلْكَ هيَ عِبَادَتُكُم الرُّوحِيَّة!" (روم ١٢:١). وبالتالي، تغدو الحياة في الجسد مادّة عبادة فقربانًا مرفوعًا إلى الله الآب .

ويقول راهنر إنّ عدم عيش" القداس في الحياة الشخصيّة" يُفقِد "القداس في الكنيسة" أن يكون التعبير الأسراريّ عن القدّاس المعاش في الحياة الشخصيّة. ومن ثم، ينتهي إلى هذه الخلاصة الروحيّة اللاهوتيّة المعبّرة:

" إن القداس في الحياة يشكّل شرطًا مُسبَقًا للقداس في الكنيسة"؛[٥]

في المقابل، وبالنسبة إلى اللّاهوتيّ الألماني، الاحتفال الأسراريّ يجب أن ينعكس وجوديًّا في حياة المؤمن، أي أن المشاركة في القداس تُدخِلُ المسيحَ الحَيّ المائت والقائم في حياة المؤمن. والمشاركة الأسراريّة الحقيقيّة في القداس تدفع المؤمن إلى أن يقدّم حياته اليوميّة تقدمة مقدّسة بالمسيح ومع المسيح. وبذلك، يكتسب المؤمن تكرّسًا في قلب وجوده يمنحه فيضًا روحيًّا وثمارًا روحيّة متجسّدة في واقعه.

رابعًا. العبادة الأَفْخارَسْتِيَّة

يشير البابا بندكتوس السادس عشر إلى أهميّة الأفخارَسْتِيَا في الاختبار الروحيّ للكاهن. وبالتالي الكاهن مدعوّ لا إلى أن يحتفل بالذبيحة فحسب بل إلى أن يعيش، أيضًا، السّجود للقربان المقدّس: "يجب أن

[4] *Cf. Ibid* [5]

تظهر محوريّة الأفخارَسْتِيَا، ليس فقط في احتفال حيّ ولائقٍ بالذبيحة، بل بعبادة القربان الأقدس المتواترة، كي يظهر الكاهنُ أيضًا كمثالٍ للجماعة بتعبّده للأفخارَسْتِيَا وتأمّله الدائم أمام السيّد الحاضر في بيت القربان".[٤٦]

والبابا القديس يوحنّا بولس الثاني يؤسّس العبادة للربّ الحاضر في القربان على أسس الإيمان والحب: "الإيمانُ والحبُّ نحو الأفخارَسْتِيَا لا يمكنهما السماحَ لحضور المسيح بأن يبقى في بيت القربان وحيدًا".[٤٧] إنّ مثال الرعاة الذين يعبدون الربّ في القربان المقدّس سيفعّل هذه الممارسة لدى المؤمنين: "سيبحث المؤمنون خلال الأسبوع عن أوقاتٍ يقصدون فيها الكنيسة ويعبدون الربّ الحاضر في بيت القربان، يدفعهم إلى ذلك مَثَلُ إيمان رعاتهم".[٤٨]

خامسًا. في أسلوب الاحتفال بالأَفْخارَسْتِيَا

أ. في طريقة الاحتفال

يعطي "دليل في خدمة الكهنة"[٤٩] شرحًا مسهبًا لكيفيّة الاحتفال بالقدّاس:

"في ثقافة تزداد على الدوام تحسّسًا بالتواصل بالإشارات والصورة، على الكاهن أن يكرّس انتباهًا مناسبًا لكلّ ما يمكنه أن يرفع من كرامة الاحتفال الأفخارَسْتِيّ وطابَعه القدْسيّ". ثم ينتقل إلى التفاصيل: "من المهمّ في ذلك الاحتفال الاعتناءُ الخاصُّ بملاءمه المكان ونظافته، وهندسة المذبح وبيت القربان، وكرامة الأواني المقدّسة والبِذْلات، والترنيم والموسيقى، والصمت المقدّس، واستعمال البخور في أثناء الاحتفالات الرسميّة...إلخ"، تستند الوثيقة الكنسية إلى أساسٍ كتابيّ من العهد الجديد: "مكرّرًا (أي الكاهن) ما قامت به مريمُ من عملٍ محبٍّ نحو الربّ عندما "أخذت قارورة طيبٍ من سنبل النارَدين كثيرِ الثمن ودهنت قدمَي يسوع ومسحتهما بشعرها، فامتلأ البيت من رائحة الطيب" (يو ١٢: ٣).

من ثم، تعرض الوثيقة انعكاس طريقة الاحتفال على المؤمنين:

"يمكن كلّ تلك العناصرَ أن تُسهم في مشاركة فضلى في الذبيحة الأفخارَستية. في الواقع، إنَّ قلّة الانتباه لما ترمز إليه الليتورجيا، بل أكثرَ من ذلك، الإهمالَ والتسرّع والسَّطحيّةَ والفوضى تُفرغ

---

[٤٦] بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ «سرّ المحبّة»، الفقرة٦٨.

[٤٧] يوحنا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ «أعطيكم رعاة»، الفقرة ٤٨.

[٤٨] بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ «سرّ المحبّة»، الفقرة ٦٦.

[٤٩] مجمع الإكليروس، "*دليل في خدمة الكهنة وحياتهم*"، الفقرة ٦٧.

اللّيتورجيا من معناها وتُضعِف وظيفتها في إنماء الإيمان. مَن أساءَ الاحتفالَ يُظهِر ضعف إيمانه ولا يربّي الآخرين على الإيمان. في المقابل، يشكّل حسنُ الاحتفال درسَ أوّل وأهمّ درس من دروس التعليم المسيحيّ في الذبيحة المقدّسة":[50]

ب. البُعد الكنسيّ للاحتفال بالأفْخارَسْتِيَا

هناك بُعد كنسيّ أساسيّ للاحتفال الأفخارَسْتي. الأفخارَسْتِيَا تخصّ جماعة الكنيسة وليس شخص الكاهن منفردًا. أسلوب الاحتفال يعكس مدى محبّة الكاهن للكنيسة وطاعته لها. يتناول "دليل في خدمة الكهنة" البُعد الكنسيّ للاحتفال الليتورجيّ بطريقة معبّرة:

من الواجب السّهرُ بالأخصّ على اتّباع القوانين الليتورجيّة، بأمانة كبيرة، في أثناء الاحتفال الأفخارَسْتيّ. "إنّها (القوانين) تعبيرٌ حسّيٌ عن طابَع الأفخارَستيا الكنسيّ الحقيقيّ؛ هذا هو معناها الأعمق. الليتورجيا ليست البتّة ملكًا خاصًّا لأحد، لا للمحتفل ولا للجماعة حيث يُحتفَل بالأسرار. [...] في عصرنا أيضًا، يجب أن يُكتشَف من جديد الإذعان للقوانين الليتورجيّة وإظهار قيمتها كانعكاس وشهادةٍ للكنيسة الواحدة الجامعة، الحاضرة في كلّ احتفال بالأفخارَسْتِيَا. إنّ الكاهن الذي يحتفل بأمانةٍ بالقداس، وَفقًا للقوانين الليتورجيّة، والجماعة التي تتقيّد بها، يعبّران بطريقة صامتة بليغة عن حبّهما للكنيسة"![51]

إن الالتزام بالاحتفال على حسب التوصيات الكنسيّة يدلّ على الأساس الكنسيّ العام للاحتفال الليتورجيّ. بتعبير آخر، الاحتفال الأفخارَسْتي هو احتفال الكنيسة التي تضع قواعده وتصلّي من خلاله. لذلك، من الطبيعي الالتزام بتوصيات الكنيسة في طريقة الاحتفال، وكلّ تصرّف عكس ذلك يُناقِض الروح الكنسيّة:

"هكذا، في ما يضعُ الكاهنُ في خدمة الاحتفال الأفخارَستيّ جميعَ مواهبه كي ينعشَه بمشاركة جميع المؤمنين، عليه أن يتمسّك بالطقس المقرّر في الكتب الليتورجيّة التي صدَّقَت عليها السّلطة المختصّة، من دون إضافة أيّ شيء أو حذفه أو تبديله. الاحتفال بهذه الطريقة يصبح مرادفًا للاحتفال مع

[50] المرجع ذاته.

[51] المرجع ذاته.

الكنيسة: فلا يعمل المحتفل أيَّ شيءٍ لحسابه الخاصّ بل إنه، مع الكنيسة، يحاور الله. وهذا ما يعزّز أيضًا مشاركة المؤمنين في الليتورجيّا المقدّسة، مشاركة مناسبةً وفاعلة"؛[52]

أخيرًا، يشير "دليل في خدمة الكهنة" إلى انعكاس طريقة الاحتفال على نوعية مشاركة المؤمنين: "إنّ فنَّ الاحتفال هو الشرط الأفضل لمشاركةٍ فعّالة. فنُّ الاحتفال ينجم عن الإذعان بأمانة للقوانين الليتورجيّة في مجملها، لأنّ هذه الطريقة في الاحتفال، هي التي أمّنت، منذ ألفي عام، حياةَ إيمانِ جميع المؤمنين، المدعوّين إلى عيش الاحتفال بوصفهم شعبَ الله، كَهَنوتًا ملوكيًّا، أمّة مقدَّسة (را ١ بط ٢: ٤-٥، ٩)"[53].

خاتمة

أمام غنى عطية الأفخارَسْتِيَا، يحتاج الكاهن إلى موهبة الفهم الروحيّ ليُدرِك، بقدر المستطاع، قيمة السرّ الذي يحتفل به. إنّه مدعوّ إلى الصّلاة كي يمنحه الربّ هذه النّعمة. بالتالي، تبقى الأفخارَسْتِيَا عقيمة في حياة الكاهن إن لم ينفتح هذا الأخير على حقيقة السرّ ويتبنّى بجديّة تامّة الأسلوب الكنسيّ للاحتفال، ويتحضّر روحيًّا لذلك، ويدع نفسه يقودها المسيح لتتحوّل حياته بدورها إلى قربان مقدّس مرفوع لله الآب، وإلى عطيّة حبّ للإخوة.

---

[52] المرجع ذاته.

[53] بندكتوس السادس عشر: الإرشاد الرسوليّ «**سرّ المحبّة**»، الرقم ٣٨.

كيف يستعدُّ المؤمن للمشاركة في القُدَّاس؟ نصائح عمليَّة

الخوري دانيال زغيب

مقدَّمة

"أنا هو الخبزُ الحيّ النَّازِل من السَّماء. مَنْ يأكلْ مِنْ هذا الخبز يَحيَ إلى الأبد" (يو ٦: ٥١). فيسوع المسيح، كلمةُ الله، هو الخبزُ النَّازِل من السَّماء، وهو عينه الخبزُ والخمر اللَّذان يستحيلان إلى جسده ودمه في الاحتفال القربانيّ؛ أليس هو القائل: "والخبزُ الَّذي أنا أُعطيهِ هو جسدي، من أجل حياة العالم" (لو ٦: ٥١). لذلك، يُدخِلُ القُدَّاسُ المؤمنَ الَّذي يحتفل بذِكْر (mémorial) موت الابن الوحيد وقيامته، بناءً على طلبه (راجع لو ٢٢: ١٩)، في علاقةٍ خاصَّةٍ بأبيه السَّماويّ، "أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم" (يو ٢٠: ١٧)، وبروحه القدُّوس "البرقليط المُعزّي" (يو ١٦: ٧) الَّذي يقود خُطى التَّلاميذ "في الحقّ كلِّه" (يو ١٦: ١٣). ولمَّا علِمَ "يسوعُ أنَّ ساعتَهُ حانَتْ ليَعبُرَ مِنْ هذا العالمِ إلى الآب" (يو ١٣: ١)، "اتَّكَأَ ومعه الرُّسُل" (لو ٢٢: ١٤)، فأدخلَ تلاميذَه في "ساعتِه" هذه، أي في سرِّ موتِه وقيامته، فغسَلَ أرجلَهم وأعطاهم وصيَّةً جديدةً وذبيحةً جديدة: أعطاهم أنْ يُحِبُّوا بعضُهم بعضًا كما هو أحبَّهم (راجع يو ١٣: ٣٤)، وأعطاهم جسدَه ودمَه (راجع لو ٢٢: ١٩-٢٠) قربانًا شهيًّا إلى الأبد. وبتلاميذه، أدخلَ يسوعُ الكنيسة جمعاء، في سرِّ الفداء والخلاص، وسلَّمها "سرَّ الإيمان". وقد بلغ هذا التَّسليم إلى بولس الرَّسول الَّذي سلَّمه إلى الكنائس المسيحيَّة الَّتي أسَّسها (راجع ١ قور ١١: ٢٣-٢٩)، ودعا كلّ إنسان إلى أنْ يمتحِنَ نفسَهُ قبْل أنْ "يأكلَ خبزَ الرَّبِّ ويشربَ كأسَه" (١ قور ١١: ٢٧).

هذا السِّر العظيم الَّذي يُدخِل المسيحيّ في علاقةٍ وثيقةٍ بالثَّالوث وبالكنيسة، أي سرُّ القربان، هو سرُّ الأسرار وهو "يَنبوع الحياة المسيحيَّة كلّها وذروتها"[٥٤] ويورد **المجمع البطريركيّ المارونيّ**، في موضوع القُدَّاس، ما يلي: "يشكِّل الاحتفال بالقدَّاس محور العبادة المسيحيَّة، فهو الاحتفال بسرِّ التَّدبير الخلاصيّ، الَّذي حقَّقه ربُّنا يسوع المسيح. إنَّه سرُّ موته وقيامته وإعطائه الكنيسة جسده ودمه. السَّيِّد المسيح حاضرٌ في كنيسته بكلمته المحيية وبالمائدة الإفْخارَسْتِيَّة حيث يمثِّل أعلى درجات الحضور"[٥٥]

---

[٥٤] المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني، دستورعقائديّ في الكنيسة، العدد ١١.

[٥٥] المجمع البطريركيّ المارونيّ (٢٠٠٣-٢٠٠٦). النُّصوص والتَّوصيات، بكركي، الطَّبعة الأولى، ٢٠٠٦، النَّصّ ١٢: اللِّيتورجيَّا، العدد ٤٧، ص ٤٣٧.

أمام عَظَمة هذا السِّرّ، ونظرًا لأهمّيّة الاحتفال بالقُدَّاس،[٥٦] ولا سيَّما في يوم الرَّبّ، يوم الأحد، يسعى المؤمن إلى أنْ يستعِدَّ استعدادًا لائقًا لكي يتمكَّن من النَّهلِ من هذا اليَنبوع الَّذي لا ينضب، ينبوع الرَّبّ يسوع: جسده ودمه. وفي أحيانًا، لا يولي المسيحيُّون هذا الاستعداد الأهمِّيَّة الَّتي يستحقُّها. فيأتون إلى القُدَّاس من دون أنْ يدرِكوا قيمة الاحتفال الطقسيّة، أو ما هي المناسبة الطقسيّة، أو في أيِّ تَذْكارٍ يحتفلون.[٥٧]

لذا، نسعى، في هذا المقال، إلى أنْ نُقدِّم بعض النَّصائح العمليَّة الَّتي قد تنفع مَنْ يرغب في أنْ يتهيَّأ للاحتفال القربانيّ، وفي أنْ يجعل عائلته تستعدُّ له. ونسلك، هنا، خمسة طرق، هي الآتية: تهيئة القلب، وقراءة الكُتُب المقدَّسة مسبَّقًا، والحضور قبْل الوقت إلى الكنيسة، والمشاركة التَّامَّة والواعية في القدَّاس، وأخْذ المقاصد للأسبوع الَّذي يلي الأحد، ومشاركتها أفراد العائلة.

1- تهيئة القلب ليوم الأحد وللقدَّاس

إنَّ يوم الأحد، أو يوم الرَّبّ، هو ذروة أيَّام الأسبوع كلِّها: إنَّه اليوم الأوَّل و"اليوم الثَّامن"، أي "صورة الأبديَّة". إنَّه اليوم الَّذي يحتفل فيه المسيحيُّون بقيامة الرَّبِّ يسوع من بين الأموات، وبعمل الله الخالق، وبإفاضة الرُّوح القدس عليهم.[٥٨] وتلتقي الجماعة المؤمنة في هذا اليوم عينه حول مائدة الكلمة والمائدة القربانيَّة لترفع شكرَها للآبِ وابنه وروحه القدُّوس، إفخارَسْتِيَا فصحيَّةً ووليمةً أخويَّة، بناء على أمر الرَّبِّ يسوع: "اصنعوا هذا لذكري" (لو ٢٢: ١٩). لذا، يتهيَّأ المؤمن للقاء الرَّبّ في القُدَّاس؛ لأنَّ اللقاء هو لقاء الحبيب حبيبه، ولقاء المؤمن أخيه المؤمن، أي لقاء الجماعة الكنسيَّة كلِّها مصدر حياتها وخلاصها: يسوع المسيح. من هنا أهمّيَّة أنْ يستعدّ قلب المسيحيّ، أي كِيانه كلُّه، لهذا اللِّقاء بشوقه وتوقه إلى لقاء الرَّبّ ولقاء الأخوة. فلا يذهب متكاسلًا أو متذمِّرًا أو مُتَرَدِّدًا بسبب مشاغل الدُّنيا وهمومها. لا بل العكس، ليَعتَبِر هذا اللِّقاء فرصة لتجديد حياته ومسيرته، إذا أتعبه الأسبوع المنصرم أو أحبَطه، أو إذا أرهَقَتْهُ علاقاته الشَّخصيَّة والمجتمعيَّة. يُهيِّئُ المؤمن ذاته متأكِّدًا أنَّ الرَّبَّ سيخاطبه، شخصيًّا، ويُعطيه كلمةَ حياةٍ ورجاءٍ وسْط ما قد يعيشه من

---

[٥٦] نقترح على القارئ هذَين الكتابَين اللَّذين يجمعان في مضمونهما البعد اللَّاهوتي بالبُعد اللِّيتورجيّ، راجع Henri DENIS, *Pour célébrer l'eucharistie*, Coll. «Vivre, croire, célébrer», Les Éditions Ouvrières, Paris, 1989; Philippe BÉGUERIE, *Pour vivre l'Eucharistie*, Les Éditions du Cerf, Paris, 1993.

[٥٧] راجع دانيال زغيب، "الأفخارَسْتِيَا بين اللَّاهوت واللِّيتورجيَّا"، **المجلَّة اللِّيتورجيَّة** ٦، ٢٤ (٢٠١٤) ٢٠٩-٢١٥.

[٥٨] راجع يوحنَّا بولس الثَّاني، رسالةٌ رسوليَّةٌ **يوم الرَّبّ (*Dies Domini*). في تقديس يوم الأحد**، ٣١ أيَّار ١٩٩٨، الأعداد ١، ٢٦، ٢٨، منشورات اللَّجنة الأسقفيَّة لوسائل الإعلام، جل الدِّيب-لبنان، ص ٣، ٣٣، ٣٦.

اضطرابٍ وقلق؛ وأنَّه سيفيض عليه روحَه المحيي، فيختبر "المسيحيُّون في الفرح ما اختبره الرُّسُل في لقائهم النَّاهض من بين الأموات، وينتعشون بنسمة روحه".[٥٩] هذا القلب المضطرم بمحبَّة الرَّبِّ ومحبَّة الأُخوة، والمُنفتِح على الآخر، يمكنه أنْ يتقبَّل اللِّقاء القربانيّ بانفتاحٍ وطواعيَّة، وأنْ ينال النِّعَم الغزيرة الَّتي يُعِدُّها الله للَّذين يُحِبُّونه (١ قور ٢: ٩).

2- قراءة النُّصوص الكِتابيَّة مُسبَّقًا

يتألَّف القُدَّاس مِنْ قسَمين أساسيَّين مرتبط أحدهما بالآخر، ألا وهما: ليتورجيَّا الكلمة (أو خِدْمة الكلمة)[٦٠] وليتورجيَّا الأفْخارَستِيَا (أو الصَّلاة القربانيَّة أو النَّافور)، بحيث يؤلِّفان عملًا طقسيًّا واحدًا.[٦١] ويؤكِّد بنديكتُس السَّادس عشر على أنَّ "كلمة الله المَقْرُوءة في الكنيسة والمُبَشَّر بها في الليتورجيّا تقود إلى الأفْخارَستِيَا كما إلى غايتها الطَّبيعيَّة".[٦٢] فالمسيح حاضرٌ في كلّ عملٍ طقسيّ، لذلك هو لا يتكلَّم في الماضي، بل يتكلَّم في حاضر الجماعة المؤمنة. وبالتَّالي، عندما يُقرأ الكتاب المقدَّس، هو الرَّبُّ مَنْ يخاطب شعبه اليوم ويحاوره، كما تخاطب الأمُّ ابنها.[٦٣] من هنا، "فإنَّ معرفة كلمة الله ودرسها يسمحان لنا بأنْ نثمِّن الأفْخارَستِيَا ونحتفل بها ونعيشها بنوعٍ أفضل".[٦٤]

يمكن المؤمنَ، استعدادًا لقُدَّاس الأحد، أنْ يعتمد وسيلةً عمليَّةً تساعده على ألفة كلمة الله، ألا وهي "**القراءة الرَّبِّيَّة**" (*lectio divina*)؟[٦٥] ترتكز هذه الممارسة الرُّوحيَّة على قراءة كلمة الله في وقتٍ مخصَّصٍ للصَّلاة، ما يسمح للكلمة بأنْ تُنير القارئ-المصلِّي وتُجَدِّد حياتَه. إذ يقرأ الإنسانُ نصّ الرِّسالة ونصّ الإنجيل بهدوء، طارحًا على نفسه مجموعة من الأسئلة، منها: ماذا يقول هذا النَّصّ لي أنا؟ وماذا يريد الرَّبُّ أنْ يغيِّر في

---

[٥٩] **المرجع نفسه**، العدد ٢٨، ص ٣٧.

[٦٠] راجع دانيال زغيب، "الكتاب المقدَّس واللِّيتورجيَّا. الاحتفال اللِّيتورجيّ بكلمة الله". **المنارة** ٤٩، ١-٢ (٢٠١٢) ٤٧-٧٢.

[٦١] بنديكتُس السَّادس عشر، إرشادٌ رسوليٌّ **سِرُّ المحبَّة** (***Sacramentum Caritatis***). **سِرُّ الأفخارَسْتِيَا نبع وذروة حياة الكنيسة ورسالتها**، حاضرة الفاتيكان، ٢٢ شباط ٢٠٠٧، العدد ٤٤، منشورات اللَّجنة الأسقفيَّة لوسائل الإعلام، جل الدِّيب-لبنان، ص ٦٥.

[٦٢] بنديكتُس السَّادس عشر، إرشادٌ رسوليٌّ **سِرُّ المحبَّة** (***Sacramentum Caritatis***). **سِرُّ الأفخارَسْتِيَا نبع وذروة حياة الكنيسة ورسالتها**، حاضرة الفاتيكان، ٢٢ شباط ٢٠٠٧، العدد ٤٤، منشورات اللَّجنة الأسقفيَّة لوسائل الإعلام، جل الدِّيب-لبنان، ص ٦٥.

[٦٣] راجع فرنسيس، إرشادٌ رسوليّ **فرح الإنجيل** (***Evangelii Gaudium***). **البشارة بالإنجيل في عالم اليوم**، حاضرة الفاتيكان، ٢٤ تشرين الثَّاني ٢٠١٣، العدد ١٣٩، منشورات اللَّجنة الأسقفيَّة لوسائل الإعلام، جل الدِّيب-لبنان، ص ١١٣.

[٦٤] بنديكتُس السَّادس عشر، إرشادٌ رسوليٌّ **سِرُّ المحبَّة**، العدد ٤٥، ص ٦٦.

[٦٥] راجع جيورجيو زِفيني، **القراءة الرَّبَّانيَّة** *Lectio Divina*. **روحانيَّتها-أسلوبها-ممارستها**، سلسلة "صفحات روحيَّة"- ٢٤، منشورات المكتبة البولسيَّة، ٢٠٠٥؛ Domonique POIREL, «La lectio divina, vie spirituelle», *Communio* XIX, 3 (mai-juin 1994), p. 25-49.

حياتي، بهذا النَّصّ؟ وما الَّذي يُسبِّب لي السَّأم في هذا النَّصّ؟ (...) أو: ما الَّذي يعجبني ويُحَفِّزني في هذه الكلمة؟ وما الَّذي يجتذبني؟ وماذا أقول للرَّبّ كجوابٍ على كلامه لي، انطلاقًا من القراءة الَّتي تأمَّلْتُ فيها؟ وإلى أيّ فعلٍ أو عملٍ أو سلوكٍ تقودوني هذه الكلمة؟[٦٦] كذلك، يستطيع المؤمن أنْ يتعمَّق في دراسة النَّصّ البيبليّ ليتمكَّن من اكتشاف إطار النَّصّ ومعناه الأساسيّ والشُّروحات اللَّاهوتيَّة والرُّوحيَّة الَّتي كُتِبَتْ في شأنه.

وهذا أفضل استعدادٍ لقُدَّاس الأحد، إذا تأمَّل المؤمن في القراءتَين المأخوذتَين من كتاب الرَّسائل وكتاب الإنجيل، أو من كتاب قراءات العهد القديم لقُدَّاس الآحاد والأعياد، يمكنه أنْ يدخل إلى عمق الحدث الخلاصيّ الَّذي سيحتفل به مع الجماعة المؤمنة، لأنَّ الأفْخارَستِيَا تبدأ بخدمة الكلمة بإعلان القراءات وتشرحها، وتُتَوَّج بالذَّبيحة القربانيَّة غير الدَّمويَّة.

أمَّا في ما يتعلَّق بالأطفال والأولاد، فجميلٌ أنْ يقوم الوالدون بقراءة إنجيل الأحد وشرحه لهم؛ إذ يخبر الأب أو الأمّ فحوى الإنجيل، بطريقةٍ مشوِّقة، أو يقرآنِهِ على مسمع الأولاد، ويتشاركان وإيَّاهم في ما جاء فيه، ويستمعانِ إلى تعليقاتهم وكيفيَّة فهمهم للنَّصّ. وكما يمكنهم أنْ يُعِدُّوا لهم كُتبًا مقدَّسةً خاصَّةً بالأولاد، تتضمَّن صورًا وتَصاويرَ، أو دفاترَ لتَلوين الحدث البيبليّ أو لرَسْم المشهد الإنجيليّ.

3- الحضور قَبْل الوقت إلى الكنيسة، والصَّلاة قبْل القُدَّاس

يتسابق الإنسان المعاصر مع الزَّمن، ويُصارع الوقتَ، إذ هو في حال "ركْضٍ" دائم، وحياته لا تعرف الهدوء والسَّكينة، منذ أنْ يفتح عينَيه صباحًا إلى أنْ يخلد إلى النَّوم. لذا، يأتي الأحد والعيد لـ"يكسر" روتين الحياة اليوميَّة، وليُقيم قطيعةً معها، ويتفرَّغ لما هو "أهمّ" من العمل والكَدِّ والسَّعْي.

ولأنَّ المؤمن يعيش في عالم ضجيجٍ وصَخَبٍ، في عالم السُّرعة و"العجقة"، مِنَ المناسب جدًّا أنْ يعتبر المؤمن قُدَّاس الأحد وقتًا مميَّزًا في حياته، وقتًا يخرج فيه عمَّا يفعله بشكلٍ اعتياديٍّ، يوميًّا. لذا، من المهمّ أنْ يحضر المؤمن أو تحضر العائلة، إلى القُدَّاس قبْل الوقت المحدَّد بقليل، بخاصَّةٍ مع الأولاد: يدخل المؤمن (أو العائلة) الكنيسة، يجلس في مكانه، ويسعى إلى أنْ يؤمِّن حالًا من الصَّمت والسَّكينة للمشاركة في القُدَّاس.

---

[٦٦] يُقدِّم بنديكتُس السَّادس عشر المراحل الأربع لإتمام القراءة الرَّبِّيَّة، بشكلٍ موجزٍ وواضحٍ ومشوِّق، في: بنديكتُس السَّادس عشر، إرشادٌ رسوليٌّ **كلمة الرَّبّ (*Verbum Domini*)**. **كلمة الله في حياة الكنيسة ورسالتها**، حاضرة الفاتيكان، ٣٠ أيلول ٢٠١٠، العددان ٨٦-٨٧، منشورات اللَّجنة الأسقفيَّة لوسائل الإعلام، جل الدِّيب-لبنان، ص ١٤٨-١٥٤.

بعد ذلك، يعمد الإنسان إلى مراجعة حياةٍ سريعة لِما حدث معه في الأسبوع المنصرم، وما المقاصِد الَّتي أخذها على عاتقه: ما حقَّقه منها، وما لم يستطِع تحقيقه؟ وإذا سبق له أنْ قرأ الرِّسالة والإنجيل الخاصَّين بالمناسبة الطقسيّة، يمكنه أنْ يتذكّر من جديدٍ أبرز ما تأمَّل فيه، وما لفتَ انتباهَه وأعجبه في النَّصّ الكِتابيّ. ومن ثَمَّ، يعمد إلى تلاوة صلاةٍ عَفْوِيَّةٍ يُضَمِّنها فِعْلَ شُكْران للرَّبِّ عطاياه ونِعَمَه، وفِعْلَ استغفارٍ مِمَّا ارتكبه من تجاوزاتٍ وخطايا تجاه أخيه الإنسان، ومن قلَّة أمانته لله وفي عمله، على سبيل المثال. كما يمكنه، إذا كان على عِلْمٍ بالمناسبة الطقسيّة، أنْ يأخذ كتاب القُدَّاس ويتصفَّح خدْمة اليوم، ويقرأ النُّصوص الليتورجيّة الَّتي تساعده على المشاركة في القُدَّاس بطريقةٍ كاملةٍ وواعيةٍ وفعَّالة.

4- المشاركة الكاملة والواعية والفعَّالة

لتبلغ الليتورجيّا هدفها إلى إدخال شعب الله إلى التَّدبير الخلاصيّ، على المؤمنين الاشتراك اشتراكًا فعليًّا وواعيًا في العمل الطَّقسيّ. لقد جاء في **المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، "دستور في الليتورجيّا المقدَّسة"، ما يلي: "تتوق الكنيسة الأمُّ توقًا شديدًا إلى أن يبلغ كلّ المؤمنين هذه المشاركة التَّامَّة والواعية والفعَّالة في الاحتفالات الطقسيّة" (العدد ١٤). لذا، لا ينبغي للمؤمن أو المشارك في الاحتفال الطَّقسيّ أنْ يكونَا "مُتَفَرِّجَينِ ومُشاهِدَينِ" لِما يجري في الكنيسة؛ إذ إنَّ أعضاء الجماعة الكنسيّة كلَّهم يحتفلون بالسِّرِّ الخلاصيّ، كلّ واحدٍ وفاقًا لِمُهمَّته ودوره في الجسم الكنسيّ: للكاهن دور المترئِّس، وللشَّمَّاس دور المعاون، والقارئ يقرأ مِنَ الكُتُب المقدَّسة، والجوقة تُساعِد الجماعة على أداء الألحان بجمالٍ ورونق، والجماعة تُشارِكُ في الاحتفال كلّه لتَنعَمَ بثماره.

من هنا ضرورة أنْ يشارك المصلِّي في العمل الطَّقسيّ بالمشاركة الكاملة في الألحان، والصَّلوات والرَّدَّات الخاصَّة بالشَّعب، والَّتي يحدِّدها بوضوحٍ كبيرٍ كتاب القُدَّاس؛ إذ ليس هذا الأخير، والليتورجيّا بشكلٍ عامّ، مكانًا للصَّلاة الفرديَّة والشَّخصيَّة الخاصَّة، وكأنَّ المؤمن معزولٌ عن باقي أفراد الجماعة الموجودة في الكنيسة: فلا يجيب على أيّ صلاة أو على تحيَّة المحتفل، ولا يُشارك في التَّرتيل، بل يبقى صامتًا ساكتًا طيلة الوقت. وأحيانًا، قد يعمد بعض المشاركين إلى الرُّكوع أو إلى إغماض أعينهم، ليُكَوِّنوا "عالَمَهم الخاصّ" في الصَّلاة والتَّأمُّل. تُشَكِّل هذه الممارسات الرُّوحيَّة، في قلب الاحتفال، خطرًا على حياة المؤمن الرُّوحيَّة والمسيحيَّة؛ لأنَّ مشاركة هذا الأخير في العمل اللِّيتورجيّ هي الأساس، إذ تجعله في شركةٍ مع الآب بابنه الوحيد بقوَّةِ روحِه القُدُّوس، بالرُّموز والعلامات الطقسيّة الَّتي تجعل الحدث الخلاصيَّ حاضرًا، هنا والآن، والَّتي

تجعلُه، هو المؤمن، معاصِرًا لها ومُستفيدًا مِنْ نِعَمِ الخلاص، هنا والآن، أيضًا. وهذه المشاركة تجعلُهُ أيضًا على تواصلٍ بأُخوتِه الباقين، مُتَّحدين جميعًا، مِنْ أجل الشُّكر لله عظائمه، ولا سيَّما كلمته الَّتي أُعلِنَتْ وشُرِحَتْ، وجسد الابنِ ودمه. لذا، من غير المناسب أنْ "ينفصل" المشارك في الاحتفال الطَّقسيّ، عن باقي الجماعة ليخلق عالَمَه الخاصّ به؛ عندها لا يعود مشاركًا في الاحتفال، بل "مستمِعًا أو مشاهِدًا". وغالبًا، لا يكون حاضرًا سوى بالجسد، لأنَّ عقله وقلبه وتفكيره في مكانٍ آخر.

لذا، مِنَ المهمّ جدًّا أنْ يحمل المؤمن في يدِهِ كتاب القُدَّاس أو الرُّتبة الخاصَّة بالاحتفال ليُشارك فيه، أو يتابعه على الشَّاشة (إذا وُجِدَتْ): فيقرأ عندما تجب القراءة، ويرتّل الألحان، ويُنشِد الرَّدَّات أو الصَّلوات: كيرياليسون، و"مع روحِكَ"، و"أَهِّلْنا أيُّها الرَّبُّ الإله ..."، و"ارحمنا يا ربّ، يا حنون ..."، وغيرها؛ ويتابع مع المحتفل، على سبيل المثال، بعض نصوص النَّوافير. وهذا ينطبق على الأولاد أيضًا، إذ على والديهم أنْ يجعلوهم يتمرَّسون باستعمال الكُتُب الطقسيّة وقراءتها.

كما يمكن المؤمن أنْ يقرأ القراءة الكِتابيَّة الخاصَّة بالقارئ، أو أنْ يُقدِّم القرابين في القُدَّاس، أو أنْ يتلو التَّذكارات في النَّوافير. ولِمَ لا يعمد أيضًا إلى خِدْمة المذبح، إذا ما أُتيحَ له ذلك؟ هذه، وغيرها مِنَ الوسائل، تساعده على أنْ "يعيش" الاحتفال ويشارك فيه مشاركةً تامَّةً وواعيةً وفعَّالةً تساعده على جَنْيِ الثِّمار المرجوَّةِ من كلّ صلاةٍ طقسيَّة: تمجيد الله وتقديس الإنسان. وتساعدُنا ليتورجيَّاتنا الشَّرقيَّة، الَّتي جُدِّدَتْ وطُبِعَت في كُتُب هي في مُتناوَل الشَّعب، لا الكهنة فحسب، على إتمام هذه المشاركة بشكلٍ سهلٍ وبسيطٍ وجذَّابٍ وجميل. فلا نتهاون بذلك.

5- مشاركة أفراد العيلة فيما أخذوه من مقاصِد، أو فيما أحدثه القُدَّاس من تحوُّلٍ في حياتهم

ينتهي القُدَّاس عندما يبارك المحتفل المؤمنين ويصرفهم، قائلًا: "اذهبوا بسلام، يا إخوتي وأحبَّائي، ...". بيد أنَّ مفاعيله تظهر "ما بَعْد القُدَّاس"، أي في الحياة اليوميَّة. وكما سعى المؤمن إلى أنْ يستعِدَّ للقُدَّاس كما يجب، من الجيِّد أنْ يخصِّص وقتًا لمراجعة ما "حدث" معه في القُدَّاس: هل مِنْ كلمةٍ لَمَسَتْ حياتَه؟ أو، هل مِنْ آيةٍ كتابيَّةٍ أثَّرَتْ فيه وطبعتَه؟ هل لعِظَةِ الكاهن مِنْ وقْعٍ عليه؟ وهل استفاد مقصدًا ما سيسعى جاهِدًا إلى تحقيقه؟ هذا على المستوى الفرديّ. ويمكن أفرادَ العائلة الَّذين يسعَون إلى أنْ يسيروا مسيرةً روحيَّةً ومسيحيَّة، أنْ يتشاركوا -في ما بينهم- خِبْراتهم في ما يتعلَّق بالقُدَّاس الَّذي احتفلوا به معًا.

وهنا، مِنَ المفيد مِنْ ناحية التَّربية على الإيمان، أنْ يسأل الوالدون أولادهم وأطفالهم عمَّا اختبروه في قلب القُدَّاس: إذ يمكنهم، عند العودة إلى البيت، إلى المائدة مثلًا، أو عند المساء، أنْ يتطرَّقوا مِنْ جديدٍ إلى عِظة الكاهن، أو إلى القراءات البيبليّة، أو محتوى التَّذكارات. كما يمكنهم أنْ يسألوا عمَّا أعجبهم في القدَّاس أو لم يعجبهم فيه: من ناحية التَّراتيل، أو أداء المحتفل؛ أو من ناحيتهم هم، إذا ما تمكَّنوا مِنَ "التَّركيز" والصَّلاة والانتباه، أو كانت أفكارُهم مشتَّتة، ولم يستطيعوا بالتَّالي متابعة الاحتفال كما يجب؛ أو غيرها مِنَ الحوارات الَّتي تفتح الباب أمام أفراد العيلة للتَّشارك في اختباراتهم فيُغني بعضُهم بعضَهم الآخر.

خاتمة

يستَعِدُّ المؤمن للاحتفال بالقُدَّاس ليأتي مثمرًا في حياته فيُجدِّدها، ويجعلها مرآةً تعكس إيمانه بالآب والابن والرُّوح القُدُس. ويُشارك في الاحتفال القربانيّ لينهل مِنْ "محبَّةِ الآب ونعمة الابن الوحيد وشركة وحلول الرُّوحِ القُدس" (بداية "الحوار القربانيّ"، في **كتاب القُدَّاس** المارونيّ) طاقةَ حياة، وقوَّةً تمكِّنُهُ من عيش التزامِه المسيحيّ وتخطِّي صعوبات الحياة، بهدف أنْ يكون شاهِدًا أمينًا لعالمٍ مُتعبٍ ومُرهقٍ في حاجةٍ إلى شهودٍ صادقين ينفحون فيه نسمة حياة. وعندما "يذهب" المؤمن إلى العالم، بناء على دعوة الكاهن للمشاركين في القُدَّاس: "اذهبوا بسلام ..."، ينطلِق ليُشرك الآخرين في الحبِّ الَّذي احتفل به في سرِّ القربان، "فلا شيء أجمل من لقاء المسيح وتقديمه للجميع"[٦٧]. فمن يتقرَّب مِنْ مائدة القربان لا يمكنه إلَّا أنْ "يذهب" نحو الإنسان، كلّ إنسانٍ وكلّ الإنسان، من أجل أنْ يحمل الرِّسالة إلى النَّاس أجمعين، رسالة المحبَّة والتَّلاقي والأُخُوَّة؛ وبكلمةٍ واحدة: أنْ يحمل المسيح.

ولأنَّ الإنسان المؤمن يتعثَّر دومًا في تأدية الشَّهادة وفي حمل الرِّسالة، وَفقًا لقلب الرَّبّ؛ لأنَّ تربة حياته لا تكون خِصْبةً أحيانًا، بل صخريَّةً وملآنةً همومًا وشجونًا وأشواكًا، ولا يتمكَّن من أنْ يحقِق المقاصِد الَّتي سعى إليها يوم الأحد، فهو يبدأ -من جديدٍ- مسيرة استعدادٍ جديدٍ لأحدٍ جديدٍ يدخله إلى سرِّ يسوع المسيح الَّذي لا يمكنه إدراكه، في حركةٍ لولبيَّةٍ تُمَكِّنه مِنْ أنْ ينمو ويكبر، في المسيح ومع المسيح، ليبلغ إلى ملْءِ قيامته. وهكذا، لا ينثني الإنسان عن الدُّخول في جدليَّة الاستعداد للاحتفال، فالمشاركة فيه، ومن ثَمَّ عيش الاحتفال في حياته اليوميَّة، وذلك إلى حين بلوغه يوم اللِّقاء الأخير بخالقه، في ملكوت الآب.

---

[٦٧] بنديكتُس السَّادس عشر، إرشادٌ رسوليٌّ **كلمة الرَّبّ** (***Verbum Domini***)، العدد ٨٤، ص ١١٩.

الأفخارَسْتِيَا : عيش السينودسيّة الكنسيّة

الخوري ريمون باسيل

مقدّمة

كثر الكلام في الآونة الأخيرة على "السينودسيّة"، وأصبح المصطلح يتداوله الجميع، عن معرفة أم عن جهل. وجدنا من المفيد أن نقارب هذا المصطلح اللاهوتي-الكنسيّ مع ركيزة أساسيّة في الأسرار الكنسيّة، هي الأفخارَسْتِيَا. نحن نعلم بأن السينودسيّة تهدف إلى إحياء روح الشراكة والرسالة التبشيريّة في الكنيسة. يتمّ ذلك، بإتحادٍ وثيق وراعيها ورأسها، أي يسوع المسيح. إن كلّ عمل إصلاحيّ في الكنيسة عليه أن ينطلق من المسيح وأن يصبّ في قلبه الأقدس. هو المحرّك الأساسيّ لكلّ عملٍ صالحٍ وبنّاء، بِهَدْيِ الرّوح القدس. أوَلَم يعلن المعلّم الإلهي : "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم" (متّى ١٨، ٢٠). وكذلك "ها أنا معكم كلّ الأيّام إلى نهاية العالم" (متّى ٢٨، ٢٠).

بالتأكيد، التجديد الحاصل في الكنيسة، بدعوة قداسة البابا فرنسيس، بُغية تحضير مجمع الأساقفة ٢٠٢٣، تحت شعار: "من أجل كنيسة سينودسيّة: شركة ومشاركة ورسالة"، يمرّ بتحفيز الهيكليّات والأسس التنظيميّة والتشريعيّة والقانونيّة في الكنيسة؛ ولكنها في الأساس دعوتها إلى ورشة عمل لاهوتية وروحيّة. الأساس في كلّ هذه المغامرة السينودسيّة، يكمن في خبرة العيش معًا، التي تشبه خبرة تلميذي عمّاوس، اللذين عرفا الربّ عند كسر الخبز. اكتشفا حضوره وأعلنا سرّه وأذاعا البشرى السارة في الإخوة في أورشليم. هذه هي دعوة "شعب الله"، أن يبقى "المُخبر" عن سرّ العلاقة بينه وما بين الربّ. يسير "شعب الله" في التاريخ مع الذي تخطّى التاريخ بحدث موته وقيامته، فكان استباق الملكوت بشخصه ركيزة إيمانية مطلقة. وجب علينا، كجماعة، كشعب الله، ككنيسة وكإخوة أن نُعيد إكتشاف وبلورة مفهوم الأفخارَسْتِيَا في حياتنا الكنسيّة، لكي نسير في موكبٍ الفرحِ، في إثر يسوع المسيح، في عمليّة سينودسيّة تخدم السرّ ولا تختزله.

1. الأفخارَسْتِيَا : مسيرة توبة وتجديد سينودسيّ مستدام

إن السينودس، أي السير معًا، ليست طريقًا معبّدة وسهلة مسبقًا. إنه انفتاح على "اللامتوقع الإلهيّ"، الذي يعمل بالإصغاء إلى إلهاماته. عندها يأتي الروح القدس كي يلمس كلّ شيء، ويسكن في كلّ شيء، ويحوّل كلّ شيء، ويقلب كلّ شيء. عندها فقط، يحوّلنا الروح القدس من الداخل، وليس شكليًّا أو فقط في الهيكليات والإستراتيجيات الكنسيّة والدساتير والأنظمة والقوانين، بالرغم من أهميتها وحاجتنا الماسة إليها.

أي يدخلنا الروح القدس في مسيرة "توبة حقيقيّة"، و"عودة إلى الآب"، وفي مسيرة "تبدّل داخليّ"، ليس فقط خارجيًّا. جاء في الفِقْرة ٢٩ من الإرشاد الرسولي "رجاء جديد للبنان" ما يلي :

"إنّ المصاعب الكثيرة التي واجهها المؤمنون في لبنان، والتي لا يزالون يعانونها في أشكال مختلفة – سواء أنجمت عن ضعفهم أم عن أحوالٍ خارجية – غالبًا ما تشكّل عقبةً كأداء أمام رجائهم. أتمنّى لو أن الجميع يتمكّنون من سماع نداء آباء السينودس، في ختام رسالتهم. كانت نقطة انطلاقهم التأمّل في صفحة هامّة من أناجيل قيامة الربّ (لوقا ٢٤ : ١٣ – ٣٥). أما نحن تلميذا عماوس هذان [...] نحن أيضًا ساورنا الشكّ في حضور المسيح القائم من الموت في ما بيننا. ولكنّه انضمّ إلينا في الطريق [...] ونحن أيضًا طلبنا منه: "امكث معنا، فقد حان المساء". ثمّ عرفناه عند كسر الخبز، إذ إنّه هو الذي يكسرُ الخبز ويوزّعه للمشاركة. وها نحن نتوجّه إليكم لنقول لكم: "أيّها الإخوة والاخوات، لا تخافوا، فالمسيح قام؛ لقد وجدناه من جديد؛ ولن نفارقه".

هذا الاختبار الإيمانيّ الكبير، الذي تعيشه الكنيسة منذ تأسيسها، هو المؤسس للتوبة الحقيقيّة. أجل! يسوع هو الذي يفتح عيون الناس ليميّزوا حضوره. في بهاء نوره، يُدرِك التلاميذ أنّه يطلب إليهم أن يَحْيَوا بمقتضى رجاءٍ مُتطلِّب. جاء في الإرشاد الرسولي، رجاء جديد للبنان"، أيضًا، في الفِقْرة ٣٢، ما يلي: "أن نرجو، إنّما هو أن نلتزم". أي إن المشاركة والشراكة، وَفقًا لما تطلُبه الجمعية الخاصّة للسينودس الخاص للأساقفة ٢٠٢٣، هما ركنان أساسيان في تحقيق ما تصبو إليه الكنيسة عَبْر تاريخها الطويل، وما الالتزام سوى شرط جوهريّ، لا تمكننا المساومة عليه.

2. الأفخارَسْتِيَا والسّينودسيّة : تُحْفة الروح القدس

إن السينودسيّة تعاش، كما حددّها قداسة البابا فرنسيس بالإصغاء العميق إلى نَسَمة الروح القدس، لهذا الروح الرقيق، الذي يدعونا إلى التمييّز، والذي هو بداية تحوّل وتوبة شخصيّين وجماعيّين. يقول قداسته :" يجب سماع صوت الله، وقَبول حضوره، وإيقافه عند مروره ونفخه الحياة فينا. حدث للنبي إيليا أنّه اكتشف أنّ الله هو دائمًا إله المفاجآت، حتى في الطريقة التي يمُرُّ بها ويظهر بها: :"فإذا الرَّبُّ عابِرٌ وريحٌ عَظيمةٌ وشَديدةٌ تُصَدِّع الجِبالَ وتُحَطِّمُ الصُّخورَ [...] ولم يَكُنِ الرَّبُّ في الزِّلْزال. وبَعدَ الزِّلْزالِ نار، ولم يَكنِ الرَّب في النار. وبَعدَ النَّارِ صوت نَسيمٍ لَطيف. فلَمَّا سَمِعَ إيليَّا، سَتَرَ وَجهَه بِرِدائِه" (١ ملوك ١٩، ١١-١٣). هكذا يكلِّمُنا الله. من أجل هذا "النسيم اللطيف" – الذي يترجمه المفسرون أيضًا بـ"صوت الصمت الخفيف"

وآخرون بـ"خيط صمت منغَّم" - يجب أن نجعل آذاننا جاهزة، لنسمع نسيم الله هذا". لذلك أعلن قداسته في مقابلة له بأن "ما يميّز المسيرة السينودسيّة، هو دور الروح القدس المنفتح على التغيرات والفرص الجديدة، وما السينودس بالنسبة إلى كلّ شخص إلّا بمثابة خبرة توبة له".[٦٨] كذلك هي الأفخارَستيا تحقيق لعمل الروح القدس الذي يحوّل كلّ شيء ويقدس كلّ شيء ويطهّر كلّ شيء.

خبرة التوبة هذه، التي أشار إليها قداسة البابا فرنسيس، تقتضي مسيرة تمييز ضمن جماعة متجذرة في الأفخارَستيا، كجماعة عمّاوس، وتفترض الوعي لماهيّة الأفخارَستيا، وتشترط كذلك السير معًا في الطريق مع القائم وليس من دونه. لذلك السينودسيّة هي أساسًا دعوة إلى التوبة بغية تحقيق هدف. نعم! السينودسيّة هادفة إلى خلق "شركة رسوليّة". يتحقّق كلّ ذلك في إطار خدمة "العالم" وليس في إطار خدمة "الذات". لذلك، السينودسيّة الحقيقيّة هي في الأساس خروج من الذات إلى الآخر .(*Autre / autre*)) إذًا، السينودسيّة هي في الأساس "عمليّة روحيّة" بإمتياز. هذه العمليّة الروحيّة تنتشر وتنمو مع الوقت، لذلك تشترط الصبر.[٦٩] ليست هي عمليّة آنية أو ظرفيّة أو زمانيّة، بل هي عمليّة في حاجة إلى إطار وأسس، ولكنها أولًا وآخرًا "نمط حياة"[٧٠] يؤسس لحياة الكنيسة ولرسالتها ويشير في الوقت عينه إلى طبيعة الكنيسة، وهذا ما يسمح لها بالسير معًا وباللقاء كشعب الله، الذي يدعوه المسيح بقوّة الروح القدس. إن هذا اللقاء وهذه القوّة موجودتان كي يُعلن الإنجيل "البشرى السارة".[٧١] هذه المسيرة الروحيّة المتطلّبة من الناحية الإنسانيّة خصوصًا تشترط اكتساب مهارات روحيّة معمّقة تساعد على عيش الإنجيل. هذا النمط الحياتيّ يتحقق بالإصغاء الجماعيّ إلى الكلمة بالإحتفال الأفخارَسْتيّ وبعيش الأخوّة بكلّ أبعادها، أي الأخوّة الشاملة، وبالشراكة في تحمّل المسؤوليّة وبـ"شراكة" كلّ شعب الله، بمختلف فئاته وخدمه ووظائفه، في حياة ورسالة الكنيسة.[٧٢]

---

[6] François, Un temps pour [8]changer (interview avec Austen Ivereigh), Flammarion, 2020.

[٦٩] رسالة قداسة البابا فرنسيس في مناسبة زمن الصوم الأربعينيّ ٢٠٢٢، المقطعان ٢ - ٣.

[7] Commission théologique[0]internationale (CTI), La synodalité dans la vie et dans la mission de l'Église, mars 2018. Le document parle de : « mode de vie » / modus vivendi et operandi.

[7] CTI, op. cit. [1]

[7] Ibidem. [2]

3. الأفخارَستيا - السينودسيّة وخبرة الكنيسة

إذًا، إن السينودسية هي "نمطيّة" و"أسلوب حياة" و"ممارسة" و"طريقة حضور"، في التاريخ البشري، تمامًا كالشركة الثالوثيّة، كما حددّها البابا فرنسيس عندما قال:"ممارسة السينودسيّة، تقليديّة ولكنها تتجدد دومًا، تكمن في وضعها موضع التنفيذ، في تاريخ شعب الله السائر، حيث الكنيسة كسرّ شركة، تعكس أيقونة الشركة الثالوثيّة. كما تعلمون، هذا الموضوع عزيز جدًّا على قلبي: السينودسيّة، هي السير معًا. وهذا ما ينتظره الربّ من الكنيسة في الألفيَّة الثالثة".[٧٣]

هذه التسميّة القديمة كانت ميزة الكنيسة الأولى، إذ في القرون الأولى عُقدَ الكثير من المجامع والسينودسات المحليّة، مما سمح للأساقفة المجتمعين بالحوار وتمييز القرارات التي يجب اتخاذها، بالرغم من الإطار المطبوع بالجدالات والمرافعات والمدافعات، لا سيما بما يختصّ بالهرطقات التي لا بدّ من وضعِ حدٍّ لها. مما دفع الباحثين في تاريخ الكنيسة إلى القول "من ناحية الرؤية التاريخيّة لإدارة الكنيسة التقليديّة، السلطة كانت سينودسيّة، أي مجمعيّة".[٧٤]

إذا كانت جذور السينودسيّة متأصّلة في الكتاب المقدس، بالرغم من استعمال كلمة "مجمع"، كما هي الحال في "مجمع أورشليم" (أعمال الرسل ١٥)، الذي يفترض أن يكون "النمط النموذجيّ" للمجامع اللاحقة في الكنيسة، يقدمها البعض على أنها نتيجة لتطوّر إكلزيولوجيّ، أي تطوّر في مقاربة الكنيسة ومفهومها. في الحقيقة، إن تأسيس البابا بولس السّادس لمجمع الأساقفة في أيلول ١٩٦٥، هو رغبة رسولية في استكمال العمل الذي قام به المجمع الفاتيكاني الثاني مرتكزًا على دينامكية الشركة المكوِّنة للكنيسة. نميّز من الناحية التِّقْنِيّة اليوم، "المجمعيّة" التي هي كناية عن "مجمعيّة أسقفيّة" انبثقت بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، والسينودسيّة التي ليست حصرًا على مجمع الأساقفة، بل هي أوسع كي تطول شعب الله وكلّ المؤمنين المكونين الأساسيين للكنيسة ولرسالتها.

نشهد اليوم، مع البابا فرنسيس، "تحوّلًا" في مجمع الأساقفة. إذ إنّه أصبح وسيلة مهمّة إلى تحقيق الإصلاح الكنسيّ. يريد البابا فرنسيس أن يجعل الكنيسة بكليّتها تتحّول أكثر فأكثر إلى كنيسة رسوليّة. لذلك، تأخذ السينودسيّة حيّزًا أكبر وتنتشر كرؤية دينامكيّة للكنيسة، أساسها الرحمة واقتضاء التوبة الدائمة. إذًا، السينودسيّة هي إصلاح الكنيسة وعنوان توبتها، وهذان العنوانان لا ينفصلان: "إصلاح وتوبة" / "توبة

---

[73] François, Discours aux membres de la Commission théologique internationale, 29 novembre 2019.

[74] John W. O'Malley, When Bishops Meet, Harvard University Press, 2019.

وإصلاح". في القداس الإلهيّ الذي احتفل به قداسة البابا فرنسيس في ٩ تشرين الثاني ٢٠١٣، في كنيسة القديسة مرتا، أعلن الحبر الأعظم بأن التحديّ الكبير للكنيسة يكمن في الأمر التالي :"الكنيسة في حاجة دائمة إلى التجدّد، كون أعضائها خطأة وهم في حاجة إلى التوبة". إذًا، السينودسيّة تحمل في طيّاتها وتطبيقها ونهجها وعيشها، الدعوة إلى التوبة الجماعيّة والشخصيّة. إذًا، السينودسيّة هي طريق توبة شخصيّة وجماعيّة، تعاش بتناغم مع الأفخارَستيا.

في إمكاننا القول إنّ الأفخارَسْتِيَا - السينودسيّة هي دعوة إلى التوبة الروحيّة والرعائية. تفترض وتشترط مواقف روحيّة، لذلك في إمكاننا الكلام على الروحانية السينودسيّة التي تقوم على مبدإ روحانية الشركة، كما تحدده اللجنة اللاهوتيّة العالميّة "السينودسيّة في حياة ورسالة الكنيسة" العام ٢٠١٨، في كلام اللجنة على روحانية الشركة والتنشئة في الحياة السينودسيّة، إذ يقول أصحاب الاختصاص: "من هنا أهميّة أن تصبح الكنيسة بيت ومدرسة الشركة. دون التوبة، توبة القلب والروح، ودون ممارسة تقشفيّة للإستقبال والضيافة والإصغاء المتبادل، الأدوات الخارجيّة للشركة تصبح غير نافلة، لا بل تصبح مجرّد أقنعة بسيطة دون قلب ودون وجه".[٧٥]

4. روحانيّة الشركة والمشاركة والرسالة في الأفخارَسْتِيَا-السينودسيّة

أ. إن "الشركة" هي التي تُميّز الكنيسة، وهي المُكوّن الأساسيّ لها. تنبع الشركة من نموذج روحانية المشاركة في الأفخارَستيا. ضمن هذا النموذج الفريد تتجلّى لكلّ شخص عناصر خاصة من الحياة المسيحيّة تهدف إلى تطعيم البُعد السنودسيّ بطابعٍ خاص وفريد. تمامًا كما اختبرت الجماعة الأولى في أعمال الرسل: "كانوا مواظبين على تعليم الرسل، والمشاركة، وكسر الخبز، والصلوات" (أعمال ٢، ٤٢). ضمن الجماعة الأفخارَسْتِيَا-السينودسيّة، هناك ذكر للثالوث الأقدس. فالجماعة المسيحيّة تبدأ الأفخارَسْتِيَا باستلهام الثالوث، المحرّك الحقيقيّ لها: الكنيسة يدعوها الآب، وبنعمة الروح القدس يحضر المسيح فيها بطريقة أسراريّة.

ب. إن مبدأ المصالحة الذي تعيشه الجماعة في الإحتفال الأفخارَسْتيّ يشجع على الشركة والمشاركة، وذلك بمصالحة الله و مصالحة الإخوة. في كلّ إحتفال أفخارَستيّ، صلاة الغفران والتوبة تعلنان

---

7 Alberto Meloni et Silvia Scatena (éds), Synod and Synodality, Lit Verlag, 2005, p. 113.

رحمة الله الآب وتؤكّدان أن الإرادة الحقّة تكمن في عدم السير في الانقسامات التي مصدرها الخطيئة، ولكن في التعلّق بالوَحْدة: "إن كنت تقدم قربانك إلى المذبح، وتذكرت هناك أن لأخيك شيئًا عليك، فدَعْ قربانك هناك أمام المذبح، واذهب أوّلًا وصالح أخاك، وحينئذٍ عُدْ وقدِّم قربانك" (متّى ٥، ٢٣-٢٤). الأحداث السينودسيّة، في ضوء الأفخارَستيا، تشترط الاعتراف بهشاشة كلّ الأفراد المكوّنة للجماعة، وطلب المغفرة المتبادل. فتصبح عندها التوبة والمصالحة والغفران ركائز أساسيّة في عيش بُعد الأنجلة الجديدة.

ج. ضمن هذه المسيرة الروحيّة، يأتي إعلان كلمة الله. الجماعة الكنسيّة، أيّ شعب الله، يصغي إلى كلمة الله ويستقبل هذه الكلمة ورسالتها ويستنير بِهَدْيِها. نتعلّم في الكنيسة ومع الكنيسة أن نستقبل كلمة الله في حياتنا. نتأمّل كلمة الحياة، وبنوع خاص الإنجيل، في كلّ احتفالٍ أسراريّ، لاسيما سرّ القربان المقدس، الذي يكشف لنا فقر الله. إن كلّ خادم للسرّ، وبنوع خاص الأساقفة والكهنة والشمامسة، عليهم أن يُحسِنوا تغذية الأبناء بالكلمة والقربان. مائدتان يجب صونهما واحترامهما وتقديسهما. لذلك، تأتي خدمة الكلمة في مستهلّ الاحتفال الأفخارَسْتيّ، كعلامة حسيّة للإصغاء إليها والإنشداد لها بكلّ حواسنا وكِياننا. من ثَمَّ، يصبح العنصر الطاغي في الاحتفال الأفخارَستيّ هو حوار المحتفل والجماعة. الفريقان بعد حسن إصغاء إلى الكلمة يدخلان في حوار بنّاء قوامه حضور المسيح الفاعل والمحرّك والمحوّل.

د. روحانية الأفخارَسْتِيَا ، كما حدّدها البابا يوحنا بولس الثاني، "تخلق الشركة وتعزّز الشراكة"[٧٦] بالله والأخوة. مصدرها يسوع المسيح الذي أشركنا في سرّ تجسّده وموته وقيامته. بمعموديّتنا ونوالنا الروح القدس الذي أفيض علينا، أصبحنا في شركة تامة، مؤتَمَنين على كلمته وحضوره ورسالته في العالم. فنحن، بمعنًى آخرَ، مسؤولون عن هذا المسيح الذي يكشف عن عمق محبّته للبشر بكلّ واحد منّا.

هـ. أخيرًا، الإرسال الذي نختبره في كلّ احتفال أفخارَستيّ يقول حقيقة لاهوتية كبرى. لا كنيسة سوى تلك المبشرة بسرّ العلاقة وبسرّ المحبّة وبسرّ الحبّ، أسرار تجلّت لنا من على الصليب. هذه الرسالة هي بشرى سارة للعالم بأسره، كون الله أحبّ بشريتنا وأرسل إلينا ابنه الوحيد متجسّدًا

---

[7] Jean-Paul II, Encyclique §ur l'Eucharistie et son rapport avec l'Eglise (Ecclesia de Eucharistia), 17 avril 2003, n° 40, AAS 95, (2003), 460.

من العذراء مريم ومن الروح القدس. كلّ احتفال أفخارَستيّ-سينودسيّ يدعو الكنيسة إلى أن تخرج من عزلتها ورفاهيتها كي تعلن المسيح للعالم. "يسوع أيضًا تألّم خارج باب المدينة، ليقدس الشعب بدمه. إذًا، لنخرج إليه في خارج المحلّة حاملين عاره" (عبرانيين ١٣، ١٢-١٣). "فلنخرج خارج المحلّة"، هذا البُعْد الإرساليّ في كلّ أفخارَسْتِيَا يذكّرنا بدعوتنا، بأننا نحمل عطيّة سامية ولو "في آنية من خزف، ليظهر أن تلك القدرة الفائقة هي من الله لا منّا" (٢ قورنتس ٤، ٧). كيف يمكننا أن نعود إلى حياتنا الطبيعيّة بعد هذا الإرسال؟ نحن مؤتَمَنون على نقل البشرى السارة إلى إخوتنا، لذلك علينا الذهاب إليهم والخروج من تقوقعنا وعزلتنا وتهميشنا، كي نشاركهم في ما تسلّمناه، ولكي نحسن بهم المضيّ إلى الله بالفرح والتهليل.

خاتمة

لربما نحن اليوم، في أمسّ الحاجة إلى إعادة اكتشاف لسرّ الأفخارَستيا من منطلق السينودس. هذه الديناميكيّة تحرّكنا وتجعلنا، ليس فقط مشاركين حقيقيين في السرّ المعلن لنا، بل شركاء وأصحاب نصيب وأبناء وورثة، كي نستحق أن نحمله إلى إخوتنا وأخواتنا عربونًا صادقًا للحياة الأبديّة. هذه الروحانيّة المبنيّة على الأفخارَسْتِيَا-السينودسيّة، المرتكزة على مبدإ التوبة والمصالحة والتحوّل، تفعل فعلها في حياة كلّ إنسان أدرك كيفيّة البحث عن يسوع المسيح واكتشف حضوره الحيّ والمحيي واتكل على عناية الروح القدس كي يمجد الله الآب الذي يتجلّى دومًا في الخفيَة (متّى ٦). لا أفخارَستيا دون السينودسيّة، ولا سينودسيّة دون الأفخارَسْتِيَا، كلتاهما مرتبطتان بسرّ الابن الوحيد وسرّ العلاقة بنعمة وقوّة الروح القدس، ويعلنان حقيقة الآب المحبّ والرحوم والقابل عودة أبنائه بدموع التوبة الحقيقيّة. هذه الخلاصة، أرادت أن تكشف النقاب عن عمق الشراكة القائمة ما بين القربان الأفخارَسْتيّ والسينودسيّة القربانيّة التي هي مصدر غنًى في الكنيسة وعلينا أن نشاركها الآخرين في لقائهم والإصغاء إليهم وتمييز عمل الروح القدس الذي لا يزال يعصف في شعب الله.

من أجل فَهمٍ أفضل لمفهوم مشاركة المؤمنين في الاحتفال بالأفخارَسْتِيَا

الخوري شربل ناصيف

الأفخارَسْتِيَا هي منبع الحياة المسيحيّة كلها وقِمَّتها. فاجتماعات المسيحيّين الأوّلين كانت قبل كلّ شي أفخارَسْتيَّة. لقد كانوا يجتمعون لكسر الخبز، فيدخلوا في شركة مع المسيح، المقرّب والمقرب، ويؤلّفون جسدًا واحدًا معه (١ كور ١٠، ١٦-١٧). ومن ذلك الوقت وحتّى أيّامنا هذه، نواصل الاحتفال بالأفخارَسْتِيَا في كل أصقاع المسكونة، منتظرين الاشتراك مع المسيح في وليمة الملكوت السماويّة. الاحتفال الأفخارَسْتيّ هو تجسيد واضح لمفهوم السينرجيّا حيث إنه عمل مشترك بين الله وشعبه: الله يعمل من أجل كنيسته، والكنيسة تعمل من أجل إلهها. فالمسيح يرأس كل احتفال أفخارَستيّ فيقرّب ذاته ذبيحة حيّة، والكنيسة تقدّم القرابين إلى خالقها بالخبز والخمر المعدَّيْن ليصيرا جسد ودم المسيح.

الكنيسة هي جماعة المؤمنين، أي أولئك الذين أعلنوا إيمانهم بالله الثالوث وقد حصلوا على ختم المسيح بسِرَّي المعمودية والميرون. إنهم بالتالي مخوّلون الاشتراك في الليتورجيّا، المكان الأمثل للتعبير عن إيمانهم وتغذيته، وذلك كلما اجتمعوا سويّة، ليرَتّلوا للهِ مِن صَميمِ قُلوبِهم شاكِرين بِمَزاميرَ وتَسابيحَ وأَناشيدَ رُوحِيَّة (كولوسي ٣، ١٦). وكما أن ليس لجميع الأعضاء عمل واحد (روما ١٢، ٤)، يختلف دور المؤمنين في المشاركة في الليتورجيا كلّ على حسب ما دعاه الله إليه. وقد دعا المجمع الفاتيكاني الثاني في دستور الليتورجيا المقدسة إلى حمل المؤمنين جميعهم على المشاركة الكاملة والواعية والفاعلة في احتفالات الليتورجيّا، والتي أصبحت من حقّ الشعب المسيحيّ وواجبه، بفعل المعموديّة. وهذا الاشتراك الكامل والفاعل من جميع الشعب هو ما يجب السّعي إليه بكلّ شدّة لإحياء الليتورجيّا المقدّسة وتعزيز شأنها: إنّها، والحقّ يقال، اليَنبوع الأول والضّروري الذي يستقي منه المؤمنون الروح المسيحيّ الحقيقيّ (الفِقْرة ١٤). سنحاول في هذا المقال، بعد عرضنا لسبل إشراك المؤمنين في الاحتفال الأفخارَسْتِيّ، وضع بعض الأسس الضّرورية لفهم أفضل لمفهوم مشاركة المؤمنين في الاحتفال بالليتورجيا الأفخارَسْتيّة حيث المسيح حاضر حضورًا حقيقيًا وسريًّا في القربان.

كَهَنوت الخدمة

بعبارة "اصنعوا هذا لذكري"، أسّس السيد المسيح سرّ الأفخارَسْتِيَا معطيًا هذا السلطان للرسل وخلفائهم الذين أولاهم هم أيضًا خدمة التعليم والرعاية. ثَمّة مؤمنين يدعوهم الله إلى سرّ الكَهَنوت، فيصبحوا أهلًا لأن يخدموا جماعة المؤمنين باحتفالهم بالأفخارَسْتِيَا. عندما يحتفل الكاهن بالليتورجيّا

الإلهية، فهو يرفع الى الله صلاة الكنيسة وليس صلاته الخاصة والفردية. كَهَنوت الخدمة هو استمرار لدور المسيح رأس الكنيسة وبالتالي، وجود الكاهن أو الأسقف هو أساسيّ في تتميم السرّ. وإن كان للكاهن دور أساسيّ في الاحتفال بالأفخارَستِيا، إلا أن وجود المؤمنين أساسيّ أيضًا. في التقليد البيزنطي، لا يمكن الكاهن أن يحتفل بمفرده بالليتورجيا الإلهية. من هنا، أهمية وجود المؤمنين ومشاركتهم الفعّالة في الليتورجيا. فالجماعة كلها "تحتفل بالليتورجيا"، كل على حسب وظيفته يقوم بخدمة ليتورجيّة بفضل كهنوته العام الذي حصل عليه بالمعمودية.

خدمة الهيكل

بخدمة الهيكل، يمكن المؤمن أن يقوم برسالة جليلة، بالتحضير للخِدَم الليتورجية وتحضير الأواني الكنسية للاحتفالات الليتورجيّة وخدمة الصلوات والزيّاحات. خدمة الهيكل هي مناسبة مميزة لاستقطاب الأطفال والأحداث وتقريبهم من الرب يسوع. كثر هم الكهنة و الراهبات الذين اكتشفوا دعوتهم بخدمتهم لهيكل الرب. خدّام الهيكل ليسوا فقط مساعدي الكاهن، ولكنهم خدام المسيح، الكاهن الأعظم. حبّذا لو نولي في أبرشياتنا اهتمامًا خاصًا بخدمة الهيكل بتنظيم لقاءات عامّة لتنشئتهم الروحيّة والليتورجيّة.

القرّاء والمرنّمون

كلّ احتفال ليتورجيّ يتطلّب حضور قرّاء ومرنّمين. تقع على عاتق القرّاء مسؤوليّة تلاوة المزامير وبعض الصلوات والقراءات الكتابيّة، ما عدا الإنجيل. في كنائسنا الشرقيّة، لا تزال رتبة القارئ من الدرجات الصغرى، وهي تُعطى للطالب الإكليريكيّ الذي يتحضّر للكَهَنوت. أما الترنيم، فوجوده محض أساسيّ في الاحتفال الليتورجيّ منذ العهد القديم. فقد أمر داود رؤساء اللاويين أن يقيموا إخوتهم المغنيّن على آلات الغناء، ليسمعوا أصوات فرح عالية أمام تابوت العهد (١ أخبار ١٥، ١٦). وإن اختلفَت طرق الترنيم باختلاف التقاليد الليتورجيّة (مرّنم واحد أو جوق أو جوقين، مع أو دون آلات موسيقية، لحن شعبيّ أو كنسيّ)، يبقى الهدف هو تمجيد الله وتسبيحه. وغالبًا ما يتفانى المؤمنون في الجوقات في التحضير والتدريب على ترانيم جديدة. في بعض التقاليد الليتورجيّة، يقوم بعض العَلْمانيين بقراءة نوايا تختلف من أسبوع إلى آخر، وهي غالبًا ما تُستَوحى من الوضع العام في البلد أو في الجماعة المسيحيّة. بعض العَلْمانيين يقومون أيضًا ببعض المهامّ التي تساعد على عيش الليتورجيا بطريقة أفضل (استقبال المؤمنين، تحضير النشرة الراعوية لأسبوعية التي تتضمن قراءات الأحد وبعض الترانيم، تنظيم الدخول في الأعياد، إلخ).

بقيّة المؤمنين

أما بقيّة المؤمنين الذي يملأون مقاعد الكنيسة، فدورهم أيضًا أساسيّ وهم ليسوا فقط بمتلقّين ومشاهدين ومستمعين. هم يجارون الجوق في الترانيم وبعض الردّات : آمين! يا رب ارحم! استجب يا رب. إنهم يعلنون ايمانهم في تلاوة قانون الإيمان ويشتركون مع كل المؤمنين في تلاوة الصلاة الربيّة. هم ينحنون للكاهن الذي يقوم بدورة الإنجيل أو القرابين يرافقه خدّام الهيكل، ومنهم من يقوم أيضًا بتقدمة القرابين في حال لحظ الطقس الليتورجي الأمر. الإصغاء إلى ترانيم الجوقة أو عظة الكاهن هو أيضًا نوع من الاشتراك الليتورجي. ولكن، يبقى التقرّب من جسد ودم المسيح في المناولة العامل الأهم الذي يجسّد اشتراك المؤمنين الفعلي، كهنة وعَلمانيّين، بالاحتفال الأفخارَسْتيّ.

من أجل فَهْمٍ أفضل لمفهوم مشاركة المؤمنين

نطلاقًا من ما سبق، يتبيّن لنا أن الليتورجيا ليست عملًا فرديًا بقوم به الكاهن، ولكنّها عمل جماعيّ يبرز وَحْدة شعب الله باختلاف درجاته ووظائفه ومواهبه. نذكر في ما يلي أربع نقاط نجدها أساسية في توضيح مفهوم مشاركة المؤمنين في الاحتفال الأفخارَستيّ.

1- مشاركة المؤمنين هي مشاركة في السرّ الفِصحيّ

اللّيتورجيّا هي تَحقيقُ السرِّ الفِصْحِي في الكنيسَة، أي استذكار لموت المسيح على الصليب وقيامته في اليوم الثالث. في كل ليتورجيا، نستذكر ونستحضر السرّ الفِصحيّ الّذي حقّقه الربّ مرّة واحدة ولا يزال بالاحتفال الأفخارَسْتيّ. في الأفخارَسْتِيَا، يعطينا المسيح هذا الجسد عينه الذي بذله لأجلنا على الصليب، وهذا الدم عينه الذي أراقه عن كثيرينَ لمَغْفرةِ الخَطايا. من المهم أن يَعِي المؤمن أن المشاركة في الأفخارَسْتِيَا تتخطى القيام ببعض الخِدمات والوظائف. يجب اعتبار كلّ الأفخارَسْتِيَا لقاء المسيح، لا بل انغماسًا حقيقيًا في سرّ الإيمان المسيحيّ، السرّ الفِصحيّ. فالاحتفال الأسراري هو أسمى تعبير وتحقيق لهذه الديناميّة الروحيّة التي على كل معمّد السعي إليها.

الأفخارَسْتِيَا هي تَذكار فِصْح المسيح، بها تصبح ذبيحته الوحيدة فعلًا حاضرًا وتقدمة سريّة في ليتورجيّا الكنيسة التي هي جسده، وإننا نجد في كلّ الصلوات الأفخارَسْتيّة، بعد كلمات التقديس، ما يسمّى بصلاة الاستذكار أو التَّذكار. (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الفِقْرة ١٣٦٢)

2- المشاركة الفعالة لا تعني مشاركة نشيطة

المشاركة الفعّالة لا تعني أننا نريد من الجميع أن يفعل كلّ شيء، أو أن كلّ مؤمن عليه القيام بشيء معيّن في الاحتفال الليتورجيّ. المؤمنون ليسوا أطفالًا تجب تسليتهم بمنحهم "شيئًا ما يقومون به" في القداس الإلهي. المشاركة الفعّالة هي مشاركة ذكيّة وداخليّة أيضًا. الغرض من الليتورجيا هو السماح للمؤمن بالوصول إلى سرّ الله. هذا يفترض أن يكون المؤمن في تناغم مع ما يرنّم، أن تتحد صلاته وصلاة الكاهن ، أن يتقبل كلمة الله ويسمح لنفسه بالانقياد إلى السرّ بالروح القدس. هكذا يتجاوب المسيحيّون في الليتورجيا مع المعمودية التي جعلتهم أعضاءً في الشعب الكَهَنوتي والملكي. لا يمكن الاحتفال المسيحي أن يكون تجمّعًا للمتفرّجين: إنه يضمّ أشخاصًا "فاعلين" سمحوا لأنفسهم أن يقودهم الروح القدس للتقرّب أكثر من الله. لذلك، في كل ليتورجيّا ، كل مؤمن مدعوّ إلى الانفتاح على كلمة الله والمشاركة في صلاة الجماعة من أجل التسبيح والشكر والتوسل والعيش، أثناء الليتورجيا وبعدها، كشاهد على الايمان والرجاء والمحبة.

> إن المؤمنين، باندماجهم بالمعمودية في جسد المسيح، قد نالوا، بواسطة هذا السر، سمة التكرّس للقيام بالعبادة الدينية المسيحية. هذه السمة تمكن المسيحيين من التجنّد لخدمة الله في مشاركة حيّة في ليتورجيا الكنيسة المقدسة، ومن ممارسة كَهَنوتهم العمادي بشهادة سيرة مقدسة ومحبة فاعلة. (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الفِقْرة ١٢٧٣)

3- تنظيم الأدوار

المفهوم الخاطئ للمشاركة الفعّالة قد يكون سببًا في خلق حالة من الفوضى واختلاط الأدوار في الاحتفالات الليتورجيّة. من المؤسف أن ينسى المرنّم أو الخورس التناوبَ الضروريّ بينه وبين الشعب، أو أن يقوم الكاهن بترنيم القطع المحفوظة للمرنّم، أو أن تتمّ قراءة ما يجب ترنيمه، أو أن يشترك الشعب مع الكاهن في تلاوة الصلوات المحفوظة له. لِيَكُن كلُّ شيءٍ على وَجْهٍ لائقٍ وفي نِظام! (١ كور ١٤، ٤٠). من هنا ضرورة التنسيق بين المحتفل والجوقة والقرّاء في تحضير الصلوات الليتورجية بعيدًا عن روح الارتجال والمِزاجيّة. لقد تطرّق ال**توجيه إلى تطبيق المبادئ الليتورجيّة الواردة في مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة**، الصادر في العام ١٩٩٦ إلى هذا الموضوع، فدعا إلى فحص تاريخيّ دقيق للطقوس يتمّ في إعادة الأجزاء الخاصة بالشعب للشعب، وحذّر من أن ينوب مَن أنيطت بهم بعض المسؤوليات (الكهنة، الشمامسة، القراء، المرنمون، الجوقة) مناب الجماعة كلّها. ودعاهم إلى أن يقودوها لكي تستطيع، هي أيضًا، أن تعبّر

خارجيًا عن مشاركتها. كما أنه طلب عدم إسناد أجزاء من صلوات محفوظة للإكليرس إلى الشعب (الفِقْرة ٣٣).

في الاحتفالات الليتورجيّة، يُطلَب من كلّ شخص، سواء أكان خادمًا للسرّ أم مؤمنًا، أن يعمل لدى قيامه بوظيفته، العمل كلّه الذي يقع عليه من جرّاء طبيعة الأمور ومن جرّاء الأنظمة الليتورجيّة وأن لا يتعدّاه إلى سواه من الأعمال (دستور في الليتورجية المقدسة، الفِقْرة ٢٨)

4 - التنشئة الليتورجيّة

إن إشراك العَلْمانيين في الليتورجيا ليس بالأمر الاعتباطي. إذ تقع على كهنة الرعايا مسؤولية تنشئة المؤمنين الليتورجية واللاهوتية، فيكون اشتراكهم في خدمة الليتورجيا مبنيًّا على إدراك فعليّ للّاهوت وروحانيّة الأفخارَسْتِيَا. هؤلاء الكهنة قد سبق لهم أن تلقّوا في إكليريكيّاتهم ومعاهد اللاهوت تنشئة صُلبة تتناول النواحيَ اللاهوتيّة والتاريخيّة والروحيّة والرعويّة والقانونيّة للّيتورجيّا. ويجهد أيضًا الأساقفة في تأمين التنشئة الليتورجية المستمرة للكهنة بلقاءات تساعد الكهنة أكثر على التعمق في الليتورجيا. إلى جانب التنشئة الليتورجية، ينبغي للأساقفة السهر على التنشئة البيبلية للمؤمنين. إن فِقْدان الثقافة الكتابية، وبشكل أوسع الثقافة الدينية، يبرز الفجوة بين الليتورجيا والأشخاص الذين يشاركون فيها. التنشئة البيبلية هي بالتالي ضرورية لسبر معاني ورمزية الليتورجيا، لا سيّما في طقوسنا الشرقيّة.

يُواصلُ رعاةُ النفوس بغَيْرةٍ وصبرٍ تنشئةَ المؤمنين الليتورجية وإشراكهم فيها إشراكًا فعليًّا، داخليًّا وخارجيًّا، على حسبِ مُستوى أعمارهم، وعلى حسب أوضاعهم وأنواع حياتهم، ودرجة ثقافتهم الدينية، وهكذا يضطلعونَ بإحدى أهمِّ الوظائف الواقعة على المُوزّع الأمين لأسرارِ الله، ويقودون رعيتهم في هذا الأمر لا بالقول فقط بل بالمثل أيضًا (دستور في الليتورجية المقدسة، الفِقْرة ١٩)

في الختام، لا بدّ لنا من الإشارة إلى نقطتين مهمتين. إن تفعيل مفهوم مشاركة المؤمنين يقع بالدرجة الأولى على عاتق الأسقف الأبرشيّ الذي من واجباته السهر على تعزيز الحياة الليتورجيّة وتنظيمها بصفته المشرف والمنشّط والحارس في الأبرشية على الحياة الطقسية (مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، ق. ١٩٩ البند ١). فينبغي على الليتورجيا التي يحتفل بها الأسقف أن تكون مثالًا يحتذى به لباقي الرعايا. إن تأسيس لجان ليتورجية أبرشية مكونة من كهنة وعلمانيين ضليعين بعلم الليتورجيا من شأنه أن يخلق مُناخًا إيجابيًا

يعطي لكل وظيفة ليتورجية حقها. من ناحية أخرى، إن مفهوم مشاركة المؤمنين في الليتورجيات الشرقية ليس بأمر مُستحدَث أو جديد طرأ على طقوسنا بفضل المجمع الفاتيكاني الثاني. على مرّ التاريخ في الغرب الكاثوليكي، ولأسباب يضيق بنا المجال لشرحها، كان الاحتفال بالقداس الالهي عمل الكاهن بمفرده، بعيدًا عن الشعب الذي، وإن وجد، فهو غالبًا عاجز عن فهم اللغة اللاتينية التي يستعملها الكاهن، أو لا دور له في هذه الخدمة الإلهية. فأتى المجمع الفاتيكاني الثاني بعملية الإصلاح الليتورجي التي كان روّادها لاهوتيّين كثرًا استقوا أفكارهم من الليتورجيات الشرقيّة ولا سيما ليتورجيا القرون الأولى. إن مشاركة المؤمنين في طقوسنا الشرقية ولا سيّما في احتفالاتنا الأفخارَسْتِيّة هي أمر بديهيّ. ولكن من المفيد دائمًا من إعادة قراءة هذا المفهوم وتصويبه، لا سيّما أن الليتورجيا خاضعة لعوامل عديدة خارجية تجعلها في عملية تجدد دائم وتطوير للطقوس مع الحفاظ على الأمانة الكاملة للتقاليد الليتورجيّة.

بعض المراجع للتعمّق

- المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور في الليتورجيا المقدسة، ١٩٦٣.

- *Vivre et célébrer, La participation à la liturgie* 234 (2018).

- *La Maison Dieu, La participation active* 241 (2005).

- Olivier de Cagny, « La participation active des fidèles aux célébrations liturgiques », disponible sur : https://liturgie.catholique.fr/bibliothèque/les-dossiers/decryptage-discours-pape-francois-50-ans-musicam-sacram/293533-participation-active-fidèles-celebrations-liturgiques/

احتفال الأسقف بالقدّاس في الرعيّة

الأب هاني مطر الرّاهب اللبنانيّ

"**الكاهن وسرّ الأفخارَسْتِيَا**" عنوان الخدمة المقدَّسة والمقدِّسة، فالكاهن أيقونة الربّ يسوع وشريكه في ذبيحة الفداء، وقد أُكرِمَ بالكهنوت الملكيّ، صار شريكًا في ذبيحة الربّ نفسه بالأفخارسْتِيَا.

"وبما أنّ سرّ الكنيسة يعتلن اعتلانًا كاملًا في الأفخارَسْتِيَا، فخدمة **الأسقف** تظهر أوّلًا في ترؤّس حفلة الأفخارَسْتِيَا، بالاشتراك مع الكهنة والشمامسة"، في الرعيّة.[٧٧]

"**الأفخارسْتِيَا**، منبع الحياة المسيحيّة وقِمَّتها، وترمز إلى شركة الحياة مع الله ووَحدة شعب الله، ويُحتفل بها في جماعة المؤمنين، لكي تصير "**التعبير المرئيّ للكنيسة**" (١قور ١١: ١٧- ٣٤).

"**بسرّ الأفخارسْتِيَا**" نتّحد بالمسيح الّذي يُصيّرنا شركاء في جسده وفي دمه، لنكونَ جسدًا واحدًا (١ قور ١٠: ١٦- ١٧).

"**والأسقف**" يعني حضور المسيح، حضورًا مرئيًّا وسط جماعة المؤمنين، لأنّه "**صورة حيّة لله الآب**"، كما كتب مار أغناطيوس الأنطاكيّ.[٧٨]

"كلّ أسقف، بوصفه نائبًا للمسيح، يتولّى رعاية الكنيسة الخاصّة الّتي وُكِلَت إليه[٧٩]أبرشيّته. لذلك، "الأفخارَسْتِيَا، الّتي يحتفل بها الأسقف، تكتسب معنًى خاصًّا يعبّر عن **اجتماع الكنيسة حول المذبح** برئاسة من يمثّل، بطريقة مرئيّة، المسيح الراعي الصالح ورأس كنيسته":[٨٠]

"لهذا، على الجميع أن يقدروا تقديرًا عظيمًا الحياة الطقسيّة في الأبرشيّة حول الأسقف... وليقتنعوا بأنّ المظهر الأساسيّ للكنيسة يقوم في الاشتراك الكامل والفعّال لكلّ شعب الله المقدّس في الاحتفالات الطقسيّة ذاتها، لاسيّما في **الأفخارَسْتِيَا الواحدة** في صلاة واحدة حول المذبح الواحد، حيث يترأس الأسقف محاطًا بمجلسه الأبرشيّ وبخدَمَته"![٨١]

---

[٧٧] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١١٤٢ .

[٧٨] القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ في رسالته إلى الترالييّن ٣، ١؛ وإلى المغنيسيّين ٦، ١ .

[٧٩] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٥٦٠.

[٨٠] المرجع السابق، ١٥٦١.

[٨١] دستور في الليتورجيّا، ٤١.

ونعني، هنا، "**بمجلسه" كهنة الأبرشيّة** المعاونين له، "**وبخدَمَته" "الرعيّة**" الّتي يحتفل فيها بالأفخارَسْتِيَا.

فالكهنة، أُقيموا "أعوانًا للأساقفة في تأدية الرسالة التي سلّمها المسيح إليهم"[٨٢]؛ ووظيفتهم "تشركهم، بحكم اتّحادها بالدرجة الأسقفيّة، في السلطة التي يبني المسيح بها جسده ويقدّسه ويسوسه"[٨٣].

أمّا، "**الرعيّة**"، "فهي جماعة محدّدة من المؤمنين قائمة على وجه ثابت في كنيسة خاصّة... تحت سلطة الأسقف الأبرشيّ"، وهي الجماعة الأفخارَسْتيّة وقلب الحياة الليتورجيّة للأسَر المسيحيّة، المدعوّة إلى الاحتفال بالأفخارَسْتِيَا يوم الأحد[٨٤].

انطلاقًا من هذه المفاهيم اللاهوتيّة الكنسيّة، يُطرح علينا عنوان مقالنا: "**احتفال الأسقف بالقدّاس في الرعيّة**". كيف نفهم، لاهوتيًّا، موقع الأسقف ودوره في الأبرشيّة والرعيّة، في الاحتفال بالأفخارسْتِيَا؟ وما هو البُعد الليتورجيّ وأهمّيّته في الاحتفال الأفخارَسْتيّ الّذي يرأسه الأسقف؟

1. المعنى اللّاهوتيّ لموقع الأسقف ودوره

أ. وَعدنا الربّ يسوع، قال: " حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فأنا أكون هناك في ما بينهم" (متّى ١٨: ٢٠)، وهو لا ينفكّ حاضرًا إلى جانب كنيسته، ولاسيّما في ذبيحة القدّاس، وفي شخص "خادم السرّ".

"**وخادم السرّ**" هذا، في مقالنا، هو "**الأسقف**، الّذي هو نائب المسيح، والّذي يقوم بطريقة سامية ومرئيّة، مقام المسيح نفسه المعلّم والراعي والحبر"[٨٥]. وبما أنّ سرّ الكنيسة يعتلن اعتلانًا كاملًا في الأفخارَسْتِيَا، فخدمة الأسقف تظهر أوّلًا في **ترؤّس حفلة الأفخارستيا**، بالاشتراك مع الكهنة والشمامسة"[٨٦]، وبمشاركة الرعيّة. "**الأسقف المحلّي** هو الّذي يرعى دائمًا الأفخارَسْتِيَا[٨٧]، ولا تُعتبر شرعيّة إلّا الأفخارَسْتِيَا الّتي يرأسها الأسقف، أو مَن وَكل إليه ذلك"[٨٨]. **والكهنة**،

---

[٨٢] قرار مجمعيّ في حياة الكهنة وخدمتهم الراعويّة،٢.

[٨٣] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٥٦٣.

[٨٤] المرجع ذاته، ٢١٧٩.

[٨٥] المرجع ذاته، ١٥٥٨.

[٨٦] المرجع ذاته، ١١٤٢.

[٨٧] المرجع ذاته، ١٣٦٩.

[٨٨] القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، إلى السميرنيّين ٨، ١ .

بدورهم، "يمارسون خدمتهم ضمن مجموعة كهنة الأبرشيّة، تحت إدارة أسقفهم"[٨٩] وبالاتّحاد به.

ب. وهكذا، فالكهنة يؤلّفون مع أسقفهم **أسرة "كهنوتيّة"** واحدة، ومتنوّعة الوظائف:[٩٠] فالأسقف يجد في نعمة الروح القدس، الّتي حلّت عليه، النعمة الّتي تدفعه إلى "أن يتقدّم في طريق القداسة والتماهي، في الأفخارَسْتِيَا، مع المسيح الكاهن"[٩١].

ج. "**الرعيّة**" هي الجماعة المسيحيّة، الّتي تعيش في مكان واحد، وتؤلّف **كنيسة الله الآب** في المسيح يسوع. ويكتب القدّيس اغناطيوس الأنطاكيّ إلى أهل أفسس: "تجتمعون في إيمانٍ واحد بيسوع المسيح... لتطيعوا **الأسقف** والكهنة، **كاسرين الخبز الواحد** الّذي هو دواء لكيلا نموت، بل نحيا في المسيح يسوع حياة إلى الأبد"[٩٢].

د. يمثّل **الأسقف** الله ذاته، كالربّ يسوع في العشاء الأخير، ويمثّل **الكهنة** الرسل. هكذا يظهر الأسقف صورة "**للمسيح** في الجماعة المسيحيّة، ودرجته هي "رتبة"، وليست تحوّلًا سحريًّا من إنسان إلى إله. لكنّ مفعول النعمة الإلهيّة الّتي ينالها تجعله مستحقًّا لهذه الرتبة الشريفة.

ويدعو القدّيس اغناطيوس الأنطاكيّ أهل مغنيسة: "كما أنّ المسيح لم يعمل شيئًا بذاته من دون الآب، الّذي هو واحد معه، كذلك أنتم لا تفعلوا شيئًا من دون **الأسقف** والكهنة، بل اصنعوا كلّ شيء متّحدين: صلاة واحدة، تضرّع واحد، روح واحد، رجاء واحد في المحبّة وفي الفرح المقدّس... سارعوا إلى أن تتّحدوا اتّحادكم في هيكل واحد لله، **اتحّادًا حول مذبح واحد** في المسيح الوحيد الّذي خرج من الآب واحدًا، وكان معه لوحده، ومن ثمّ عاد إليه"[٩٣].

لذلك، "يحسن أن تخضعوا **للأسقف** دون رِياء، لأنّكم بذلك لا تغشّون هذا الأسقف المنظور، بل تعملون على خدع الأسقف غير المنظور"[٩٤] ربّنا يسوع المسيح.

---

[٨٩] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٨٧٧.

[٩٠] المرجع ذاته، ١٥٦٧.

[٩١] المرجع ذاته، ١٥٨٦.

[٩٢] القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، رسالة إلى أهل أفسس ٢٠، ٢ .

[٩٣] القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، رسالة إلى أهل مغنيسة ٧.

[٩٤] المرجع ذاته، ٣، ٤ .

هذا هو موقع الأسقف الحقيقيّ، في أبرشيّته، وفي الاحتفال بالأفخارَسْتِيَا في رعيّته، وهذا هو دوره المهمّ في **تحقيق قداسته شخصيًّا**، وفي السهر على سرّ ملكوت الله في أبرشيّته وكلّ الرعايا.

2. **البُعْد الليتورجيّ لاحتفال الأسقف بالقدّاس في الرعيّة**

أ. "الكنيسة الحقيقيّة هي حيث يوجد المسيح. وحيث يوجد المسيح، هناك الكنيسة الجامعة. وحيث يوجد **الأسقف** هناك الكنيسة"[٩٥]. الأسقف هو حقًّا صورة المسيح وحضوره في الكنيسة، وهذا ما عبّرت عنه تعاليم الكنيسة بخصوص احتفال الأسقف بالأفخارَسْتِيَا حول المذبح، برئاسة من يمثّل، بطريقة مرئيّة، المسيح الراعي الصالح"[٩٦].

"**الأفخارَسْتِيَا**"، منبع الحياة المسيحيّة، تحتوي على كنز الكنيسة الروحيّ، أي على المسيح بالتّحديد[٩٧]. وعندما تجتمع الكنيسة لتحتفل بالأفخارستيا، فإنّ المسيح، الحَبْر الأعظم، هو نفسه يرأس، بطريقة خفيّة، هذا الاحتفال. وعندما **يرأس الأسقف** الاحتفال، فهو **يمثّل المسيح نفسه**[٩٨]. وما مشاركة الكهنة والرعيّة، في احتفال الأسقف بالأفخارَسْتِيَا، سوى شهادة على **الانتماء إلى المسيح وكنيسته**، والأمانة لهما. ويؤكّد المؤمنون، بذلك، شركتهم في الإيمان والمحبّة، ويشهدون معًا لقداسة الله ورجائهم الخلاص[٩٩].

"في كلّ مرّة تتحقّق **شركة المذبح** بالارتباط في خدمة الأسقف المقدّسة، يظهر رمز تلك المحبّة، ورمز وحدة الجسد السرّيّ الّتي بدونها لا خلاص يُرتجى... وكلّ احتفال شرعيّ بالأفخارَسْتِيَا إنمّا يقوده الأسقف"[١٠٠]:

لقد تقلّد الأسقف خدمة "قطيعه" الّذي أوكل أمره إليه، والّذي عُيّن هو راعٍ له، ومهمّته ترتكز على **التعليم والتقديس والتدبير**. ومهمّة "**التقديس** تقتضي أن يقدّم الأساقفة الأفخارستيا، وذلك لخير الكنيسة، فتحيا وتنمو برصيدها الروحيّ"[١٠١].

---

[٩٥] القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، رسالة إلى أهل إزمير، ٨، ١.

[٩٦] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٥٦١.

[٩٧] المرجع ذاته، ١٣٢٤.

[٩٨] المرجع ذاته، ١٣٤٨.

[٩٩] المرجع ذاته، ٢١٨٢.

[١٠٠] دستور عقائديّ في الكنيسة،٢٦.

[١٠١] المرجع ذاته، صفحة ٣٣.

ب. ويُسهِب النصّ السادس: البطريرك والأساقفة، في المجمع البطريركيّ المارونيّ (٢٠٠٦)، في شرح **خدمة التقديس**: "كذلك يؤتمن الأساقفة على تقديس الشعب الموكول إليهم. ويمارسون هذه الخدمة مباشرة عندما يحتفلون بالأسرار المقدّسة، ولا سيّما **الأفخارَسْتِيَا**، حيث تجتمع حولهم الجماعة المؤمنة، فتجسّد **حضور المسيح** وعمله فيها بقوّة الروح القدس".[١٠٢]

ويستفيض المجمع البطريركيّ في تبسيط **دور الليتورجيّا**: "ونظرًا إلى ما للّيتورجيّا من أهمّيّة في حياة الرعاة والمؤمنين، كان لا بدّ من التنبّه لما تقتضيه من إعداد لإتقان الاحتفال بها، حتّى لا تتسرّب إليها الرتابة، فتفقد بريقها وجاذبيّتها، كما يجب التنبّه لربطها بالحياة، لأنّها توفّر الغذاء الروحيّ للمحتفل وللمؤمن على السواء".[١٠٣]

"ولذلك كان من واجب الرعاة أن يسهروا على كلّ الاحتفالات...، **على ألّا يغلب عليها الطابع الدنيويّ**، لئلّا تتحوّل إلى حفلات اجتماعيّة وتظاهرات عالميّة لها مظهر دينيّ... ويُعوّل كثيرًا على دور الأساقفة ومَثَلهم في هذا المجال".[١٠٤]

ج. أمّا نصّ **الليتورجيّا**، في المجمع البطريركيّ المارونيّ، فيركّز على أنّ "الأسقف هو بمثابة الكاهن الكبير والأوّل لقطيعه، وحياة المؤمنين الروحيّة تأتي منه وتتعلّق به، لكونه حارسًا ومنشّطًا ورئيسًا للحياة الليتورجيّة بأجمعها في الأبرشيّة".[١٠٥]

"يقوم دور الأساقفة على تعزيز الحياة الليتورجيّة وتنظيمها على **حسب رسوم الكنيسة المارونيّة الخاصّة** وعاداتها المشروعة، **فهم لا يتصرّفون من عندهم**، بل يستندون إلى التراث الخاصّ بالكنيسة المارونيّة".[١٠٦]

"وعلى الشعب المؤمن أن يقدرَ قدرًا عظيمًا الحياة الطقسيّة في الأبرشيّة (خصوصًا القدّاس الّذي يحتفل به الأسقف في الرعيّة) حول الأسقف، **لا سيّما في الكنيسة الكاتدرائيّة، وهذه ينبغي لها أن تكون مثالًا يُحتذى** في الحياة الليتورجيّة في الأبرشيّة".[١٠٧]

---

[١٠٢] المجمع البطريركيّ المارونيّ، البطريرك والأساقفة، ٢٧، الصفحة ١٩٣.

[١٠٣] المرجع ذاته، ٢٨، صفحة ١٩٣.

[١٠٤] المرجع ذاته، ٢٩، صفحة ١٩٣.

[١٠٥] المجمع البطريركيّ المارونيّ، الليتورجيّا، ٣٢، الصفحة ٤٢٩.

[١٠٦] المرجع ذاته.

[١٠٧] المرجع ذاته.

د. ويتوقّف "**كتاب الإرشادات الطقسيّة**"، الّذي أقرّه سينودس الأساقفة المارونيّ، في حزيران ٢٠٢١، في الباب الثاني، في الفصل الأوّل، على "القدّاس الّذي يحتفل به البطريرك **أو الأسقف**"[١٠٨].

في هذا الاطار، لا بدّ من التنويه بضرورة الالتزام بكلّ ما ورد في هذه الارشادات، لما فيه خير المؤمنين وتمجيد الله وتقديس النفوس، من جهة، والاحتفال بشكلٍ مهيبٍ وجميلٍ وراقٍ يوحي بالبساطة على روعة وبهاء، من جهة أخرى.

3. قدّاس الأسقف في الرعيّة علامة شركة ووَحْدة

أ. مُهِمّة الأسقف الأولى والأساسيّة رعاية قطيع المسيح وتوزيع أسرار الله بهدف **تقديس النفوس.** فالله هو القدّوس وحده، وهو مقدّس الّذين يؤمنون به، وبخاصّة الّذين يتكرّسون له، فيصيرون شركاء في كهنوت المسيح، ووكلاء أسرار الله (١قور ٤: ١)، **ومُهِمَّتهم تقديس "عروس المسيح"**- كنيسته، أي الأبرشيّة والرعيّة، الّتي تُعتبر "**الكنيسة المحلّيّة**".

"**شركة**"، اسم "يمكنه أن يُطلق على كلّ سرّ، لأنّ كلّ سرّ يضمّنا إلى الله... إلّا أنّ هذا الاسم أجدر **بالأفخارَسْتِيَا** لأنّها **هي الّتي تُتمّ هذه الشركة**"[١٠٩].

لكنّ، "القدّاس هو، ... الوليمة المقدّسَة الّتي فيها نشترك في جسد الربّ ودمه. بيد أنّ الاحتفال بالذبيحة الأفخارَسْتِيّة يهدف كلّه إلى **تّحاد المؤمنين اتّحادًا حميمًا** بالمناولة"."**الأفخارَسْتِيَا** تتميّز بأنّها سرّ الّذين ينعمون **بملء الشركة** مع الكنيسة"[١١٠][١١١].

"فالّذين ينالون الأفخارَسْتِيَا يتّحدون بالمسيح اتّحادًا أوثق. ومن ثمّ، يجعلهم المسيح **متّحدين بجميع المؤمنين في جسدٍ واحد**، أي **الكنيسة**"[١١٢].

ب. بالأفخارَسْتِيَا تتحقّق هذه الدعوة: "**كأس البركة** الّتي نباركها، أليست هي **شركة** في دم المسيح؟ والخبز الّذي نكسره، أليس هو **شركة** في جسد المسيح؟ فبما أنّ الخبز واحد، فنحن الكثيرين جسد واحد، لأنّنا جميعًا نشترك في الخبز الواحد" (١ قور ١٠: ١٦ – ١٧).

أمام عظمة هذا السرّ، الّذي يحتفل به الأسقف مع كهنته والرعيّة، يستوقفنا كلام القدّيس أوغسطينوس:

---

[١٠٨] كتاب الإرشادات الطقسيّة، الصفحة ١٠-١٦، (تحت الطبع).

[١٠٩] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٩٥٠.

[١١٠] المرجع ذاته، ١٣٨٢.

[١١١] المرجع ذاته، ١٣٩٥.

[١١٢] المرجع ذاته، ١٣٩٦ .

"يا لَسِرّ التقوى! يا **لَعلامة الوَحْدة**! يا لَرِباط المحبّة!"[113]

"**الأفخارَسْتِيَا**" تصنع الكنيسة، تجدّدها وتقوّيها وتُعمّق فيها هذا الاندماج والتناغم، حتّى تمكنها الشهادة على حضور المسيح فيها، وعلى نشر ملكوت الله بين الأمم.[114]

هذه "**الأفخارَسْتِيَا**" **تُطهّرنا** وتُعِدُّنا للإنضمام، بل **الاتّحاد الكامل** بشخص الربّ يسوع، "**فتُقدِّسنا**" وتكمّلنا وتصيّرنا على "صورة" المسيح، أبناء الآب السماويّ، هياكل الروح القدس، كاملين وقدّيسين!

الخلاصة

غاية الكنيسة الأولى هي أن **تكونَ سرَّ الاتّحاد الصميم** بين البشر والله، ذلك أنّ **الشركة** بين البشر تتأصّل في **الاتّحاد بالله**. "**الكنيسة**"، أداة المسيح، وتصميم محبّة الله للبشريّة، وبها يؤلّف الجنس البشريّ كلّه شعبًا واحدًا لله، إذ يجتمع في جسد المسيح الواحد، **الّذي يتناوله من "الأفخارَسْتِيَا" الواحدة**. في "الأفخارَسْتِيَا" نشترك اشتراكًا حقيقيًّا في جسد المسيح، ونرتفع **إلى الشركة معه** وفي ما بيننا.[115]

فالكنيسة واحدة مع المسيح، هو رأسها، والمؤمنون ، أبناء الرعيّة الواحدة، هم أعضاء هذا "الجسد السرّيّ". وهذا ما تختبره كلّ رعيّة تحتفل مع راعيها الأسقف بالأفخارَسْتِيَا الواحدة.

المسيحيّون، أبناء الرعيّة، المتحلّقون حول راعيهم وأسقفهم، مع كهنتهم، يؤلّفون أعضاء "**الجسد السرّيّ**" الّذي رأسه المسيح (إف١ :٢٢)، وهم يساهمون بصمود عقيدتهم وأخلاقهم **في بناء الكنيسة**. فالكنيسة تكبر وتنمو وتتطوّر بقداسة مؤمنيها،[116] حتّى تصلَ إلى "ملءِ قامة المسيح" (إف ٤: ١٣).

هذه هي الدعوة الّتي دُعِيَت إليها كلّ "**رعيّة**"، كلّ **جماعة** مؤمنة برئاسة راعيها، لا سيّما عندما يحتفل بالأفخارَسْتِيَا فيها، يحوطه كهنة أبرشيّته، وهي أن تحقّق **الوَحْدة**، بتقبّلها نعمة الأسرار، وبخاصّة "**سرّ الأفخارَسْتِيَا**" فتمتزجَ وتتوحّدَ بنعمة المسيح، **وتتقدّس**.

"**الأسقف**" في رعيّته، له سلطان التعليم، إذ يلقّن أبناء رعيّته "الحقيقة" و "المحبّة". فهو "**النبيّ**" الّذي يُعلن للمؤمنين حقيقتهم، ويذكّرهم بما يجب أن يكونوا أمام الله،[117] كاملين وقدّيسين.

---

[113] القدّيس أوغسطينوس، في إنجيل يوحنّا ٢٦، ١٣. دستور في الليتورجيّا المقدّسة، ٤٧.

[1] Laurent de Villeroché, L'Eglise fait[1] l'Eucharistie, l'Eucharistie aussi fait l'[4]Église, un paradoxe en sacramentaire, cogitatio fidei, cerf, Paris 2021.

[115] دستور عقائديّ في الكنيسة، ٧.

[116] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٠٤٥.

هذا هو المعنى الحقيقيّ والعميق لاحتفال الأسقف بالقدّاس في الرعيّة.

ربّي! قدِّس أساقفتنا وكهنتنا! فتتقدّسَ رعايانا وكنيستنا، ونشهدَ على حضورك، وعلى قيامتك المجيدة.

بيبليوغرافيا

المستندات والمراجع

1- الكتاب المقدّس، العهد الجديد، كلّيّة اللاهوت الحبريّة في جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ١٩٨٧.

2- المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الوثائق المجمعيّة، عرّبها يوسف بشاره، وعبده خليفه وفرنسيس البيسريّ، طبعة ثالثة منقّحة ، لبنان ١٩٨٩ .

3- التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، عرّبه المتروبوليت حبيب باشا، المطران يوحنّا منصور، والمطران كيرلس سليم بسترس، والأب حنّا الفاخوري: المكتبة البولسيّة ومنشورات الرسل، جونيه، لبنان، ١٩٩٩.

4- المجمع البطريركيّ المارونيّ، النصوص والتوصيات، بكركي ٢٠٠٦.

5- دليل الكاهن الرعويّ، أبرشيّة أنطلياس المارونيّة، ٢٠٠٩ .

6- كتاب الإرشادات الطقسيّة في الكنيسة المارونيّة، إعداد اللجنة البطريركيّة للشؤون الطقسيّة، بكركي (تحت الطبع).

7- القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، في رسائله إلى كنائس الترالّيين، السميرنيّين، أفسس، مغنيسة، إزمير.

8- القدّيس أوغسطينوس، في شرحه لإنجيل يوحنّا، معربّة عن:

9- الأب جان مايندورف، المسيح والأسقف ووَحْدة الكنيسة عند القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، عرّبه شفيق حيدر عن مقال:

10- Jean Meyendorff, Le Christ, l'Evêque et l'unité de l'Eglise chez saint Ignace d'Antioche, in « le Messager orthodoxe »,119- 120, 1992.p.4.

11- The writings of the Nicene and Post-Nicene Fathers, First series- vol.6.

12- Yves Congar, Au cœur de la liturgie chrétienne, lexorandi, Cerf, Paris 2018.

---

[١١٧] المرجع ذاته، ٢٠٣٦.

13- Dietrich Von Hildebrand, liturgie et personnalité, Ad Solem spiritualité, France 2008.

14- Benoit XVI (Joseph Ratzinger), venez à la messe avec moi, bayard, 2016.

15- Joseph Ratzinger, L'Esprit de la liturgie, une introduction, Ad Solem théologie, France 2001.

16- Michel Scouarnec, Vivre… croire… célébrer…, Les Editions ouvrières, Paris 1983.

17- Michel Fauque, Petit guide des fonctions liturgiques, Téqui, Paris 1983.

18- Centre national de pastoral liturgique, Exultet, Encyclopédie pratique de la liturgie, Bayard, 2000.

19- Laurent de Villeroché, L'Eglise fait l'Eucharistie, l'Eucharistie aussi fait l'Eglise, un paradoxe en sacramentaire, cogitatio fidei, cerf, Paris 2021.

الفنّ في خدمة الاحتفال الأفْخارَسْتِيّ

الأخت أنجال المسنّ

الرّاهبة الأنطونيّة

إنّ الاحتفال الأفخارَسْتِيّ هو سرّ عيش تدبير الله الخلاصيّ، عطيّة الله المفضّلة للإنسان الذي خلقه، فوهبنا يسوع المسيح جسده ودمه مأكلًا ومشربًا، وأعطانا في الوقت ذاته أن نعيش هذه العطيّة اللّامتناهية وغير المحدودة في زمان أو مكان.

من جهة أخرى، أثبتت الكنيسة على مرّ العصور أنّ حياتها الأسراريّة والليتورجيّة غير منفصلة عن الفنّ المقدّس الذي هو موضوع صلاة وامتداد للتجسّد في الجمال والبهاء. هذا الفنّ يجسّد الكلمة أي "كلمة الكتاب المقدّس" ويهب في الوقت نفسه النّعمة الإلهيّة ويسمّى "اللّاهوت في رموز".

يقول القدّيس باسيليوس الكبير: "إنّ ما توصله الكلمة بالصّوت، تُريه بالرّسم؛ ولكن بصمت". لذا، لا يمكن أحدًا أن يفهم أو يشرح الفنّ المقدَّس خارجًا عن الكنيسة وعن حياتها وإلّا اعتبر جزء غير كامل.

الفنّ المقدَّس في التقليد المسيحيّ له مكانة مرموقة. هو تعبير عن فكرة دينيّة تدعو العين إلى تمييز وتعرّف الحقيقة المسيحيّة بالكلمة والصّورة المكتوبة. الفنّ المقدّس يتضمّن علم اللّاهوت.

إنّ المجمع المسكونيّ السّابع هو الذي حدّد تعليم الكنيسة للصور المقدّسة. إنّ ما يوضع أمام الأعين ينطبع أشدّ الانطباع في النّفوس بالتقاط الحواسّ، ويأخذ مكانه في المكامن العاطفيّة. هكذا تبدو صلة الفنّ بتجسّد الكلمة.

الاحتفال الأفخارَستيّ هو الوجه الكتابيّ للإيمان. أمّا الفنّ المقدَّس، فهو الوجه المرئيّ له. الكلمة تقود إلى الإصغاء الداخليّ، أمّا الفنّ المقدّس فيقود إلى الإصغاء النظريّ، وبين الإثنين تناغم وتواصل. فما توصله الكلمة عن سرّ الخلاص يكتمل في الصور والأيقونات.

يتحدّث القدّيس يوحنّا الدمشقيّ عن فاعليّة الأيقونات المقدّسة فيقول: "إن لم يكن لديّ كتب فإنّي أذهب إلى الكنيسة؛ فإنّ الرّسوم تجعلني مفتونًا فتحرّك مجد الله في روحي".

بتعبير آخر، أقول إنّ كلّ مَن يقول إنّه يحبّ الكتاب ويبالي الأيقونات يكون لا منطقيًّا، فإنّنا نقبل تعليم الصورة تمامًا كما نقبل نفس تعليم الكلمات المكتوبة، وكذلك نتسلّم الشكل بالنظر، كلاهما ينقل الحقيقة ذاتها؛ ولكن بطرق مختلفة.

لقد تطوّرت الكنيسة منذ نشأتها وهي مستمرّة في الأبحاث اللّاهوتيّة، والليتورجيّة، والفنيّة، لتُقَرِّب هذا السرّ من قلوب وعقول المؤمنين برموز عديدة تنطلق من الاحتفال الأفخارَسْتيّ مرورًا بالأدوات المستعملة وصولًا إلى الحركات التي يقوم بها المحتفل والحركات التي يقوم بها الشّعب المشارك في الذّبيحة الإلهيّة من رسوم وأيقونات وموسيقى، ونباتات وأزهار، بما يتلاءم مع الزّمن الطقسيّ. كلّ هذا يؤدّي بالمؤمنين إلى الغوص في عمق سرّ الأفخارَسْتِيَا، في عمق تدبير الله الخلاصيّ، ويساعدهم بالتّالي على الوصول إلى غاية الحياة المسيحيّة، أي إلى الملكوت والقداسة.

يتضمّن هذا الفنّ كلّ الاحتفالات داخل الكنيسة، إنّه عمل فنيّ بامتياز، تتجلّى فيه نعمة الله بأنوار حقيقيّة، تكتبها رموز لاهوتيّة، روحيّة، في مشاركة موحّدة، تساعد المؤمنين على الدخول المباشر في الاحتفال الأفخارَستيّ في علاقة حيّة وبفرح عظيم، لمشاركتهم في جسد الربّ بأمانة كاملة من أجل تمجيد أفضل.

إنّ التنوّع في الحركات والزينة والترتيب اللّيتورجيّ الفنيّ يُبرِز قيمة التّراث المارونيّ السُّريانيّ والتقليد الكنسيّ على حسب الزّمن الطقسيّ، والدخول في منطق الخِدمات الفنيّة التي هي يَنبوعُ غنًى روحيٍّ ولاهوتيّ.

إن كان الفنّ ولا يزال في خدمة الكنيسة لأنّه ليس فنًّا لذاته، بل هو فنّ يخدم عددًا من الوظائف من: الصّلاة والعبادة وتزيين بناء الكنيسة، لإيصال حقيقة لاهوتيّة عَقيديَّة تعليميّة ورسوليّة.

يقول البابا القدّيس يوحنّا بولس الثّاني في رسالته "الأفْخارَستِيا حياة الكنيسة": "ندرك أنّ إيمان الكنيسة بالسرّ الأفخارَستيّ قد عبّر عنه على مدى التاريخ ليس فقط التماس وضع عبادة داخليّ، بل مجموعة من التعابير الخارجيّة، معدّة للإيحاء والتنويه بعظمة الحدث المُحتَفى به، بتطوّر ميراث فنيّ غنيّ، من فنون الهندسة والنّحت والرّسم والموسيقى.

في الشرق، حافظ الفنّ المقدّس على معنًى للسرّ متميّز في قوّته، حمل الفنانين على توجيه جهودهم إلى إنتاج الجمال ليس فقط كتعبير عن عبقريّتهم، بل كخدمة حقيقيّة يؤديها للإيمان وروح الله. هذه الجماليّة شكّلت تراثًا عالميًّا للمؤمنين وأدخلتهم في شركة إيمانيّة في الاحتفال الأفخارَسْتيّ.

يتميّز هذا الفنّ بقدرته على التعبير بطريقة ملائمة عن السرّ المقبول في ملء إيمان الكنيسة ووَفْق الإرشادات الراعويّة المناسبة التي تمليها السّلطة المختصّة، وهذا يصلح للفنون التصويريّة بقدر ما يصلح للموسيقى.

يعتبر المجمع البطريركيّ المارونيّ: الفنّ المقدّس من أسمى نشاطات العقل البشريّ، إذ يهدف إلى التعبير عن الجمال الإلهيّ غير المحدود، ومن ثَمَّ إلى تمجيده وتوجيه المؤمنين إليه ليمجّدوه ويشكروه. ثمّ يتابع

عن جماليّة الموسيقى في الكنيسة فيعتبرها إرثًا عريقًا وكنزًا ثمينًا، منبعه الأوّل هو الكتاب المقدّس، والتقاليد الكنسيّة، والشّعبيّة، ترتيب الكنيسة المارونيّة بأقسامها الفنيّة الليتورجيّة الاحتفاليّة.

إنّني أعتبر وأؤكّد أنّ زينة بيت الله المقدّس تسهم في تبيان قدسيّته، وفي حسن سير الاحتفالات اللّيتورجيّة وترتيبها المنظّم، ولكن على حسب الإرشادات الطقسيّة في الكنيسة المارونيّة. وعلينا الالتزام الكامل والمتقن من أجل اجتذاب عدد أكبر من المؤمنين إلى الكنيسة.

إنّ الكنيسة، كبناء حجريّ مقدّس، هي علامة حضور الله، هندستها فنّ معماريّ خاصّ ينبثق من روحانيّة الكنيسة وتقاليدها.

الكنيسة ثلاثة أقسام من الداخل:

1- القسم الأعلى جهة الشّرق يسمّى بيت المقدس أو قدس الأقداس، يتوسّطه المذبح، الحائط الشّرقيّ للكنيسة على شكل حنيّة تمثّل مسكن الله أو "حيث الآب". هذه الحنيّة مجوّفة من الداخل على شكل مستدير، تجمّلها التصاوين والنّقوش، ومن الأفضل على ما أفاد البطريرك إسطفان الدويهيّ في "منارة الأقداس" أن يكون في الحنيّة الضابط الكلّ جالسًا على عرش عن يمينه العذراء مريم وعن يساره يوحنّا المعمدان.

- الحنيّتان الجانبيّتان: الحنيّة الصّغرى عن يمين المذبح هي خزانة الأسرار، وعن يساره الحنيّة المخصّصة لوضع ذخائر الشّهداء والقدّيسين.

- المذبح، الرّمز إلى جسد المسيح، مخصّص لتقديم الذبيحة الإلهيّة فقط. هو الجلجلة مكان صلب الربّ يسوع الذي قدّم ذاته ذبيحة حيّة مرضيّة لله. يكون المذبح من مادة الحجر كما قبر المسيح.

يلبس المذبح أغطية ثلاث من الكَتّان بلون الزّمن الطقسيّ، ويكون الغطاء الأخير مطرّزًا برسوم فنيّة روحيّة تعبّر عن الحدث المُحتفى به. كذلك يتميّز لباس الكاهن بشارات تضفي طابَعًا قدسيًّا بالرّسوم والألوان والحركات التي يقوم بها في الاحتفال الأفخارَستيّ، جميعها لها أهميّة كبرى تساعد على الصّلاة والخشوع. لذا على المحتفل أن يتقن كلّ الحركات بكلّ خشوع وورع وهدوء.

- تضاء شمعتان عسليّتان على المذبح، وتضاء أيضًا في الزيّاحات، في تلاوة الإنجيل والرّسائل ونقل القرابين. ترمز الشّمعة إلى حضور المسيح "نور العالم" وإلى تقدمة المؤمن وصلاته المتوهّجة.

الشمعة التي تضاء عند قراءة الرسائل ترمز إلى يوحنّا المعمدان السّابق الذي دلّ على المخلّص.

- الشمعتان اللتان ترافقان قراءة الإنجيل ترمزان إلى الشّريعة والأنبياء وأيضًا إلى الملاكَيْنِ اللّذينِ أعلنا قيامة الربّ من بين الأموات.
- الزهور توضع حول المذبح على قاعدة خاصّة بها، وتكون طبيعيّة لأنّها ترمز إلى الحياة واستمراريّتها في الكنيسة. ولا توضع الزّهور على مائدة المذبح أبدًا. الزّهور تعطي جمالًا باهرًا وفرحًا في القلوب.

2- القسم الثاني يسمّى الخورس الذي يصعد إليه من صحن الكنيسة. في هذا المكان ترنّم الجوقة مع الموسيقى وتمجّد وتسبّح الله الخالق وتتناغم أصواتهم مع المشاركين كالملائكة. وهذا الجمال يدخل إلى الأعماق لتمجيد الله.

يفصل صحن الكنيسة عن الخورس درابزين له ثلاثة أبواب: في الوسط واليسار واليمين.

يوضع بالقرب من الدرابزين إلى يسار الداخل الإنجيل المقدّس، وإلى يمين الداخل أيقونة السيّدة العذراء، وإلى طرف منه أيقونة الزمن الطقسيّ المتبدّلة. ويكون الإنجيل والأيقونات موضوع تكريم المؤمنين عند دخولهم إلى الكنيسة.

بالقرب من الدرابزين جهة اليسار "قراية" لتلاوة الرّسائل، وبين الباب الوسطيّ من جهة اليمين "قراية" لتلاوة الإنجيل.

3- القسم الثالث هو الهيكل أو صحن الكنيسة، وهو الذي يكون مخصّص للمؤمنين المشاركين في الاحتفال الأفخارَستيّ بخشوع واستعداد بكِياناتهم وحواسهم لتأدية كلّ الحركات الفنيّة الروحيّة المصلية وقلوبهم مرتفعة إلى العلى.

4- التبخير هو فنّ يدخل في عمق السرّ الأفخارَستيّ ولاهوت الكلمة، فيُبَخَّر بطريقة فنيّة متحرّكة مع انحناء الرأس.

أخيرًا، الفنّ يطول الحواس الخمس ويجعلها تشارك في تمجيد الله. آذاننا عند سَماع كلمة الله محمولة بموسيقى مقدّسة تسهّل علاقتنا به وفهمنا لحبّه لنا. وعند التبخير، تلعب الحواس دورها الأكبر فتجعل كِياناتنا تهتزّ عند سَماع صوت المبخرة كأجراس الكنيسة التي تدعونا إليها وترفعنا إلى العلى حيث هو الله.

هكذا تشارك الحواس في النّظر عندما نرى جمال الفنّ المقدّس في الكنيسة يجتذبنا إلى ما لا نهاية ويزرع الفرح في قلوبنا. وفي حاسّة الشمّ تعبق بالأنوف رائحة الورود والبخور ورائحة الطبيعة المشاركة من كرمة وخبز وموسيقى مصدرها أصوات الطبيعة. في حاسّة اللمس نعطي سلام المسيح بعضنا لبعض ونتناول جسد الربّ بيدنا فنشعر كأنّنا نلمس حبّ الله الذي يريد بدوره أن يشركنا في كلّ فرح. وأخيرًا حاسّة الذّوق عندما نتذوّق جمال الله المتجلّي في الاحتفال الأفخارَسْتيّ، وجسد الربّ الذي نتناوله بكلّ إيمان وخشوع.

نشكر لله دائمًا عطاياه المميّزةَ لنبقى نحن شعب الله نسبّح ونمجّد الآب والابن والرّوح القدس آمين، ويبقى الجمال الفنيّ علامة تقدير وامتنان وشكر لخالق السّماء والأرض.

من أجل عبادة قربانيّة مثمرة

الخوري شربل شدياق

يُواجه العبادة القربانيّة اليوم تحديَّان أساسيّان في داخل الكنيسة، الأوّل روح العصر المبنيّة على الغنوصيّة الحديثة والتي تمجّد العقلنة المطلقة والمعرفة الفكريّة، وتجد صعوبة في فهم ما الذي يُمكِن ساعةً من الجلوس أمام القربان أن تقدّمه إلى إنسان اليوم ؛ أمّا التحدي الثاني فيكمُنُ في روح البلاجيّة الجديدة التي تَظهر بالقساوة الروحيّة، والتمسّك الأعمى بالتقاليد الكنسيّة، فهي تُساوي الأسرار بالعبادات التَّقْويّة والشعبيّة، وتسعى إلى نيل الخلاص بالأفعال الإراديّة البطوليّة من مثل البقاء ساعات طويلة أمام القربان.

تعود العبادة القربانيّة، في جذورها التاريخيّة، إلى تلك اللحظات التي يُرفَع فيها القربان المقدّس على المذبح أثناء الذبيحة الإلهيّة، ودفع الحس الإيماني عند المؤمنين إلى تمييز وجود ثمار روحيّة متأتيّة من السجود أمام السرّ العظيم. وفي القرون الوسطى، أخذت تلك العبادة القربانيّة بُعدًا جديدًا في حياة الكنيسة، إلى أن بلغت إلى الشكل الذي نعرفه اليوم.

ترتبط العبادة القربانيّة على نحوٍ لصيق بسرّ الأفخارَسْتِيَا، إذ تنبثقُ منه وتقودُ إليه، وخارجًا عنه يستحيل الحديث عن عبادة أفخارَسْتِيَا مثمرة.

ففي البداية، سيتم التطرق إلى بعض النقاط الأساسيّة المتعلّقة بسرّ الأفخارَسْتِيَا التي هي على ارتباطٍ وثيق بالعبادة القربانيّة، ليتمّ بعدها عرض الأسس لعبادة قربانيّة مُثمرة.

أوّلًا: العبادة القربانيّة، من سرّ الإفخارَسْتِيَا

تقوم العبادة القربانيّة على التأمّل والدخول في سرّ يسوع المسيح الأفخارَسْتيّ-الفِصْحيّ. تنطلق المبادرة في الأفخارَسْتِيَا من الله الآب بواسطة الروح القدس إلى الإنسانيّة المتألّمة، لتشترك في بُنوّة وإنسانيّة وجسد الابن الوحيد يسوع المسيح. وعبّر اللاهوتي الأرثوذكسي نيقولا كابازيلاس عن ذلك قائلًا: "يغدو بالأفخارَسْتِيَا جسد المسيح جسدنا، ويَغدو دم المسيح دمنا، فتصبح حياة المسيح حياتنا، وبنوّة المسيح لله الآب بنوّتنا".

إذًا، يتناول المؤمن في الأفخارَستيا ما هو مدعوٌّ إلى أن يصيره، أي جسد المسيح، فيعيش اختبار القدّيس بولس القائل "لست أنا الحي إنّما المسيح حيٌّ فيَّ" (غل ٢: ٢٠)، ويشترك في هذا السرّ مع حياة الابن

ومع الإنسانيّة جمعاء بالطبيعة الإنسانيّة التي أخذها شخص الابن في التجسّد. وكما قامت حياة يسوع العلنيّة على صنع مشيئة الآب "لتكن مشيئتك"، وعلى بذل الذات في سبيل الإنسان "ما من حبٍّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبّائه" (يو ١٥: ١٣)، كذلك يشترك المؤمن بالأفخارَسْتِيَا في بنوّة الابن الوحيد، فيغدو السَّعْيُ إلى تمييز مشيئة الآب وإتمامها طعامه، وبذل الذات في الابن من أجل خلاص النفوس وبناء الكنيسة رغبة قلبه.

لا بدّ من الإشارة إلى مقدار التماهي بين سرّ الأفخارَسْتِيَا وسرّ الكنيسة، إذ كلاهما حقيقة جسد المسيح، وكان يُطلق في القرون الوسطى على الأفخارَستيا تسمية جسد المسيح السريّ (misterion)، إذ تصنع الكنيسة الأفخارَستيا، والأفخارَسْتِيَا تصنع الكنيسة؛ والكنيسة والأفخارَسْتِيَا "هما" سرّ جسد المسيح الحاضر في العالم.

في الختام، تتضرّع الإنسانيّة في الاحتفال الأفخارَسْتيّ إلى الله، ليَحلَّ روحه القدّوس على التقدمة، ومن ثَمَّ تستعدّ لاستقبال عطيّة الآب للعالم "يسوع المسيح"، بالرّوح القدس.، وبعد المناولة، تنطلق الجماعة الأفخارَستيَّة إلى العالم حاملةً سرّ الخلاص ، لتعود من جديد وتقدّمه قربانًا على مذبح الربّ.

ثانيًا: من العبادة القربانيّة إلى الأفخارَسْتِيَا

عطيّة الله

لا تنفصل العبادة القربانيّة عمّا سبق وتقدّم. فالسجود للقربان تأمّل في عطيّة الله للعالم، وحضوره الحقيقي الدائم في التاريخ، في وسط الجماعة المصلّية، والإنسانيّة المتألّمة، والخليقة التي تئنُّ وتتألّم في انتظار الخلاص. تُدخلنا هذه العبادة في سرّ الله، إذ تحمل على التساؤل بهُوِيَّة الإله الذي يرتضي أن يُجالس خليقة صنعها من طينٍ ونفخ فيها الحياة، لكنّها امتلأت كبرياءً وتمرّدت عليه. ففي تلك العبادة، ندخل في مجانيّة حبّ الله ورحمته "في ذلك اليوم تعرفون أنّي في أبي، وأنتم فيَّ وأنا فيكم" (يو ١٤: ٢١)، ونتعلّم كيف نغدو عطيّةً في الابن للعالم.

الشركة في الجسد الواحد-الكنيسة

العيون المحدّقة في جميع أنحاء العالم إلى سرّ الابن الوحيد، "الإله من إله" والذي "صار إنسانًا"، والحاضر حقيقةً أمامها أفخارَسْتِيًّا، يقودها إلى الدخول في سرّ "شركة" الله (كما سبق لنا أن أشرنا)، وفي سرّ الإنسان (وهذا ما سنتطرّق إليه الآن).

يُدخِل حضور الابن الأفخارَسْتيّ الساجد في سرّ آدم الجديد والإنسانيّة الجديدة الممجّدة في شخص الابن الوحيد. كان المنّ- الذي منحه الله شعب إسرائيل في الصحراء كقوتٍ يمنحهم القوّة على تحمّل المشقات إلى حين بلوغهم أرض الميعاد- رمزًا إلى الخبز الحقيقي، جسد الابن الوحيد، قُوت الكنيسة السائرة في العالم باتّجاه الملكوت. يتغذّى جميع أعضاء الجسد من الخبز الواحد، فينمو في سرّ الكنيسة الواحدة، جسد الابن الوحيد السائر نحو الملكوت.

تُدخِلُ العبادة القربانيّة الإنسانيّة المخلّعة والمنقسمة على ذاتها في سرّ الكنيسة: سرّ الشركة. ويقود التأمّل في جسد الابن الوحيد، إلى الغَوص في سرّ المعموديّة الذي يجعل من المؤمنين أعضاء في جسد المسيح (١قور ١٢: ٢٧) وأعضاءً بعضهم لبعض (أف ٤: ٢٥)، ولأنّهم يشتركون معًا في الخبز الواحد، فإنّه يجعل منهم جسدًا واحدًا (١قور ١٠: ١٧). وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ بولس لا يفصل جسد المسيح-الكنيسة عن جسد المسيح-الأفخارَسْتِيَا، بقوله"أنتم جسد المسيح" (١قور ١٢: ٢٧).

إذًا، تدخل العبادة القربانيّة في سرّ الكنيسة، وتشدّد روابط وَحْدة جميع أعضائها، وخير مثال لذلك ما يقوله القدّيس أغوسطينوس: "فإذا كنت أنت تُعَدّ من جسد المسيح وأعضائه، فإنّ سرّك هو الذي يوضع على مائدة الربّ: وأنت في المناولة تقبل سرّك"، وفي السجود القرباني تتأمّل سرّك.

محبّة الخليقة

تقودُ عبادة الحاضر أفخارَسْتيًّا تحت شكل الخبز، إلى التأمّل والتساؤل بمعنى الخليقة، ودعوة الطبيعة والخليقة في تاريخ الخلاص. كذلك، تُدخِل في مدرسة محبّة الخليقة، وتحثّ على إعادة اكتشاف حضور الله فيها، ألم يُقَلْ إنّ أوّل كتاب مقدّس ليس بمكتوب بل مخلوق، وتُقصَد بذلك "الطبيعة " التي خُلِقَت بكلمة خرجت من فم الله الذي "قال: فكان..."؛ فالأفخارَسْتِيَا مدرسة محبّة الخليقة.

يُذكِّر الجلوس أمام ذلك القمح الذي تحوّل بجهد الإنسان إلى خبزٍ ، وبحلول الروح القدس إلى جسد القائم من بين الأموات، بدعوة الإنسان ووساطته الكَهَنوتيّة بين الخليقة والله. يقول كاليستوس وير: لم يخترِ الله الخبز والخمر علامة لحضوره الحقيقي، بل اختار الخبز والخمر اللذيْن بحلول روحه القدس عليهما، يُصبحان من العالم الجديد، لأنّهما يمرّان بسرّ الابن الفصحيّ، الذي فيه كلّ شيء أصبحَ جديدًا. فكلّ ما هو مخلوق مدعوٌّ إلى يُصبح من الخليقة الجديدة أي جسد المسيح القائم. يقول اللاهوتي المعاصر ماركو روبنيك: "في العبادة القربانيّة نشهد على أنّ الإنسان ليس في استطاعته أن يخلُصَ دون الخليقة".

التوق إلى الملكوت

تُولّد العبادة القربانيّة التوق إلى معاينة وجه الآب. فالقربان هو شخص الابن الذي يُدخل الإنسان بالروح القدس في شركة الآب. تنمّي العبادة القربانيّة في المؤمن الرغبة في الاتّحاد الكامل مع الله، وتجعل من حياته أفخارَسْتِيَا، أي فعل شكرٍ لله الآب الذي ارتضى أن يُشارك الإنسان في حياته، ومحبّته الأبديّة. حبّ الآب للإنسان هو شخص يسوع المسيح الحاضر الذي بجسده الأفخارَستيّ يُشرِك الإنسان في بنوّته لله الآب. ولأنّ الموت لا سلطان له على الحبّ (١قور ١٣: ١٣)، يُعدّ القربان دواء لعدم الموت، إذ يُدخل الإنسان في شركة المحبّة مع الله، الشّركة التي تغيّر مصير الإنسان: يقول تيار دو شردان: " يُحوّل الروح القدس المؤمنين بجسد المسيح، ويدخلهم إلى الملكوت الذي افتتحه الابن بموته وقيامته".

البُعد الإرساليّ

وفي السجود للقربان دعوة إلى الانطلاق وإعلان الكريغما، أي البشرى السارّة، على مثال مريم الساجدة على أقدام القائم من بين الأموات، والتي تحوّل سجودها إلى إرسال تُعلِن فيه البشرى السارة: الربّ قام من بين الأموات (متى ٢٨: ٩-١٠).

تُثمِر العبادة القربانيّة في حياة المؤمن حياةً أفخارَستيّة، تقوم على تمييز مشيئة الربّ والسَّعْي إلى إتمامها في حياته اليوميّة. فلقاء الابن الذي خرج من لدن الآب منذ الأزل، وخرج ليلتقي بنا في سرّ القربان، يُولِّد في المؤمن قوّة تدفعه إلى الخروج من الذات ولقاء الآخر بمجانيّة وحريّة، على غرار لقاء الحاضر الذي اختبره أفخارَسْتيًّا في سرّ القربان. مجالسة القائم من بين الأموت، والإصغاء إليه (وهو كلمة الله الأزليّة)، ينمّيان في قلوبنا بروحه القدّوس حبًّا لإتمام مشيئته، (وهي مشيئة الآب أيضًا)، ألا وهي بناء الكنيسة. كذلك، يختبر المؤمن في العبادة القربانيّة أنّ الابن عطيّة الآب من أجل خلاصه وخلاص العالم أجمع، ويتعلّم كيفيّة استقبال تلك العطيّة في حياته، ويتحوّل بنعمة من الروح القدس وبمقدار استقباله لها إلى عطيّة أفخارَسْتيّة (في الابن الوحيد)، لعائلته ورعيّته ووطنه وشعبه على مثال شربل، ورفقا، ونعمة الله الحرديني.

يُعاين العابد للقربان سرّ الحبّ الذي يُخلي ذاته "آخذًا صورة عبدٍ" (فل ٢: ٧)، فينمو فيه سرّ الإنسانيّة الجديدة، الإنسانيّة التي تُثمر تواضعًا ووداعةً وإخلاءً للذات، يتجلّى بها سرّ جسد المسيح الحاضر في العالم. يقول مار أغوسطينوس: "في الأفخارَستيا عندما نجيب آمين، نصبح السرّ الذي نتناوله. فكُنْ حقيقة ما تتناوله لأنّك بإجابتك تلك، أعربت عن استعدادك الصريح لتصبح جسد المسيح". يتّحد العابِد

بالأفخارَسْتِيَا الإنسانيّة الجديدة القائمة على المحبّة كشركة مع الله والإنسان تحت شكل بذل الذات في المسيح، فتُشعِل الرغبة في القلوب في إكمال ما نقص من آلامه في سبيل جسده الكنيسة (كول ١: ٢٤).

في الختام

يُعبِّر سفر الرؤيا بوضوح عن ماهيّة العبادة القربانيّة " يخرّ الأربعة والعشرون شيخًا قدّام الجالس على العرش، ويسجدون للحيّ إلى أبد الأبدين، ويطرحون أكاليلهم أمام العرش..." (رؤ ٤: ١٠). يقول البابا فرنسيس: "يعبد الإنسان ذاته، إن توقّف عن عبادة الله". تُساعد هذه العبادة على الخروج من الحبّ النرجسي للذات إلى حبّ الله الآب في الابن بقوّة الروح القدس، فيُثمر "بعضٌ مئة، وآخَرُ ستين، وآخَرُ ثلاثين (متى ١٣: ٨).

الأفخارَسْتِيَا وسرّ التوبة

الخوري بولس مطر

إنّ موضوع علاقة سرّ التّوبة بسرّ الأفخارَسْتِيا لا يزال في حاجة إلى المعالجة حتى في أيامنا هذه، وبخاصّةٍ في خضمّ انتشار الكثير من المعلّمين الضّالين والخطوط المتشدّدة، الّتي تغزو وسائل التواصل الاجتماعي، باثةً في عقول وقلوب بعض المؤمنين أفكارًا خاطئة عن علاقة سرّ التّوبة بسرّ الأفخارَسْتِيا. فلمِثل هذه الجماعات كان الرّسل دائمًا يوصون المؤمنين، وهذا ما نجده عند القدّيس بولس وهو يوصي تلميذه تيموطاوس فيقول: "طلبت منك [...] أن توصي بعض النّاس أن لا يعلّموا تعاليم تخالف تعاليمنا، ولا يُصغوا إلى الخرافات [...] فهذا يثير المجادلات ولا يخدم تدبير الله المبني على الإيمان. وما غاية هذه الوصيّة إلّا المحبّة الصّادرة عن قلبٍ طاهر وضمير صالح وإيمان صادق، وهذه الفضائل التّي زاغ بعضهم عنها وانحرفوا إلى الكلام الباطل، مدّعين أنّهم من معلّمي الشّريعة وهم لا يفهمون ما يقولون وما يؤكّدون" (١تيم ١: ٣-٧). إنّ مقالنا هذا يأتي ليجيب على تساؤلات بعض المؤمنين ومنها: هل يمكننا المشاركةُ بالذبيحة الإلهيّة وتناول القربان المقدّس إن لم نتمكّن من الاعتراف بخطايانا؟ هل هناك خطايا تمنعنا عن المناولة المقدّسة، وخطايا لا تمنعنا؟ هل للّذبيحة الإلهيّة القدرة على الغفران؟ هل يحق للكاهن، وهو في حالة الخطيئة، أن يحتفل بسرّ اللأفخارَسْتِيَا؟

أمام هذا الواقع وهذه التّساؤلات، يأتي هذا المقال من ضمن سلسلة مقالات تعالج موضوع الكاهن وسرّ الأفخارَسْتِيا، فنعالج فيه الموضوع من جوانبه الكتابيّة واللاهوتيّة والليتورجيّة والرّعويّة، ونفهم كيف كان رباط هذين السّرين في بداية الجماعة المسيحيّة الأولى، ثمّ في المجامع وتعليم الكنيسة، من ناحية البعد الليتورجي، معالجين فيه نصوصًا من القدّاس الماروني وارتباطها بسرّ التّوبة وسنتحدّث، وقبل الخاتمة، عن علاقة الكاهن بعيشه لهذين السّرين أيضًا.

في القرون المسيحيّة الأولى

في القرون الأولى للمسيحيّين (الأوّل-الرّابع)، كان الأسقف يعطي الحلّة الأسراريّة يوم خميس الأسرار، ولم تكن بعد تُعطَى بشكل فردي، إلّا على فراش الموت. فكانت التّوبة جماعيّة، وسرّ المصالحة مرتبط

بالكنيسة المجتمعة. فوضع يد الأسقف لنيل الحلّة كانت دائمًا تُعطى جماعيًا، واحتفاليّة، في جو مرتبط دائمًا بسرّ الأفخارَسْتِيا.[١١٨]

وابتداءًا من القرن العاشر، لم تعد الحلّة مرتبطة فقط بخميس الأسرار بل حُدِّدَت أيّام أخرى من السّنة الليتورجيّة، تُعطَى فيها الحلّة الجماعيّة في إطار ليتورجيّ أفخارستيّ، من دون أي اعتراف فرديّ. كما أنّنا نجد، في هذه الحِقْبة من التّاريخ الكنسي، وسائل أخرى غير سرّ التّوبة تساعد على غفران الخطايا. إنّها وسائل غير أسراريّة ولكنّها فعّالة، مثل:

المحبّة، "وقبل كلّ شيء أحبّوا بعضكم البعض محبّة ثابتة؛ لأنّ المحبّة تستر جمًا من الخطايا" (١بط ٤: ٨). ويسوع بالذّات قال لسمعان الفرّيسي عن المرأة الخاطئة: "قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا" (لو ٧: ٤٧). حتّى في صلاة الأبانا، وهي الصّلاة التي علّمنا إيّاها يسوع، نصلّي ونقول "اغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأ وأساء إلينا".

الصّوم، إنّ الّذين كانوا يستعدّون للعماد، أي الموعوظين، كانوا يصومون يومًا أو أكثر كاستعداد للحصول على سرّ العماد. هذا الصّوم الّذي تُرفقه بالصّلاة يهدف إلى طلب الغفران ومسامحة الخطايا الّتي ستصير بنعمة المعموديّة[١١٩].

ويؤكّد لنا دنتسنغر أنّ "في هذه الذّبيحة الإلهيّة الّتي تتمّ في القدّاس، المسيح نفسه موجودٌ مذبوحٌ بطريقة غير دمويّة، وهو الّذي قدّم ذاته دفعةً واحدة بطريقة دمويّة على مذبح الصّليب (رَ. عب ٩: ١٤. ٣٧)، فالمجمع المقدّس يعلّم أنّ **هذه الذّبيحة هي ذبيحة تكفيريّة في الحقيقة** (ق. ٣)، وأنّنا إذا اقتربنا من الله بقلبٍ صادق وإيمان مستقيم، وخَشْية واحترام، وندامة وتوبة، ننال بها "رحمة، ونجد نعمة للإغاثة في حينها" (رَ. عب ٤: ١٦). وإذ يهدأُ غضبُ الرّب بتقدمة هذه الذّبيحة، يمنح النّعمة وموهبة التّوبة، ويغفر الجرائم والخطايا، حتّى الجسيمة منها. فالضّحيّة واحدة، والّذي يُقدّم الآن بواسطة الكهنة هُوَ هو الّذي قدّم نفسه على الصّليب، وما الاختلاف إلّا في طريقة التّقدمة"[١٢٠]. ثمّ يُكمل ويضيف أنّ "ثمار هذه التّقدمة، التّقدمة الدّمويّة، تُنال بغزارة بواسطة هذه التّقدمة غير الدّمويّة؛ وما من أذًى البتّة لتلك من هذه (ق. ٤). ولهذا تُقدّم شرعًا، وَفْقَ تقليد الرّسل، ليس لأجل خطايا المؤمنين، الأحياء، وعقوباتهم، وتكفيرهم وسائر مقتضياتهم

---

[١١٨] راجع، Père Louis KHAWAND, Le pardon dans la messe Maronite, Kaslik-Liban, 1988, p. 171

[١١٩] المرجع نفسه، الصفحة ١٤٠-١٩٣.

[١٢٠] دنتسنغر – هونرمان، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها، ترجمة المطران يوحنا منصور والأب حنّا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسيّة-جونيه، الجزء الأوّل ٢٠٠١، العدد ١٧٤٣، ص. ٤٤٠-٤٤١.

وحسب، ولكن للّذين رقدوا في المسيح أيضًا ولم يتطهّروا تطهُّرًا كاملًا (ق. ٣). ويُضيف من لا يعتقد بذلك فليكن محرومًا" (دنتسنغر، العدد ١٧٤٣)[١٢١]. إذًا، نجد هذا الرّابط وثيق جدًا في بداية المسيحيّة وفي المجامع المقدّسة، الأمر الّذي يجعلنا نعالج الموضوع من ناحية التعّليم الرّسمي والمجامع.

المجامع وتعليم الكنيسة

ما سبق لنا أن قلناه لا ينفي قطّ أهميّة الاعتراف بالخطايا، بل يؤكّده. وتعلّمنا المجامع الكنسيّة أنّ "الاعتراف الكامل بالخطايا هو من وضع الرّب... إنّه حقّ إلهيّ ضروريّ لجميع الّذين سقطوا بعد المعموديّة" (دنتسنغر، العدد ١٦٧٩). ولكنّها تميّز الخطايا العرضيّة من الخطايا المميتة، فتقول: "... أمّا الخطايا العرضيّة الّتي لا تُفقدنا نعمة الله، والّتي كثيرًا ما نسقط فيها، فإنّه وإن كان من العدل والمفيد أن تُذكر في الاعتراف (ق. ٧)، كما يظهر ذلك في سلوك الأتقياء، إلّا أنّه يمكننا السّكوت عنها في غير خطإ، والتكفير عنها بعلاجات أخرى كثيرة. ولكن بما أنّ الخطايا الأخرى المُميتة، حتّى الّتي يرتكبها الفكر، تجعل البشر "أبناء غضب" (أف ٢: ٤) وأعداء الله، فمن الضّروريّ أن يَطلب عنها المغفرةُ من الله باعترافٍ صريح ومليء بالاتّضاع" (دنتسنغر، العدد ١٦٨٠)[١٢٢]. فالكنيسة الأم والمعلّمة والّتي همّها خلاص النّفوس "تُظهر بوضوح أنّ هذا الاختبار ضروريّ لكي لا يقترب أحدٌ من الأفخارَسْتِيا وعلى ضميره خطيئة مميتة، وإنْ عدّ نفسَه تائبًا، إلّا بعد اعتراف سرّيّ سابق". وهذا المبدأ يجري على المؤمنين كما على الكهنة أنفسهم، لذلك سوف نخصّص لاحقًا فِقْرة خاصة لعلاقة الكاهن بعيشه لسرّي التوبة والأفخارَسْتِيا، ولكنّنا هنا نؤكّد بأنّ المجمع المقدّس يطلب من "جميع المسيحيّين أن يمارسوا ذلك دائمًا، كما يجب على الكهنة أنفسهم الّذين يقضي عليهم الواجب بأن يُقيموا القدّاس، عندما يتسنّى لهم اللجوء إلى مُعرّف. وإذا اضطُرَّ كاهن إلى أن يقيم القدّاس، بدون اعتراف سابق، بسبب ضرورة ملحّة، فعليه أن يعترف في أقرب وقت ممكن" (دنتسنغر، العدد١٦٤٧). ثمّ يوضح المجمع في تعاليمه أنّ "الأمر الّذي أوعز به المجمع التريدنتيني إلى الكاهن بالاعتراف: "في أسرع وقت ممكن" عندما تقتضيه الضّرورة إقامة الّذبيحة وهو في حال الخطيئة، هو نصيحة وليس فريضة" (دنتسنغر، العدد ٢٠٥٨). ويعلّم المجمع المؤمنين كيفيّة القيام بفحص الضّمير وأهميّة الاعتراف بها مشجّعًا المؤمنين على عدم الخجل من الاعتراف بخطاياهم؛ لأنّ في ذلك فائدة كبيرة، مؤكّدًا "... أنْ لا شيء في الكنيسة يُطلبَ من المعترفين سوى

---

[١٢١] راجع، C. GIRAUDO, In unum Corpus, Traité mystagogique sur l'Eucharistie, Cerf, Paris 2014, p. 487-488.

[١٢٢] راجع أيضًا (دنتسنغر، عدد ١٦٨٣).

فحص للضّمير جدّي، يتناول جميع المواطن الخفيّة والظّاهرة فيه، والاعتراف بالخطايا الّتي يتذكّرون أنّهم أهانوا بها ربّهم وإلههم إهانة جسيمة. أمّا الخطايا الأخرى الّتي خفيت عن التحرّي الجدّيّ، فلا ريب من أنّها دخلت في مجموعة ما اعتُرِف به. ولأصحابها نقول ما قاله النّبي: "نقّني من الخفايا يا ربّ" (مز ١٩: ١٣). إنّ صعوبة مثل هذا الاعتراف والخجل المتأتّي من واجب الكشف عن الخطايا قد يبدوان عبئًا ثقيلًا لو لم يعمل على تخفيفها عددُ الفوائد والتّعزيات وأهمّيتها الّتي توفّرها، في غير ريب، لجميع الّذين يقتربون من هذا السّر كما يليق" (دنتسنغر، العدد ١٦٨٢).

يوصي بذلك أيضًا تعليم الكنيسة ويؤكّد على ضرورة الاعتراف بالخطيئة والامتناع عن المناولة في حال الخطيئة المميتة فيقول: "من أراد أن يقبل المسيح في المناولة الأفخارَسْتِيا، فعليه أن يكون في حالة النّعمة. فإذا تنبّه أحد على أنّه ارتكب خطأً مميتًا، فعليه ألّا يتناول الأفخارَسْتِيا قبل أن ينال الحلَّ من ذنوبه في سرّ التوبة" (تعليم الكنيسة العدد ١٤١٥). ثمّ يضيء التّعليم دور الأفخارَسْتِيا في غفران الخطايا العرضيّة وحفظه من المميتة، فيقول: "الاشتراك المقدّس في جسد المسيح ودمه ينمّي اتّحاد المؤمن والرّب، ويغفر له ذنوبه العرضيّة، ويحفظه من الخطايا المميتة. وبما أنّ عُرَى المحبّة بين المشترك في الأفخارَسْتِيا والمسيح تزداد متانة، فتَقَبُّل هذا السّر يُقوّي وَحْدَة الكنيسة، جسد المسيح السّري" (تعليم الكنيسة، العدد ١٤١٦). وتوصي الكنيسة أيضًا، لا بل "تأمر كلّ مؤمن بلغ سنّ الرّشد بأن يعترف، في القليل مرّة في السّنة، بالخطايا الثّقيلة الّتي يتذكّرها. من يتذكّر خطيئة مميتة ارتكبها، عليه ألّا يتناول القربان المقدّس، قبل أن ينال الحلّة السّريّة، حتى ولو أوجس ندامة كبيرة، ما لم يكن له سبب خطير للتناول، وامتنع عليه الوصول إلى كاهن مُعرِّف. وعلى الأولاد أن يُقبلوا على سرّ التّوبة قبل المناولة الأولى" (تعليم الكنيسة، العدد ١٤٥٧). ومن الضّرورة التحدّث عن الخطايا الّتي تَغفرها صلوات الأفخارَسْتِيا، وهي بالطّبع العرضيّة واللّاإراديّة. ويمكننا القول إنّ الغفران الّذي يمكننا الحصول عليه بسرّ الأفخارَسْتِيا يطول خطايا الضّعف والجهل، هذا الوقت الّذي يعبّر عنه كتاب أعمال الرّسل ويسمّيه "وها هو الله يَغُضّ نظره عن زمنَ الجهل، ويدعو الآن جميع النّاس، في كلّ مكان، ليتوبوا" (أع ١٧: ٣٠)، هذه هي فئات الخطايا التي يتحدّث عنها نافور مار يعقوب[١٢٣].

ولكن لفهم هذا الأمر وعدم النّزوح عن أهميّة سرّ التّوبة، توضح القوانين الكنسيّة أنّه "لو كان للمولودين ولادةً جديدة عرفانٌ عظيم لجميلِ الله إلى حدّ أن يحفظوا باستمرار البرارة الّتي نالوها بمعموديّة عطفه ونعمته، لما كان من الضّروريّ وضعُ سرٍّ آخر غير المعموديّة لأجل مغفرة الخطايا (ق. ٢). ولكن، بما أنّ

[1] Père Louis KHAWAND, Le pardon dans la messe Maronite, Kaslik-Liban, 1988, p. 147

"الله غنيٌّ بالرّحمة" (أف ٢: ٤)، "عالمٌ بجبلتنا" (مز ١٠٢: ١٤)، أعطى أيضًا دواءً يُعيد الحياة إلى الّذين أسلموا ذواتهم إلى عبوديّة الخطيئة وسلطان إبليس: سرّ التّوبة (ق. ١)" (دنتسنغر، العدد ١٦٦٨). ثمّ يُحدّد أنّ "التّوبة ضروريّة في كلّ حين، لجميع النّاس الّذين تلطّخوا بإحدى الخطايا المميتة... ورأس الرّسل، بطرس، كان يقول للخطأة الّذين كانوا سيتقبّلون المعموديّة محرضًا على التّوبة: "توبوا وليعتمد كلّ واحد منكم" (أع ٢: ٣٨)" (دنتسنغر، العدد ١٦٦٩). ويشجّع التّعليم على الاعتراف من حين إلى آخر بالخطايا العرضيّة والّتي لا تمنع عن المناولة المقدّسة؛ لأنّ "الاعتراف المنتظم بخطايانا العرضيّة يساعدنا على تهذيب ضمائرنا، ومكافحة ميولنا الرّديئة، والتماس البُرء من المسيح، والتّقدّم في حياة الرّوح. ولا شكّ في أنّنا إذا نلنا، بهذا السّر، موهبة رحمة الآب، بطريقة متواترة، فذلك يدفعنا إلى أن نكون رحماء على مثاله" (تعليم الكنيسة، العدد ١٤٥٨).

إنّ سّر التّوبة هو من وضع المسيح بالتّحديد وهو من أوصى تلاميذه قائلًا: "خذوا الرّوح القدس، فمن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم، ومن أمسكتم خطاياهم أُمسكت" (يو ٢٠: ٢٢-٢٣). ونعرف من تعليم الكنيسة أيضًا أنّ لهذا السّر أقسامًا، ومادّة هذا السّر هي: أوّلًا صيغة قول خادم السّر "أحلّك..." كما و"أفعال المعترف نفسه، أي النّدامة، والاعتراف، والكفّارة (ق. ٤)؛ وبقدر ما تُطلب هذه الأفعال الموضوعة إلهيًا، لكمال السّر عند المعترف، ولمغفرة كاملة وشاملة للخطايا، يُقال عنها إنّها أقسام من التّوبة" (دنتسنغر، العدد ١٦٧٣). والنّدامة في العمق هي "توجّعٌ في النّفس ومقتٌ للخطيئة المُقترفة، وتصميم على عدم السّقوط لاحقًا. وحركة النّدامة هذه كانت في كلّ زمان ضروريّة للحصول على غفران الخطايا؛ وعند مَن سقط بعد المعموديّة تُهيّئ أيضًا لغفران الخطايا إذا اقترنت بالثّقة في رحمة الله وبالرّغبة في عمل كلّ ما تبقّى وكان ضروريًا لتقبّل هذا السّر كما ينبغي" (دنتسنغر، العدد ١٦٧٦).

يعتبر القدّيس إسحق السُّرياني التوبة بمثابة النّعمة الثانية بعد نعمة المعمودية، فيقول: إنّ "التّوبة هي، في نظري، نعمة ثانية، والّتي بفضلها يتجدّد الإنسان كل يوم، ويتبرر في كل مرة" (٢/ ١٠، ١٩)؛[١٢٤] والمجمع يُعلّم "أنّ هذه النّدامة تُصبح كاملة بالمحبّة فتصالح الإنسان مع الله قبل التقبّل الفعلي للسّر، مع ذلك يجب أن لا تُنسَب هذه المصالحة إلى النّدامة وحدها بمعزل عن رغبة تقبّل السّر، الرّغبة الّتي تحتوي عليها ضمنًا" (دنتسنغر، العدد ١٦٧٧). وهذه المحبّة نجدها بامتياز في سرّ الأفخارَسْتِيا الّتي هي ذبيحة المحبّة والغفران. سوف ندرس الآن ارتباط هذين السّرين بعضهما البعض بالعودة إلى بعض النّصوص اليتورجيّة الموجودة في القدّاس الماروني.

---

[١٢٤] الكتاب الثّاني، المقال ١٠، العدد ١٩.

ليتورجيّة القداس الماروني وارتباطها بسرّ التّوبة

إنّ واحدة من المفاصل الكبرى للرّوحانيّة المارونيّة على حسب العلّامة المونسنيور ميشال حايك هي "معموديّة الدّموع"، فبعد أن يتحدّث عن المفصل الأوّل وهو "النزول إلى الجحيم"، ثمّ عن المفصل الثّاني، وهو "مَارَانَا تَا"، يأتي على ذكر "معموديّة الدّموع"، ويقول أنّ "اللّيتورجيا تُذكّر باستمرار... وتشدّد كثيرًا على ضرورة التّوبة[١٢٥]" . كما نجد أنّ ليتورجيّة القدّاس في الطّقس الماروني غنية جدًا بصلوات توبة وطلب الغفران[١٢٦]. الأمر الّذي يؤكّد هذا الرابط بين السّرين.

يتّصف الطّقس الماروني على حسب الأباتي يوحنا تابت "بالتّوبة بنوع خاص. والكلام على روحانيّة التوبة المارونيّة والرّهبانيّة يتناول قطاعات عديدة (القدّاس، سرّ التّوبة، صلاة المساء، رتبة الغفران، فروض الصّوم الكبير، إلخ) لا تُختصر في بعض سطور وصفحات[١٢٧]". وبما أنّ التّحدّث عن التّوبة لا يُختصر في سطور، فنحن لن نتطرّق إلى الموضوع إلّا من ناحية علاقة سرّ التّوبة بسرّ الأفخارَسْتِيا.

وفي العودة إلى نصوصنا الليتورجيا نتأكّد من وضوح علاقة غفران الخطايا بالأفخارَسْتِيا. فالمسيح بنفسه قال: "أنا هو خبز الحياة... أنا هو الخبز الحيُّ النّازل من السّماء. من يأكل من هذا الخبز يحي إلى الأبد. والخبز الّذي أعطيه هو جسدي، من أجل حياة العالم" (يو ٦: ٤٨-٥١). إنّ أخذ جسد الرّب يعطي متناوليه الحياة اللأبديّة، باعتبار القربان هو عربون القيامة[١٢٨]. وهذه الحقيقة نجدها في نصوصنا الليتورجية، الّتي سوف نعرض القليل منها، وتعبّر خير تعبير عن ما سبق لنا أن أشرنا إليه[١٢٩]:

"... في ذاك اليوم، فلتَطلب معنا السّماوات والأرضُ كلّ ما فيها؛ وجسدك الّذي أطعمتنا، ومعموديّتك الّتي ألبستنا، فليقوما قدّامنا في ذلك اليوم، ولينجّيانا من عذاب جهنّم".

"إنْ خطئنا نحن في أعمالنا، أرجعنا أنت إلى التّوبة، لأنّك أطعمتنا جسدك، وأسقيتنا دمك الحي، وامتزجت بنا ونحن بك..."

"ماذا لي أن أقول في تلك السّاعة، عندما يسألونني هناك عن الأمور الخفيّة والظّاهرة الّتي فعلتها؟ الجسد الحيّ والدّم الغافر اللذان تناولتهما من أيدي الكهنة، هلّلويا. بهما، يا ربّ، أُسامَح".

---

[١٢٥] الخوري ميشال حايك، كتابات في تاريخ الكنيسة المارونيّة وروحانيّتها، تعريب الخوري دانيال زغيب، حراجل-لبنان، ٢٠٠٩، ص. ١٨٨.

1 Père Louis KHAWAND, Le pardon dans la messe Maronite, Kaslik-Liban, 1988, p. v.

[١٢٧] الأبّاتي يوحنا تابت، كلمات وعظات، المجلّد الرّابع، دير مار بطرس وبولس-العذرا، ٢٠١١، ص. ٨٦.

1 Père Abbé Jean TABET, "L'Eschatologie dans l'office commun Maronite" dans Parole de l'Orient II, 1 (1971), pp. 5-29.

[١٢٩] راجع، الأبّاتي يوحنا تابت، كلمات وعظات، المجلّد الرّابع، دير مار بطرس وبولس-العذرا، ٢٠١١، ص. ١١٧-١١٩.

"... الجسد الحيّ والدّم الغافر اللذان تناولتهما من أيدي الكهنة، بهما أجوز بحر اللّهيب، وأدخل عدنًا، وأرث الملكوت، وأتنعّم على المائدة المملوءة خيرات لجميع القدّيسن".

"بما أنني أكلت جسدك وشربت دمَك؛ لا أكُنْ، يا ربّ، مأكلًا للنّار".

"...فليكن لي صليبك، وجسدك ودمُك المطموران فيّ، طريقًا وجسرًا، وبهما أُحفظ.... وبجسدك ودمك سُومِحتُ؛ فارتضِهما واغفر لي ذنوبي وخطاياي".

"ذلك الّذي انحدر وحلّ في بيعته، ووزّع جسده ودمه، وأقام فيها كهنة أنقياء يخدمون لاهوته".

نجد في هذه النّصوص مدى ارتباط سرّ الأفخارَسْتِيا في سرّ التّوبة ومدى قوّة جسد ودم المسيح بمغفرة الخطايا والمسامحة من النار ومن العذاب الأبدي.

قليلون الكاثوليك الّذين يرون في الأفخارَسْتِيا سرّ غفران[1]. ولكنّنا نضيء بهذه الدّراسة من جديد هذا الرّباط ونصوص النوافير الموجودة في القدّاس الماروني، الّتي تُسهم في التّحدّث عن كيف أنّ جسد ودم المسيح هما لمغفرة الخطايا وللحياة الأبديّة. فكلام التّقديس بالتّحديد يؤكّد لنا ذلك: "خذوا كلوا منه جميعكم، فهذا هو جسدي، الّذي من أجلكم ومن أجل الكثيرين، **يُكسر ويُبذل لمغفرة الخطايا** وللحياة الأبديّة... وكذلك على الكأس... خذوا اشربوا منه جميعكم، فهذا هو دمي، دم العهد الجديد، الّذي من أجلكم ومن أجل الكثيرين، **يُهرق ويُبذل لمغفرة الخطايا** وللحياة الأبديّة" (نافور الرسل الاثني عشر).

نجد، أيضًا في القسم الممتدّ من الأبانا إلى المناولة، الكثير من التعابير الّتي توضح هذا الرّباط. فبعد ال "إحنوا رؤوسكم" الّتي يقولها الشّماس، يصلّي الكاهن باسطًا يديه ويقول: "... أهّلنا لأن نشترك بنقاوة وقداسة في هذه الأسرار الإلهيّة، **فنسامح بها ونتقدّس**..." (نافور الاثني عشر).

أما نافور مار يعقوب، أخي الرّب، وهو أكثر النّوافير الّتي تركّز على هذا التّرابط، فإنّنا نجد في الصلوات الّتي تُرفق كلام التّقديس، وبعد الصّلاة الّتي يصلّيها الكاهن باسم المسيح، طالبًا "اصنعوا هذا لذكري وكلّما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تبشّرون بموتي حتّى مجيئي"، ويُجيب الشّعب متذكّرًا الموت ومعترف بالقيامة ومنتظر المجيء الثّاني، ثمّ يطلب إلى الرّب أن تكون هذه الأسرار لمغفرة الخطايا، فيجيب الشّعب: "ونطلب منك الرّحمة والحنان، **ونسألك مغفرة الخطايا**. فتشمل مراحمك كلّنا". ثمّ يُكمل المحتفل الصّلاة التّالية الّتي يستذكر فيها أيضًا أحداث الخلاص مبتهلًا إلى الله فيقول: "... نبتهل إليك ألّا **تعاملنا بخطايانا، ولا**

---

[1] J.-M.-R. TILLARD, *Pénitence et Eucharistie*, dans La Maison-Dieu, Paris 90 (1967), p. 104

تجازينا بمخالفاتنا، بل بحنوّك وحبّك للبشر، **أُمحُ خطايانا**، نحن شعبك وميراثك الضّارعين إليك" (نافور مار يعقوب أخي الرّب).

ثمّ بعد صلاة لاستدعاء الرّوح القدس، وحين ينهض بعد ال "إستجبني يا ربّ"، وفي حين يرسم إشارة الصّليب على الأسرار، فإنّه يقول : "فيجعل بحلوله هذا الخبز... جسدًا ينجّي نفوسنا وأجسادنا، جسد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، **لمغفرة الخطايا والحياة الأبديّة للّذين يتناولونه**" وكذلك على الكأس أيضًا "**لمغفرة الخطايا والحياة الأبديّة للّذين يتناولونه**". حتّى في صلاة الاستعداد للمناولة، يقول الكاهن والشّعب "أهّلنا أيّها الرّب الإله، أن تتقدّس أجسادنا بجسدك القدّوس، وتتنقّى نفوسنا بدمك الغفور. **وليكن تناولنا لمغفرة خطايانا وللحياة الجديدة**...".

والبطريرك الدّويهي من جهته يؤكّد لنا في منارة الأقداس أنّ الكنيسة المارونيّة تبنّت مجمع نيقية الّذي يتحدّث عن الأفخارَسْتِيا كذبيحة غفران. ويسلط الضوء على عدم وجود هذا الرّباط في الليتورجية اللّاتينيّة، إلّا في القرنين الثاني عشر والثّالث عشر[1]. أمّا مجمع التريدنتيني ومجمع قنّوبين (١٥٨٠)، فإنّهما يضيئان بدورها هذا الترابط[1]. لا يمكننا هنا الدخول في مقارنة بين القداس اللّاتيني والقدّاس السُّرياني لضيق الوقت، فنتركه لأصحاب الإختصاص، ولكنّنا في المقابل نؤكد أنّ اللّاهوت الشرقي يربط ربطًا وثيقًا بين التّوبة والأفخارَسْتِيا وكيف أنّ جسد ودم المسيح فيهما مغفرة الخطايا وعربون الحياة الأبديّة. وهذا جليّ في رتبة التّوبة وصيغة الحلّة الجماعيّة في القدّاس الماروني في جميع النّوافير وذلك في القسم المسمّى: "الصّلاة الرّبيّة ورتبة التّوبة":

١. الأبانا

٢. دعوة الشّماس إلى إحناء الرّؤوس.

٣. الجماعة تحني رؤوسها.

٤. بَسْطُ يدي المحتفل وصلاة الحلّة: "**بارك يا ربّ، السّاجدين لك، المنحنين أمامك، الضّارعين إليك، وأهّلهم لمراحمك وغفران خطاياهم، لأنّك كثير المراحم وعلى كلّ شيءٍ قدير**..." (نافور مار بطرس)

٥. تعبير السلام البولُسيّ.

---

[1] Père Louis KHAWAND, Le pardon dans la messe Maronite, Kaslik-Liban, 1988, p. 144

[1] .-M.-R. TILLARD, *Pénitence et Eucharistie*, dans La Maison-Dieu, Paris 90 (1967), p. 105

٦. صلاة التّضرع قبل المناولة: "**أهّلنا، أيّها الرّب الإله، أن تتقدّس أجسادنا بجسدك القدّوس، وتتنقّى نفوسنا بدمك الغفور. وليكن تناولنا لمغفرة خطايانا وللحياة الجديدة**..."

كما أنّ الكاهن في الوقت التّحضيري للقداس، وفي حين يبدأ بلباس ثيابه البيعيّة، يقول أسراريًا صلاة استغفار عن خطاياه وخطايا من تُقدّم لأجلهم الذّبيحة، فيقول: "اللهمّ أسألك أن تجعلني مستحقًّا التقدّم إلى مذبحك الطّاهر، بلا عيب ولا دنس، لأنّي عبدٌ خاطئ، قد اقترفت الخطايا بين يديك، ولست أهلًا للتقدّم إلى مذبحك الطّاهر، ولا إلى أسرارك المقدّسة، لكنّي أتوسّل إليك، يا حنون، يا رحوم، يا محبّ البشر، انظر إليَّ بعين الرّضى، واجعلني مقبول الوقوف بين يديك، وأحلّ عليَّ نعمة روح قدسك، وطهّرني من خطاياي، وقدّس هذه التّقدمة، وامنح بها غفران الخطايا ومحو الذّنوب لمن تُقدّم من أجلهم،... من الأحياء والموتى...".

وبناءً عليه، وكما أشرنا آنفًا، سوف نعالج موضوع الكاهن وعيشه لسرّي التوبة والأفخارَسْتِيا ومدى ارتباط واحدهما في الآخر.

الكاهن بين سرّ التّوبة وسر الأفخارَسْتِيا

يشرح البطريرك الدّويهي في الجزء الأوّل من منارة الأقداس في الفصل السّادس من المنارة الثّالثة، الشّرح الثّاني والّذي يحمل عنوان: في هل الخطيئة المميتة تمنع الكاهن عن القدّاس ويقول إنّه "لا ريب أنّ كلّ من يتقدّم لتناول جسد الرّب وهو في خطيئة كاملة يقترف خطيئة مميتة[١٣٣]"، ويستشهد بقول القدّيس بولس الرّسول إذ يقول: "من يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس وهو على خلاف الاستحقاق إنّما يأكل ويشرب دينونة لنفسه" (١كور ١١: ٢٩).

ثم يُكمل الدّوهي شرحه ويقول أنّ سبب ذلك هو "أنّ جسد الرّب يمنح الحياة، والخطيئة تولّد الموت. جسد الرّب يجعلنا واحدًا معه بالرّوح، والخطيئة تستعبدنا الشيطان. جسد الرّب يُلبسنا ثوب القداسة، والخطيئة ثوب السّخط واللعنة. جسد الرّب بضيائه يُرشدنا إلى شركة الثّالوث الأقدس في المجد الأبدي، والخطيئة بظلامها تحشرنا في الجحيم حيث ميراث الّذين أسخطوا الله بسوء أفعالهم[١٣٤]". والقدّيس بولس يحذّرنا من أنّكم "لا تستطيعوا أن تشربوا كأس الرّب وكأس الشّيطان... " (١كور ١٠: ٢٠)، وفي مكانٍ آخر يحذّر ويقول: "أيّة شركة بين البرّ والإثم وأيّة مخالطة للنّور مع الظّلمة وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال" (٢كور

١٣٣ البطريرك اسطفان الدّويهي، منارة الأقداس، الجزء الأوّل، دار ومكتبة بيبليون، جبيل-لبنان، ٢٠١٢، ص. ٢٦٣.

١٣٤ المرجع نفسه.

٦: ١٤). ويؤكّد الدويهي على أهميّة أن يكون الكاهن أهلًا ومستحقًا وفي حالة النّعمة؛ وإلّا يجلب على نفسه خطيّة مميتة[١٣٥]. فالكتاب يدعونا إلى أن نكون "قدّيسين؛ لأنّ الرّب قدّوس" (أح ١٩: ٢)، وبلسان النّبي آشعيا يدعونا قائلًا: "تطهّروا يا حاملي آنية الرّب" (آش ٥٢: ١١). إذًا، يتّضح من كتابات البطريرك الدّويهي "أنّه لا يجوز للكاهن أن يتصرّف في هذه الأسرار ذات الحياة وهو في خطيئة مميتة[١٣٦]". ويُشبِّه ذلك بخطيئة آدم فيقول: "يصيرون على مثال آدم بعد أن أكل الثّمرة المحرّمة فتتسلّط عليهم شهوات الجسد وتُبعدهم عن فردوس الله وسبيل الفضائل وتصرف همّهم إلى الأمور الفانية[١٣٧]". ولكنّه يوضح أيضًا ويؤكّد أنّ سقوط الكاهن في الخطيئة لا تجعل قدّاسه وممارسته للأسرار غير فاعلة. إنّ "رأي بيعة الله الجامعة هو أنّ خدمة الكاهن الطّالح ليست فارغة، وكلامه فاعل، وعلى يده يتحوّل جسد المسيح كما يتحوّل على يد الكاهن الصّالح؛ لأنّ الكاهن، بمجرّد الرّسامة، يقبل من الله ختمًا روحانيًا في نفسه لا يقدر أحد أن يمحوه أو يُعرّيه منه[١٣٨]". ويشرح فيما بعد مبدأ ex opera operato، إذ يعتبر أن سلطان الكاهن الّذي أعطي له من الله "لا يتغيّر إذ لا يزداد بصلاحه ولا ينقص بأخطائه، لأنّه ليس هو الفاعل بل الله هو الفاعل على يده[١٣٩]".

والبطريرك الياس الحويّك يوصي الكاهن بالمناوبة في فحص الضمير الدائم ويقول: "فنحثّكم أوّلًا أيّها الأبناء الأعزّاء، على أن تواظبوا على تطهير ضمائركم من الهفوات اليوميّة بالاعتراف بها بتواتر، مجانبين الصّغائر جهدكم لأنّكم إذا كنتم تسقطون في هذه الزلّات ولا تنهضون منها حالًا على مثال البار – "إنّ البار يسقط سبع مرّات وينهض" (أم ٢٤: ١٦)، فإنّها تقودكم رويدًا رويدًا إلى الكبائر. ولا شيء يساعدنا على حفظ قداسة نفوسنا ونقاوتها مثل الإكثار من الالتجاء إلى نيل الحلّة السريّة. فمن واظب على سرّ التّوبة حافظ على نقاوة نفسه كمن يحفظ ثيابه نظيفة بالمواظبة على غسلها[١٤٠]". هذا الإستعداد يجعله يقوم بخدمته وصلواته وقدّاسه بطريقة مختلفة وبفرح وقداسة، ويكون بذلك قدوة ومثالًا للمؤمنين في عيشهم وممارستهم للأسرار وبخاصّة سِرَّي التّوبة والأفخارَسْتِيا.

---

[١٣٥] البطريرك اسطفان الدّويهي، منارة الأقداس، الجزء الأوّل، دار ومكتبة بيبليون، جبيل-لبنان، ٢٠١٢، ص. ٢٦٤-٢٦٧.

[١٣٦] المرجع نفسه، الصفحة ٢٦٥.

[١٣٧] البطريرك اسطفان الدّويهي، منارة الأقداس، الجزء الأوّل، دار ومكتبة بيبليون، جبيل-لبنان، ٢٠١٢، ص. ٢٦٦.

[١٣٨] المرجع نفسه، الصفحة ٢٦٨.

[١٣٩] المرجع مفسه، الصفحة ٢٦٩.

[١٤٠] البطريرك الياس الحويّك، "إلى الكاهن"، رسالة إلى إكليروس الطّائفة المارونيّة، ١٨ شباط ١٩٠٩، العدد ١٩.

الخاتمة

بعد أن عرضنا الموضوع بنظرة حياة الجماعة المسيحيّة الأولى، ثمّ تعاليم المجامع وتعليم الكنيسة، ثمّ البعد الليتورجي وبخاصة نصوص القدّاس الماروني وارتباطه في سرّ التّوبة، ثم من ناحية علاقة الكاهن وعيشه لهذين السّرين، يمكننا الاستنتاج أنّ آباء المجمع التريدنتيني أرادوا أن يعلّمونا بالتعابير الّتي استعملوها، أنّ الأفخارَسْتِيا بطبيعتها هي سرّ الغفران[١٤١]، ويؤكّد لنا أنّ الرّب يسوع أسّس الأفخارَسْتِيا لسببين، وما يهم موضوعنا هو السّبب الثّاني، وهو أنّ للكنيسة ذبيحة دائمًا تكفر بها خطايانا..."[١٤٢]. ونجد ذلك أيضًا عند آباء الكنيسة الّذين لم تخلُ كتاباتهم من هذه التعابير.

ويؤكّد المجمع في القانون ٣ من العدد ١٧٥٣ من دنتسنغر أنّه "إذا قال أحدٌ إنّ ذبيحة القدّاس ليست سوى ذبيحة حمدٍ وشكرٍ، أو مجرّد ذكرى للذّبيحة الّتي تمّت على الصّليب، لا ذبيحة تكفير؛ أو إنّها لا تفيد إلّا من يتقبّل المسيح، ولا ينبغي لنا تقديمها لأجل الأحياء والأموات، ولا من أجل الخطايا، والعقوبات، والتّكفير، والضّرورات الأخرى: فليكن محرومًا".

كما نجد في العدد ١٧٤٠ العبارة التّالية "... وهكذا تتمثّل الذّبيحة الدّمويّة الّتي كانت ستتمّ دفعةً واحدة على الصّليب، وتستمرّ ذكراها إلى نهاية العالم، كما تعمل قوّتها على محو الخطايا الّتي نقترفها كلّ يوم" (دنتسنغر، العدد ١٧٤٠). وعلى حسب مداخلات الآباء في المجمع، فهذه العبارة لا تعني إلغاء سرّ التّوبة، لا بل تُؤكّده[١٤٣]. كما أنّ وجود كل هذه الصلوات الغفرانيّة في ليتورجيّة القدّاس لَخير دليل، كما يؤكّد ذلك Ligier[١٤٤]، على ارتباط هذين السّرين الوثيقين فيما بينهما. ومن الملفت أنّ الكنائس الشّرقيّة تعتبر أنّ سرّ التّوبة كسرّ العماد، هما مدخل سرّ الأفخارَسْتِيا. لذلك، تجد التّوبة في الأفخارَسْتِيا مصدرها اللّاهوتي أكثر منه الليتورجي[١٤٥].

ونستنتج أيضًا أنّه من الضّروري اليوم إعادة تموضع سرّ التّوبة في السّر الفصحي وبعده الكنسي الجّماعي، كفعل توبة ليس فقط من أجل الحلّة بل لإدخال الشّخص في جسد المسيح السّري. من هذا

---

[141] J.-M.-R. TILLARD, *Pénitence et Eucharistie*, dans La Maison-Dieu, Paris 90 (1967), p. 106-107

[142] Catechismus Romanus II, c. 4, n. 70. 78 (Catéchisme du Concile de Trente, p. 243 ; 246-247)

[١٤٣] راجع، .C. GIRAUDO, In unum Corpus, Traité mystagogique sur l'Eucharistie, Cerf, Paris 2014, p. 491, n. 28. راجع أيضًا في هذا الموضوع: A. MARRANZINI, «Eucaristica e remissione dei peccati dal Concilio di Trento a oggi», CivCat 135 (1984), IV, p. 228-231؛ Catechismus Romanus II, c. 4, n. 78 (Catéchisme du Concile de Trente, p. 247)

[144] L. LIGIER, penitence et Eucharistie en Orient. Théologie sur une interference de prières et de rites, dans OCP, 29 (1963), p. 67.

[145] Père Louis KHAWAND, Le pardon dans la messe Maronite, Kaslik-Liban, 1988, p. 170

المنطلق نفهم جيّدًا قول الإنجيل "فإذا كنت تُقدّم قربانك إلى المذبح، وتذكّرت هناك أنّ لأخيك شيئًا عليك، فدع قربانك هناك أمام المذبح، واذهب وصالح أخاك ثمّ عد وقرّب قربانك" (مت ٥: ٢٣-٢٤).

إنّ فعاليّة القدّاس الإلهي وذبيحة الغفران هذه ليستا للأحياء فقط بل للأموات لكي يغفر الله خطاياهم وينّجيهم من نار جهنّم ويخلّصهم من المطهر. إنه رحمة الله بذبيحة ابنه. إنّ تناولنا لجسد الرّب وشربنا لدمه لا يمنحاننا فقط الغفران بل الحياة الأبديّة أيضًا. وندرك أيضًا أنّ الغفران الّذي تعطيه الأفخارَسْتِيا هي من أجل الحياة. فالله أشركنا في موته وحياته، وهذا ما نصلّيه ونرتّله عند رفعة الكأس "وحّدت يا ربّ لاهوتك بناسوتنا وناسوتنا بلاهوتك، حياتك بموتنا وموتنا بحياتك أخذت ما لنا ووهبتنا ما لك، لتحيينا وتُخلّصنا، لك المجد إلى الأبد".

في زمن سمعنا بعض الأصوات ترهّب النّاس وتخلط الخوف من الله بمخافة الله، وتسربل المؤمنين بشرائع وأثقال بعيدة عن اللّاهوت، وعن النّاسوت أيضًا، فنحن في حاجة إلى لاهوت الرّحمة الّذي منبعه الأفخارَسْتِيا، ولعلّ هذا المقال يسلّط الضّوء ويساعد الكهنة أوّلًا فالإكليريكيّين والمؤمنين، ويزيدهم على حدّ قول القدّيس بولس: "نشاط في الإيمان، وثبات في الرّجاء، وجهاد في المحبّة" (١تس ١: ٣)، فيميّزون الخطايا المميتة من الخطايا العرضيّة، ويعيشون حياة توبة بفرح، ويتقرّبون من نبع الحياة ومن الأفخارَسْتِيا الّتي هي ذبيحة الغفران، والسلام والفرح والعطاء.

الأفخارَستيا وسرّ الزواج

الخوري يوسف أبي زيد

عندما نأكل طعامًا نشعر بالشبع والنشاط. الطعام يسهم في نموّ الجسد وتجديد خلاياه وتقوية مناعته. أمّا بعد أكل جسد الرب، فغالبًا لا نشعر دائمًا بنشاطٍ وخاصّةً إذا طالت العظة أو وقت الاحتفال فنخرج مُنهَكين وربّما غير راغبين في العودة. هل هذا يعني أنّ الأفخارَسْتِيَا بالرغم من ذلك لا تُغذّي؟ ماذا نقصد عندما نقول في القربان إنّه غذاء روحيّ؟ إن لم يكن مجرّد غذاء عاطفيّ فماذا يجدّد؟ ماذا يُنمّي؟ ماذا يُقوّي؟

تهمّنا مقاربة الأفخارَسْتِيَا في إمكانيتها العلائقيّة والمعنى الذي تعطيه للعلاقات الإنسانيّة ومصير الإنسان. ومن يفكّر في العلاقات يفكّر أيضًا في تلك الزوجيّة والعائليّة وفي تأثير الأفخارَسْتِيَا فيها. ولكن، على أيّ أساس يمكننا القول إن الأفخارَسْتِيَا والعائلة يمكنهما أن يتناسبان؟ ألا يدعو يسوع إلى ترك العائلة من أجل اتّباعه؟ الأفخارَسْتِيَا هي أحد أسرار التنشئة التي ينالها المؤمن والجماعة المؤمنة الذين يولدون لا من لحمٍ ولا من دمٍ (يو١: ١٣). أمّا العائلة التي تولد من لحمٍ ودمٍ ومن رغبة رجل وامرأة، فكيف لها أن تتّسع في منزل الأفخارَسْتِيَا؟ أليس على العائلة التي تشارك في القدّاس أن تنسى أنّها عائلة، فيفتكر كل مؤمن في علاقته بالمسيح والجماعة المؤمنة بمَعزِل عن القرابات الدمويّة؟

سوف يجيب هذا المقال على علاقة الأفخارَسْتِيَا بالزواج انطلاقًا من فحص طبيعة الأفخارَسْتِيَا وطبيعة الزواج الأسراريّة، وكيفيّة تلاقي الاثنين وتناسبهما بعضهما لبعض. ومن ثَمَّ سنبيّن تأثير الأفخارَسْتِيَا في العائلة.

1. الاحتفال بسرّ الأفخارَسْتِيَا

"افعلوا هذا لذكري" (لو ٢٢: ١٩). لقد أراد المسيح أن يذكره تلاميذه، أي أن يستحضروه بالكلمات والأفعال التي تمّمها في عشائه الأخير معهم. في الوقت عينه، لا يمكننا فصل هذه الكلمات والأفعال من سياق العهد القديم (فقد صنعها يسوع في مناسبة الفِصْح اليهوديّ)، ولا من سياق أعمال يسوع كلّها منذ الحبل به

حتّى آلامه وموته وقيامته وعودته.[١٤٦]

من ناحية العهد القديم، يشكّل العشاء السرّي الذي أقامه يسوع تتمّة لخلق الكون والرجل والمرأة والمجهود البشري، وتتمّة لتقدمة ملكيصادق المكوّنة من خبز وخمر، وتتمّة لتحرّر شعب الله من العبوديّة المصريّة التي يتمّ ذكرها في ذبيحة حمل الفِصْح اليهوديّ. وهو لا يمكنه أن يكون تتمّة واكتمالًا لهذه الأمور إلّا لأنّه مرتبط ضمنيًّا وبفعل الكلمات عينها ("هذا هو جسدي") في جسد الكلمة الذي به كان كلّ شيء، والذي وُلِد وعاش وعمل وبشّر ووعظ وصنع الآيات وتألّم ومات وقام في اليوم الثالث وجلس عن يمين الله.

إذًا، ما فعله يسوع في العشاء السرّي ينصبّ ضمن سلسلة أفعال صنعها تمتلك قصدًا واحدًا، وبالتالي كأنّه فعل واحد غايته ذبيحة الشكران (على الخَلْق واكتماله) التي تمّت على الصليب، وهي حيّة بفعل القيامة. من هنا لا يأخذ العشاء السرّي معناه الأوّل والأخير إلّا كونه جزءًا من تضحية المسيح حيث قال يسوع: "لقد تمّ" (يو ١٩: ٣٠).[١٤٧] ومن ناحية أخرى لا تُختزل الأفخارَسْتِيَا بالعشاء الأخير، إنّما تريد به ذكرًا مباشرًا لموت يسوع وقيامته.[١٤٨] تكرار كلمات يسوع في العشاء السرّي ليس لذكر العشاء أوّلًا، بل لذكر ذبيحة يسوع على الصليب. لذلك ذبيحة يسوع هي أوّلًا **ذبيحة** وتقدمة تتميّز بطبيعة تحريريّة وخلاصيّة تشمل الخَلْق كلّه (بما فيه الزواج والعائلة) وتُتوِّجه. وعندما نذكر يسوع بأفعاله في العشاء الأخير نستحضره في كل عمله الخلاصيّ والمكمّل هذا.

بعد أن حدّدنا الشكل الأوّل والمؤسّس للأفخارَسْتِيَا كذكر لعمل يسوع الخلاصي على الصليب، يمكننا أن نقول إنّ هذه التقدمة يتخلّلها شكل **الطعام**، ولكن تبقى غاية هذا الطعام الاشتراك في ذبيحة

---

[١٤٦] يُعرَف هذا المبدأ بالـ*recapitulatio* باللاتينيّة أو *anakephaleisis* باليونانيّة التي اقتبسها القديس إريناوس من رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس ليعني بها اختصار المسيح لكل تاريخ الخلاص في شخصه كرأس لكلّ شيء وفي حياته الأرضيّة من أجل إبلاغ المعنى النهائي لها ليقدّمها لله الآب. وكذلك يمكننا أن ننسبها إلى فِصْح المسيح (موته وقيامته) التي تختصر كل حياة يسوع الأرضيّة. را.

J. DANIELOU, *Message évangélique et culture hellénistique*, Desclée & cie, Tournai 1961, pp. 156-169.

أمّا من أجل توحيد الغاية في تعدّديّة الأعمال الخلاصيّة في التاريخ فندعوكم إلى مراجعة المؤلّف نفسه في كتابه:

J. DANIELOU, Essai sur le mystère de l’histoire, Editions du Seuil, Paris 1953, 7, 247, 256-260; ID. “Histoire et prophétie”, in *La documentation Catholique* 53 (1956) 1318-1327.

[1] .را J. RATZINGER, *God Is Near Us: The Eucharist, the Heart of Life* Ignatius Press, San Francisco, CA: 2003, pp.29-30

[1] .را J. RATZINGER, "Eucharist, Communion and Solidarity" lecture at the bishops' conference of the region of Campania in Benevento (Italy), Sunday 2 June 2002. Last seen in 14-02-2022, in https://www.vatican.va/roman_curia/congregations/cfaith/documents/rc_con_cfaith_doc_20020602_ratzinger-eucharistic-congress_en.html.

المسيح. فكما كانت ذبيحة حمل الفِصْح في العهد القديم تؤكَل، هكذا ذبيحة المسيح على الصليب التي أصبحت قيامة بفعل استجابة الآب لها، وبهذا الفعل أصبح جسد شركة، أي جسدًا يؤكَل وبفعل أكله تتغذّى شراكة المسيح (الذي يقدّم ذاته للآب ذبيحة حيّة) والجماعة المؤمنة. صارت الذبيحة الإلهيّة مائدةً تدعو المؤمنين إليها لتشترك في حكمتها المُحِبّة للآب، وخبزًا نازلًا من السماء يُحيي متناوليه بالحياة الأبديّة.

وإذا كانت الأفخارَسْتِيَا استحضارًا لشخص يسوع بعمله الخلاصي، فهي تعني أنّها **حضوره**؛ هي حضور المسيح والحمل الفادي معنا ومن أجلنا في تاريخنا. إنّه حضور الحبّ المُطلَق الذي يحفّز حرّيّة المؤمن إلى الاتّحاد به وعيش الشركة. ليس حضورًا مُشيّئًا يستطيع الإنسان أن يمتلكه، بل حضورًا يتميّز بطبيعة سريّة تدعو الإنسان إلى الاستسلام له والسير قُدُمًا على خطاه ومعه نحو من يحبّهم في انتظار لقاءٍ آخر يشملهم جميعًا(لو ٢٤). إنّه حضور يثبّت موت الإنسان القديم وإحياء الإنسان الجديد وهُوِيَّته، حضور فيه يقول بولس الرسول: "لست أنا الحيّ بل المسيح حيٌّ فيّ، والحياة التي أحيا بها هي في الإيمان بابن الله الذي بذل نفسه من أجلي". (غل ٢: ٢٠)

وأيضًا، الأفخارَسْتِيَا هي شركة في **العبادة السماويّة**؛ لأنّ المسيح القائم حيٌّ وتحوط به ملائكته وقدّيسوه، وهو يشفع لنا على الدوام إلى الله الآب. لذلك هي عربون اللقاء النهيوي بحيث تحقّقه بصورة أسراريّة عندما يلتئم شعب الله إلى مائدة عرس الحمل.[١٤٩] هذا ما يجعلها أيضًا عبادةً مستقيمة تتطلّب تحوّل المؤمنين على حسب شكل حياة تليق به.[١٥٠] وفي الوقت عينه، تغذّي الأفخارَستيا رجاء تحوّل الشخص وأخلاقه ومجتمعه والكون كلّه.[١٥١]

---

[١٤٩] ر. وثيقة مؤتمر أساقفة الولايات المتّحدة الكاثوليك:

Cf. Committee on Doctrine of the USCCB, “The Mystery of the Eucharist in the Life of the Church”, 2021, p. 22. Last seen in 14-02-2022, in https://www.usccb.org/resources/7-703%20The%20Mystery%20of%20Eucharist,%20for%20RE UPLOAD,%20JANUARY%202022.pdf. Cf. J. Ratzinger, "Eucharist, Communion and Solidarity" cit.

Cf. J. Ratzinger, "Eucharist, Communion and Solidarity" cit.

[١٥٠] راجع المرجع نفسه.

[1] Cf. Pontifical Committee for the International Eucharistic Congresses, «All My Springs are in You» The Eucharist: Source of Christian Life and Mission, cit. p. 35.

2. سرّ الزواج وسرّ العائلة

في المقابل، أسسَ اللهُ، عندما خلق العالمَ، الزواجَ ورفعه المسيح إلى سرّ يمنح نعمة خاصّة للزوجينْ. ومن الزوجين تسيل هذه النعمة إلى الأولاد وإلى البيئة الاجتماعيّة.[١٥٢] يقوم الزواج مدى الحياة على شراكة رجل وامرأة منفتحين على الصداقة والتكامل في مسيرة نموّهما كأشخاص، وخاصّةً في استقبال عطيّة الحياة والاهتمام بها. هذه العلاقة المولّدة للعائلة تبقى أصلًا منفتحة على الله منذ تأسيسها: ففي القليل هو الذي يجمع الزوجين، وهو الذي يعطي الحياة كثَمَرة لاتّحادهما.[١٥٣] وهذه العلاقة الزوجيّة العائليّة تبقى في أساسها منفتحة أيضًا على المجتمع تستقبل منه المعونة وتصدّر إليه أحجار بنائه وبنّائيه مؤمّنةً له الاستمراريّة.[١٥٤] على غرار القديس بولس (أف ٥، ٣٢)، رأى آباء الكنيسة أنّ هذا الجسد الواحد المنفتح على الله وعلى المجتمع هو علامة لشركة يسوع وكنيسته.[١٥٥] ولكنّه لا يصبح اشتراكًا فيه (أي سرًّا مسيحيًّا) إلّا بشرطيْن: الأوّل هو تجسّد المسيح في التاريخ وموته وقيامته، والثّاني أن يكون المتزوّجان معمّدين، أي عُضوَين في الكنيسة (جسد المسيح السرّي) التي تجسّد ومات وقام من أجلها.

---

[١٥٢] المجمع التريدانتي، فرح ورجاء، تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة؛

PIUS XII, Istrutzione Pastorale, quaresima,1945, in *AAS*, 37 (1945), n. 2, p. 34.: *"Nelle nozze cristiane la virtù del Sacramento è conguinta col mutuo consenso degli sposi; il loro 'si' deviene una sorgente della grazia; et cosi il vincolo coniugale è insignito di quella dignità sorprannaturale che ne fa il simbolo dell'unione di Cristo e della Chiesa, mentre con la santificazione stessa del matrimonio ridondano anche sulla famiglia, e mediante la famiglia su tutta la vita sociale, i benefici effetti del mondo superiori della grazia."*

إنّ فضائل سرّ الزواج المسيحي مرتبطة بالرضى المتبادل للطرفين؛ إنّ رضاهما يصبح نبع نعمة وبالتالي تغلّف الكرامة الرابط الزوجي فوق الطبيعيّة ما يجعله رمزًا إلى اتّحاد المسيح والكنيسة، بينما مع تقديس الزواج ترتدّ فوائد مفاعيل عالم النعمة المتفوّق أيضًا إلى العائلة، وبالعائلة على الحياة الاجتماعيّة كلّها". (تعريب مؤلّف المقال)

[١٥٣] متى ١٩؛ مجمع العقيدة والإيمان، **الحياة هبة الله**، ١٩٨٧.

[١٥٤] المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور راعوي الكنيسة في عالم اليوم، **فرح ورجاء**، العدد ٥٢.

[١٥٥] القدّيس ميثوديوس الآوليمبي، **الوليمة**، تعريب الأب صبحي الحموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٣، الخطاب الثالث، العدد ١-١٠، ص. ٣٥-٤٧؛ القدّيس يوحنّا ذهبي الفم، **في الكهنوت، أحاديث عن الزواج والرسائل إلى أوليمبيا**، تعريب الأسقف أستفانوس حدّاد، منشورات النور، بيروت ١٩٨٢، ص. ١٧١-١٧٥؛ مار افرام النصيبيني، ضدّ الهرطقات: *Contra Haereses*, 34, 6, CSCO 169, Syr. 76, p. 137;

مار يعقوب السروجي، **الميمر** ١٦٧، **على تلك الآيات التي صنعها ربّنا في قانا الجليل**، ٣٤-٤٢، في آباء-الكنيسة/الآباء-السُّريان/مار-يعقوب-السروجي/ميامر-مار-يعقوب-السروجي/الميمر-١٦٧-على-تلك-الآية-التي-صنعها-ربنا-ف/ الزيارة الأخيرة ١٨ شباط ٢٠٢٢؛

https://dss-syriacpatriarchate.org/

مار أغسطينوس، في العرس والشهوة: *De nuptiis et concupiscentia*, 1, 10, 11 ; CSEL, 42, pp. 222-223.

إنّ الاشتراك في الشيء يعني اتّحادهما على الصعيد الأنطُلوجيّ، أي تأسيس كِيان المُشتَرِك انطلاقًا من كِيان المُشتَرَك به وأخذ الحيويّة منه. وهكذا يتأسّس رباط المعمّديْنِ الزوجيّ انطلاقًا من شراكة المسيح وكنيسته، فيصبح تبادل هذيْن الزوجيْن تبادلًا يتمتّع بخصائص محبّة يسوع لجسده السرّيّ (شرط أن تكون حرّيّة الزوجيْن منفتحة على مَن يؤسِّسها).

3. دور الأفخارَسْتِيَا في تغذية الزواج

في هذا الملتقى بالتّحديد لعلاقة يسوع وكنيسته وعلاقة الزوجين، يمكننا أن نستشفّ دور سرّ الأفخارَسْتِيَا في الزواج المسيحي. فأين الحاجة إلى الأفخارَسْتِيَا إذا كان اشتراك العلاقة الزوجيّة المسيحيّة مباشرًا في تيّار الحبّ الجاري بين يسوع والكنيسة؟ يساعدنا على ذلك النظر إلى المعمَّد. المُعَمَّد يشترك أيضًا في حياة المسيح. فهو يموت عن ذاته ليحيا مع المسيح وبه ومن أجله. ينال المُعمَّد الطابَع والنعمة المقدّسة الخاصّة ليعيش على حسب هُوِيَّته الجديدة، ابنًا لله في الابن الوحيد وعضوًا في جسد المسيح. ولكن، لأنّه أصبح ابنًا لله في الابن الأزلي صارت له حاجات تثبّته في البنوّة الإلهية، ولأنّه صار عضوًا في عروسة المسيح أصبحت له حاجة العروسة، أي أن يلتقي دائمًا بالعريس ضمن الجماعة الملتئمة ويستقبل عطيّة جسده. هذه الحاجات تعكس أيضًا حاجة العروسيْن إلى لقاء وحوار وعطيّة متبادلة دائمة لتبقى علاقتهما حيّةً تنمو.[١٥٦] (انطلاقًا من هنا، ليس تفشّي كورونا وضرورة الحماية منه مناسبة لندرك استقلاليّتنا عن الاشتراك في الخبز النازل من السماء، بل مناسبة لنجوع له أكثر وندرك أهمّيّته لنا).

هكذا أيضًا، لا يستطيع جسد الزوجين الواحد المنتمي إلى عروسة المسيح أن يُبقي نعمة سرّ الزواج المقدّسة حيّةً من دون العطش إلى لقاء المسيح العريس. فالجسد الواحد الزوجيّ يأخذ طابَع الكنيسة العرسيّة ونزعتها نحو المسيح. المعموديّة بداية طريقة سيرٍ جديدة، وكذلك سرّ الزواج المسيحي، وكلاهما يحتاجان إلى

---

[١٥٦] إذا استحال بلوغ المعمّد إلى الاحتفال الأفخارَسِتيّ لأسباب خارجة عن إرادته قد يستطيع أن يحيا في نعمة الله من دون الاشتراك في الذبيحة الإلهيّة لفترة طويلة؛ وذلك بسبب انفتاحه الدائم على نعمة المعموديّة عينها التي في جوهرها تخلق عطشًا دائمًا إلى الاتئام بالمسيح الأفخارَسْتي. إنّ اختبار الكوريّين المسيحيّين أثناء غياب الكهنة المُرسَلين لقرون خير دليلٍ على ذلك، فكانوا دومًا يكرّرون طقس الأفخارَستيا من دون كاهن، دليلًا على عطشهم إليها.

الزاد من أجل استمراريّتهما[١٥٧] وعلى طبيعة هذا الزاد أن تناسب طبيعتهما فيكون لقاءً يشبه طابَعهما ويجذبهما نحو التخطّي المستمرّ في شركة المسيح وسائر المؤمنين به.

بالإضافة إلى ذلك، المعموديّة ولادة في شراكة جديدة للمعمّدين في جسد المسيح السرّي. يحتاج المعمّد إلى أن يعيش هذه الشراكة بالمسيح في الخبز الواحد. كذلك الزوجان يحتاجان إلى أن ينفتحا بالأفخارَستيا على جميع أعضاء الكنيسة؛ خاصّةً لأنّ سرّ الزواج الذي يتحلّان به هو سرٌّ خِدْميّ من أجل بنيان الكنيسة.

من ناحية، يغذّي المسيح عروسته الكنيسة بعطيّة جسده، ومن ناحية أخرى، تتوق الكنيسة عروسته للقياه واستقباله وتعيش هذا التوق بأبنائها المعمّدين، وبالعلاقات التي تتكوّن منها؛ خاصّةً سرّ الزواج والعائلة المنبثقة منه.

في اختصار، الطعام الأرضي يُبقي الإنسان أرضيًّا، أمّا الطعام السماوي فهو يرفع الإنسان إلى السماء؛ لذلك لا يمكنه إلّا أن يكون لقاء شخص يحمل المزايا التي يحتاجها المُعمَّد والمتزوّج ليعيشا حالتهما على أكمل وجه وبقدر المستطاع.

والروح القدس غير منفصل عن كل هذه الديناميّة. فهو روح شركة الآب والابن والمسيح والكنيسة. وبهذا الفعل هو موحِّد الكنيسة وموحّد الزوجين المنتميَين إليها. ينقل الروح القدس حياة الشركة الثالوثيّة بالأفخارَسْتِيَا أي بجسد المسيح القائم المشبّع من الروح عينه وبالتّالي المنفتح على شركة الكون بأسره؛ إذ أصبح يسوعُ بكر كلّ خليقة. حياة الشركة هذه تبلغ بالأفخارَسْتِيَا، جسد ودم المسيح، إلى المؤمنين وبخاصّةٍ الأزواج لكي يعيشوا الشركة بملئها في ما بينهم أوّلًا ومع أولادهم وانطلاقًا من علاقتهم الزوجيّة والوالديّة بسائر النسيج الكنسي.

4. في ملاءمة الزواج والأفخارَسْتِيَا[١٥٨]

يتناسب الغذاء الأفخارَسْتيّ والعطش العائلي بسبب اشتراك الواقعين في السرّ العرسي ضمن عناصره الثلاث: ١. تمايُز الطرفين ٢. وعطيّة الذات الأمينة ٣. والخصوبة.[١٥٩]

---

[١٥٧] يشدّد التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة على ذلك بخصوص المعموديّة: جسد المسيح المملوء حياةً "يحافظ وينمّي ويجدّد حياة النعمة التي ننالها في المعموديّة" (تمكك ١٣٩٢). الأفخارَسْتِيَا تقوّي المحبّة التي تضعف في الحياة اليوميّة (تمكك ١٣٩٤).

[158] Cf. C. ÁLVAREZ ALONZO, "Matrimonio y Eucaristía, sacramentos nupciales. Notas sobre una analogía sacramental articulada en torno al lenguaje del cuerpo", in *Anthropotes* 29 (2013), 249-271.

[159] Cfr. A. SCOLA, Il Mistero Nuziale 1.Uomo-Donna , LUP, Roma, 1998 (2000)[2], pp. 91-116.

إنّ **تمايز** الطرفين يظهر في لقائهما الشخصي، وتتبيّن في هذا اللقاء ميزة الآخر كشخص والدعوة التي تنبع منه من أجل حياة مشتركة، يتحقّقا فيه أو يعيشا ما هما عليه بالملء. هكذا يلتقي يسوع بتلاميذه ويرى فيهم هبة الآب ودعوة إلى تكريس نفسه من أجلهم. فكما يكتشف الرجلُ المدى الذي يُدعى إلى بلوغه من خلال لقائه بالمرأة (والعكس صحيح):[٦] كذلك يدرك يسوع المدى الذي سيذهب نحوه أمام تأمّله في تلاميذه وفي كل من يمكنه أن ينضمّ إلى جسده. نستذكر مثلا اليونانيّين الذين أرادوا أن يرَوْا يسوع[١] (را. يوحنا ١٢)، فلمّا سمع يسوع من فيليبّوس أنّهم يريدون لقاءه تكلّم مباشرةً على ساعته وأعطى صورة حبّة الحنطة التي يجب أن تموت كي تُعطي ثمارًا كثيرة.

عطيّة الذات هي تجاوب هذه الدعوة إلى ترك كل شيء للالتزام الكلّي والأمين بالشريك/ة. هكذا يفعل المسيح الذي يستكْمِل الدعوة التي استشفّها من تلاميذه في عطيّته لجسده على الصليب وفي الأفخارَسْتِيَا لعروسته الكنيسة. كذلك في الزواج، يلبّي الزوجان الدعوة فيتركان والديهما وشعبهما كي يُعطيا ذواتهما بعضهما لبعض بصورة حصريّة في عطيّة الجسد.

وهذه العطيّة ممكنة لأنّها دعوة كل شخص إلى أن يَشبَه الأقانيم الإلهيّة.[٦٢] ولكن، عندما نقول عطيّة نقول أمانة لمن أعطينا له ذواتنا. فالعطيّة التي حصلت مرّة واحدة لمدى الحياة برضى الزوجان، تحتاج إلى أمانة كي تكون عطيّة حيّة. وهكذا، أعطى يسوع ذاته على الصليب مرّة واحدة غير قابلة للتّكرار انطلاقًا من أمانته، وهو أيضًا أمين لإبلاغ هذه العطيّة إلى كنيسته بالاحتفالات الأفخارَسْتِيّة.

هذه العطيّة الحيّة الأمينة تُدفِّق **خصوبةً** في الوقت عينه. تشمل هذه الخصوبة حياة الأشخاص الذين يهبون ذواتهم في العلاقة الملتزمة، وأشخاصًا ثالثين كالبنين أو كل من يتأثّر بهذه العلاقة إيجابًا لتُرَقَّى نوعيّة حياته. وهكذا يولِّد الزوجان الأمينان واحدهما الآخر في عطيّة ذواتهما ويلدان أبناءً، فيستطيعان الاتّفاق على تربيتهم تربية حسنة ويكونان شاهدين لهم بمعنى الحياة وبأفضل طريقة في عيشها. ويسوع بعطيّته الأفخارَستيّة يُرقّي نوعيّة حياة جسده السرّي ويجعله خِصْبًا لاستقبال بنين روحيّين جدُد يولَدون كلّ يوم للحقّ والمحبّة والعدالة والرحمة.

---

1 Cfr. A. SCOLA , Il Mistero Nuziale 2. Matrimonio-Famiglia, Roma, 2007, pp. 123-136. 155-168; Anthropotes

١٦١ را. من أجل رؤية علاقة عرسيّة ليسوع بالرسل في إنجيل يوحنّا.

P. ELLIOTT, *What God has Joined. The Sacramentality of Marriage,* Wipf & Stock, Eugene: OR 1990, pp. 23-26.

١٦٢ المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور راعوي الكنيسة وعالم اليوم، فرح ورجاء، ٢٤.

في اختصار، تلاقي الأفخارَستيا والعائلة هو تلاقي يسوع الذي تبنّى في جسده لغة الحبّ العائلي والعائلة التي تبنّاها يسوع في منظومة علاقاته التي افتتحتها بموته وقيامته؛ وأرضيّة التلاقي هذه هي الأجساد التي تأخذ منحًى علائقيًّا.

هذا التلاؤم بسبب التماثُل الحقيقي للأفخارَسْتِيَا (التي تمثّل يسوع العريس الواهب نفسه من أجل عروسته الكنيسة) وسرّ الزواج المرتكز على علائقيّة الجسد البشري يؤسّس لإمكانيّة الزوجين المعمّدين التغذّي من الأفخارَسْتِيَا بالتّحديد كدفع ومَثَل يجعل الزوجين يتخطّيان ذواتهما كل يوم من أجل استقبال وإعطاء حياةٍ تفوق الطبيعة.

5. تكامل السِّرَّيْن

إنّ يسوع الذي يلتقي بالزوجين في سرّ الزواج هو عينه الذي يجمع في سرّ الأفخارَسْتِيَا جماعة المؤمنين في جسده. ولكن هذين اللقاءين بالمسيح مختلفيْن ولكلٍّ دوره في الحياة الزوجيّة والعائليّة. فلا يكتمل اللقاء الزوجي الدائم بالمسيح إلّا في اللقاء الأفخارَسْتيّ به. لا بل بطبيعته يقود اللقاء الأوّل الدائم به إلى اللقاء الثاني والأهمّ. للّقاء الأوّل به (الزواج) مفعوله الخاصّ، ألا وهو توجيه الرجل والمرأة واحدهما إلى الآخر، ومنح رباطهما الشكل والغاية والحياة.[١٦٣] أمّا اللقاء الثاني به (الأفخارَستيا) فله دوران: أوّلًا المحافظة على حياة المحبّة الخاصّ بهذا الرباط الزوجي وتنميتها وتجديدها لأنّها تستطيع أن تفتر في مجرى الحياة اليوميّة، وثانيًا التأكيد على انفتاح الزواج على الجماعة المؤمنة بواسطة الخدمة.[١٦٤]

---

[1] J. EGAN, "The Sacramental Grace of Matrimony", in THE CATHOLIC THEOLOGICAL SOCIETY OF AMERICA, *Proceedings of the Eleventh Annual Convention Cleveland, Ohio. June 25-27, 1956*, Catholic Theological Society of America, New York, 1957, 45-74, 53: "The *res tantum* is sacramental grace, which has: (1) the direct effect of healing the wounds of sin that are obstacles to conjugal union and ordering the two partners to that union. (2) the concomitant effect of a title to actual graces appropriate to the married state. (3) the consequent modification of those infused virtues needed to lead a common life. (4) the end result—a life of virtue that manifests with great variety in each Christian family the bond of union that exists between Christ and His Church". (Egan, J. M. (2012). The sacramental grace of matrimony. Proceedings of the Catholic Theological Society of America, 11. Retrieved from https://ejournals.bc.edu/index.php/ctsa/article/view/2417).

"الـ res tantum (الشيء فقط) هو نعمة أسراريّة وهي تتمتّع بـ: (١) مفعول الشفاء المباشر لجروجات الخطيئة التي هي عوائق أمام الاتّحاد الزوجي وتنظيم الشريكيْن لهذا الاتّحاد. (٢) التأثير المصاحَب الذي يخوّل الزوجين لنيل نِعَم فعليّة مناسبة للحالة الزوجيّة. (٣) تعديل ناتج للفضائل المغروسة الضروريّة من أجل العيش المشترك. (٤) النتيجة النهائيّة – حياة فضيلة تظهر بتنوّع كبير في كل عائلة مسيحيّة رابط اتّحاد المسيح وكنيسته" (تعريب مؤلّف المقال).

[١٦٤] را. البابا بنديكتوس السادس عشر، إرشاد رسولي **سرّ المحبّة**، حول الأفخارَسْتِيَا كنبع وقمّة ليحاة الكنيسة ورسالتها، ٢٠٠٧، العدد ٧٩: "الحبّ بين الرجل والمرأة، والانفتاح على الحياة، وتربية الأولاد هي المجالات المميّزة التي فيها يمكن الأفخارَسْتِيَا الكشف عن قدرتها على تحويل الحياة

إنّ النعمة النابعة من الرباط الزوجي تحتاج إلى تغذية من الأفخارَستيا. هذا الاستعداد فوق الطبيعي الذي يخلقه سرّ الزواج في الزوجيْن ليكون واحدهما للآخر كما المسيح للكنيسة، يحتاج إلى الاقتيات من حضور المسيح العريس (الباذل نفسه) ومن المحبّة التي يُشعلها هذا الحضور. نعمة الأفخارَستيا التي هي محبّة المسيح الحاضرة، تُضرِم النفس في حبّ الله وحبّ القريب وخاصّة حبّ الزوج/ة. وفي الوقت عينه، تفتح الأفخارَستيا العائلة على العائلات الأخرى وتدعوها إلى أن تكون بمواهبها غذاءًا للعائلات الأخرى ودعمًا للرعيّة والأشخاص الذين لا عائلة لهم.

فالطعام الروحي يمكّن الإنسان من البلوغ إلى ما يفوقه، وبذلك يعطيه هُوِيَّته. بكلمات أخرى، يحتاج الإنسان إلى تواصل وحقيقته ليصبح فعلًا ما هو عليه. لهذا يمكننا أن نقول إنّ حقيقة الإنسان هي في الوقت عينه غذاؤه، ذلك عندما تعلن له هُوِيَّته وتتفاعل معه ليبلغ إليها. من ناحية أخرى، حقيقة الإنسان هذه تفوقه وليست كامنة فيه؛ لأنّه مخلوقٌ على صورة الله، هذا يعني أنّ حقيقته في الله، ووحده المسيح أعلن بها في أقواله وأفعاله وكِيانه. وهكذا، لا يمكن الإنسان أن يكتفي بذاته، بل لن يستطيع أن يجد حقيقته إلّا في المسيح وفي تواصلهما. وهذا التواصل يؤمَّن بصورة خاصّة في الأسرار، وبخاصّةٍ الأفخارَسْتِيَا.[٦٥] من هذا المُنطلَق، الزواج نفسه كسِرّ هو غذاء لأنّه يعطي شكلًا لحبّ المتزوّجين ويؤكّد أنّ هُوِيَّتهما الحقيقيّة غير منفصلة عن الحبّ وعن انتماء واحدهما إلى الآخر وانتماء الجسد الواحد الذي يكوّنانه لعلاقة المسيح بالكنيسة. بهذه الطريقة، يرسم سرّ الزواج خارطة دربٍ يستطيع المتزوّجان فيه التعرّف إلى هُوِيَّتهما الجديدة بعد الزواج وعيشها انطلاقًا من المسيح الذي يلتقي بهما ويكون بينهما.[٦٦] وبما أنّ المسيح بينهما بسبب سرّ

ومنحها ملء معناها."؛ البابا القدّيس يوحنّا بولس الثاني، إرشاد رسولي ما بعد السينودس، **وظائف العائلة المسيحيّة في عالم اليوم**، ١٩٨١، العدد ٥٧: "فالأفخارَستيا ينبوع الزواج المسيحي. وذبيحة الأفخارَسْتِيَا، في الواقع، ترجع إلى عهد محبة المسيح للكنيسة الذي خُتِم بدم الصليب وفي ذبيحة العهد الجديد الأبدي هذه، يجد الأزواج المسيحيون الأصل الذي يتفرّع منه عهدهم الزواجي ويتكيّف به باطنيًا، ويحيا باستمرار. والأفخارَسْتِيَا، بما أنها تمثيل لذبيحة محبة المسيح في الكنيسة، هي ينبوع محبة."

[65] J. RATZINGER, "La Fondazione sacramentale dell'esistenza cristiana", in ID., *Opera Omnia. Teologia della Liturgia,*(Vol. 11), Libreria Editrice Vaticana, Città del Vaticano 2010, 221-241, 233-240.

[66] Pietro Lombardo, Sentenze IV d 26, Cap.VI : "Est etiam coniugium signum spiritualis coniunctionis et dilectionis animorum, qua inter se coniuges uniri debent".

"الزواج هو علامة الاتحاد الروحي وحبّ القلبيْن، الذي به يجب على الزوجين أن يتّحدا في ما بينهما".(تعريب مؤلّف المقال). بكلمات أخرى، يعتبر لومباردو أنّ علامة الزواج (الرضى) تشير إلى وحدة القلب بين الشريكَيْن، كمرجع يلزمهما المسير في طريق الاتّحاد حيث يُطلَب أنّ يُحَبّ الآخر مثل جسده الخاص على حسب أفسس ٥: ٢٥. (را. المرجع نفسه).

هذا الدرب الذي تفتحه ليس خارجًا عن الإنسان، بل هو الإنسان نفسه في مسيرة ولادته الذاتيّة في المسيح والكنيسة والمجتمع. را.

الزواج فهو ليس لوحده، إنّما أيضًا في علاقته بالكنيسة. وهنا أهميّة الأفخارَسْتِيَا التي تفعّل حضور المسيح هذا في حبّه لكنيسته، وتفتح الزواج والعائلة المنبثقة منه على انتمائها إلى الرباط الحيويّ بين المسيح والكنيسة. وبذلك يمكن الزواج كسِرّ أن يُظهر مجد العلاقات الثالوثيّة ومجد علاقة المسيح بالكنيسة التي انبثقت من العلاقات الثالوثيّة.[١٦٧]

6. تغذية العائلة

إنّ الرباط الوالدي ينبع من الرباط الزوجيّ. وزوجٌ أفضل يعني أبًا أفضل. لذلك تغذّي الأفخارَسْتِيَا العائلةَ بقدر ما تنمّي حبّ الوالدين وتمتّن رباطهما. والعريس الأفخارَسْتيّ هو أيضًا أبٌ بقدر ما يُخصِب كنيسته ويهتمّ بثمارها. ففي طاعة يسوع لمشيئة الآب حتّى الموت، فإنّه يعيش بنوّته للآب، ولكن في الوقت عينه يُظهِر في جسده مشيئة الآب عينها وهُوِيَّته. وهذا الانعكاس جليّ بالنسبة إلى ثمر الطاعة وهو يسوع القائم الذي يعطي الروح القدس. بنفخه الروحَ على تلاميذه (يو ٢٠: ١٩) يمثّل يسوعُ القائمُ من الأموات الآبَ الذي ينبثق منه الروح. وبهذا، يكون يسوع سرّ الآب ("مَن رآني رأى الآب").[١٦٨] انطلاقًا من هذه العلاقة للكلمة المتجسّد بالآب، لا يستطيع الزوجان أن يكونا أبوين خصيبين بالروح إلّا في اشتراكهما في المسيح. فكما يقول المزمور "عبثًا يتعب البنّاؤون إن لم يبنِ الرّب البيت" (مز ١٢٧: ١).

إنّ اكتفاء الأبوان بحبّ المسيح كحبٍّ أوّل يبنيان عليه حياتهما يجعل حبّهما بعضهما لبعض ناضجًا ومُخْلِصًا. هذا النضوج (والإخلاص) ينفي من علاقتهما بولديهما مشادّات الحاجة والتملّك، ويثبّت التعلّق السليم الضروري للعناية والتربية. المسيح الساكن في ما بين الزوجين يفتح حبّهما بعضهما لبعض على أفق الأبوّة الصالحة، وهي أبوّة (أوّلًا) تفتح المجال أمام البنين لأن يختبروا أنّ الحياة جيّدة وتستحقّ أن تعاش

L- M. CHAUVET, *Symbol and Sacrament: A Sacramental Reinterpretation of Christian Existence*, (Eng. trans. Patrick Madigan and Madeleine Beaumont), The Liturgical Press, Collegeville: MI 1995, pp. 54, 364.

[١٦٧] الكاردينال مارك ويلّيت Ouellet بتأثير فون بالتزار Von Balthasar يعتبر أن غاية الإنسان هي خدمة التطويب والتمجيد المتبادل الذي يدور بين الأقانيم الثالوثيّة. والأسرار هي لخدمة هذه الغاية، إذ هي جزء من قصّة حبّ الابن الذي يتنازل بالروح القدس ليمجّد الآب، والآب الذي يرسل الروح ليمجّد الابن. را.

CARD. M. OUELLET, *Mystery and Sacrament of Love. A Theology of Marriage and the Family for the New Evangelisation*, (Eng. trans. Michelle K. Borras and Adrian J. Walker) Eerdmans, Grand Rapid MI 2015, pp. 302-307; ID., *Divine Likeness: Towards a Trinitarian Anthropology of the Family*, (Eng. trans. Philip Milligan and Linda M. Cicone) Eerdmans, Grand Rapid MI, 2006, pp. 71-73; ID., *Friends of the Bridegroom. For a Renewed Vision of Priestly Celibacy*, (Eng. trans. Benjamin Crockett) EWTN Publishing Inc., Irondale AL 2019, pp. 40-41.

[١٦٨] مع الملاحظة أنّ الابن لا يستطيع أن يكون الآب، أي المصدر الذي لا مصدر له.

بالملء و(ثانيًا) تحفّز حرّيتهم إلى الانفتاح على الأخ والأخت. إنّ الأبوّة الصالحة التي تشهد على حبّ المسيح تجعل الابن يعي أنّه محبوب لذاته وتساعده على أن يطيعهم لأنّه يدرك أنّ هذه الطاعة غير استلابيّة بل تبلّغه إلى خيره وتحقّق هُوِيَّته.

من ناحية أخرى، تُفعِّل الأفخارَسْتِيَا دور السلام والشراكة في الجماعة. وبقدر ما تفعل هذا، تغذّي أُخوّة الأبناء بعضهم لبعض. تحفّز أكثر إلى الحضور والتواضع والإصغاء والمغفرة والعطيّة الضروريّة من أجل كلّ علاقة. الأفخارَستيا تجعلني أعي أنّ ابن أبي هو أكثر من أخي بالدم، بل هو أخي بالمسيح. يعي أعضاء العائلة أنّ غايتهم أبعد من عائلتهم، بل غايتهم في عائلة المسيح. لذلك مَن يشترك حقيقةً في الأفخارَستيا يرفض كل الأنماط الأخويّة السلبيّة الأنانيّة كالغَيْرة والحَسَد والحِقْد والانفعال والاحتقار والملامة السيّئة والتشكّك في الآخر. إنّ نشيد المحبّة لبولس الرسول (١قور ١٣) خير تعبير عن الحياة التي تحرّك الجماعة الملتئمة حول الأفخارَسْتِيَا (١ قور ١١)[١٦٩] وبخاصّةٍ تلك المحبّة التي تُحيي العائلة في شركة الثالوث:[١٧٠]

ولئن كانت الأفخارَسْتِيَا ولا تزال محطّة يتأمّل فيها المرء أو العائلة في وجه من أوجه يسوع التي تناسب ظرفها وعلى حسب اختباراتها (يسوع الصديق، يسوع الطفل، يسوع المتألّم، قلب يسوع الرَّحب)،[١٧١] تجب أيضًا العودة إلى الأفخارَسْتِيَا كسِرّ نظام الوَحْدة في الكنيسة. انطلاقًا من ١ قور ١١، تبقى الأفخارَسْتِيَا الممارسة المسيحيّة بامتياز التي يجب فيها تمييز تعاضد ومصالحة المشاركين.[١٧٢] إنّها ممارسة هدفها تنشئة

---

[١٦٩] يمكننا ربط فضيلة المحبّة بعشاء المحبّة المرتبط عضويًّا في الأفخارَسْتِيَا في ١ قور ١٣. هذا الرباط بين الفضيلة والعشاء يظهر جليّا في يوحنّا ١٣: ٣٤-٣٥، أي في إطار العشاء الأخير حيث يطلب يسوع من تلاميذه أن يحبّوا بعضهم بعضًا كما هو أحبّهم. را.

Grace Theological Journal 6.2 (1985) 411-424. Timothy COYLE, "The Agape/ Eucharist Relationship In 1 Corinthians 11", in

ولكن يبقى الرابط الأهمّ بين المحبّة وتقدمة جسد الرّب في الخبز هو رباط هذا الأخير بذبيحته على الصليب.

[١٧٠] البابا فرنسيس، إرشاد رسولي حول الحبّ في العائلة، فرح الحبّ، الفصل الرابع.

[١٧١] را.

A. HARRIS, *Faith in the Family. A Lived Religious History of English Catholicism, 1945-82,* Manchester University Press, Manchester, 2013, pp. 57-130.

[١٧٢] را.

M. J. RHODES, "Forward unto Virtue " : Formative Practices and 1 Corinthians 11:17-34", in *Journal for Theological Interpretation* 11/1(2017) 119-138, p. 136: "Formative practices [...] *cultivate* virtues, *embed* participants into a narrative, *shape* a community's politics, and *orient* the community towards that shared *telos*. According to this reading, Paul promotes a renewed Lord's Supper practice that would, by God's grace, form believers into people who would live lives of solidarity with the marginalized, love for their neighbors, and generosity towards the "have nots."" تشديد الكلمات من النصّ الأصلي

الحرّيّات في الوَحْدة المتناغمة للمؤمنين في مختلف طبقاتهم ومواهبهم في المسيرة نحو المسيح. من هنا، في الإمكان استشفاف أفعال المسيح التي تختصّ بالوَحْدة، ألا وهي الخدمة والشركة والسُّكْنى (شكينا).[١٧٣] فقد غسّل يسوع أرجل تلاميذه في إطار العشاء السرّي ليشير إلى أنّ الخدمة لا تنفصل عن الأفخارَسْتِيَا (را. يو ١٣). ولقد صلّى يسوع ليكونوا بأجمعهم واحدًا (يو ١٧، ١١) طالبًا منهم أن يحبّوا بعضهم بعضًا كما هو أحبّهم (يو ١٣، ٣٤)، وكان المسيح حاضرًا في ما بينهم. وهذا ما حصل مع تلميذَيْ عمّاوس (لو ٢٤، ١٣-٣٥) والظهورات القياميّة التي انتهت بالوعد الكبير "هأنذا معكم طول الأيّام حتّى انقضاء الدهر" (متّى ٢٨، ٢٠).

فكما يؤكّد البابا القدّيس يوحنّا بولس الثاني:

في المحبة النابعة من الأفخارَسْتِيَا، تجد العائلة المسيحية أساسها وما يشبه روح "اتّحادها" و"رسالتها": فخبز الأفخارَسْتِيَا يجعل من مختلف أعضاء الجماعة العائلية جسدًا واحدًا تتجلّى فيه وحدة الكنيسة والاشتراك الأوسع فيها. ويصبح بالتالي تناول الجسد **"المُسلَّم"** والدم **"المهراق"** ينبوعًا لا ينضب لنشاط العائلة المسيحية الإرسالي والرسولي."[١٧٤]

إذًا، يجب ألّا ننسى أنّه إذا كانت الأفخارَسْتِيَا سرّ نظام الوَحْدة، فهذا لأنّها **ذبيحة المسيح** أوّلًا، أي عطيّة ذاته التي نقل بها الحياة الثالوثيّة إلى الجماعة.[١٧٥] إنّ الأفخارَسْتِيَا تستطيع أن تكون الوسيطة الوحيدة بين الشراكة الإلهيّة والشراكة بين البشر، لأنّها بذل المسيح لذاته الذي يثبّت كلّ مؤمن به في درب بذل الذات من أجل الله ومن أجل الجماعة. الأفخارَستيا تضع الإنسان في وضعيّة الكينونة قبل الفعل، ومن هذه الكينونة تصدر أفعال الوَحْدة أي تلك التي تقود إلى الوَحْدة أو التي تثبّتها.

إنّ حضور يسوع القربانيّ والمُوَحِّد في آنٍ يتحقّق في العائلة التي تشارك في الأفخارَسْتِيَا، لربط أوصالها الداخليّة أوّلًا بين أعضائها، ووثاقها الخارجيّ ثانيًا أي مع العائلات الأخرى وسائر المجتمع. بذلك تجعل

" إنّ الممارسات المُحوِّلة [...] تزرع الفضائل وتغرس المشتركين في رواية، وتعطي شكلًا لسياسة الجماعة، وتوجّه الجماعة نحو غاية مشتركة. على حسب هذه القراءة [١ قور ١١]، يروّج بولس لممارسة مجدّدة لعشاء الرّب تجعل المؤمنين، بنعمة الله، أناسًا يعيشون حياة تضامنٍ مع المهمّشين، وحبٍّ لجيرانهم، وكرمٍ نحو الذين "لا شيء لهم"". تعريب مؤلّف هذه المقالة.

١٧٣ را. C. ROCHETTA, *Teologia della famiglia. Fondamenti e prospettive,* EDB, Bologna 2011, pp.447-452.

١٧٤ البابا القدّيس يوحنّا بولس الثاني، وظائف العائلة، العدد ٥٧. التشديد من مؤلّف هذا المقال.

١٧٥ را. فرح ورجاء، ٢٤: "وفي الحقيقةِ، فعندما يصلي السيد يسوع المسيح إلى الآب ليكون "الجميعُ واحدًا كما نحن واحد" (يو١٧ / ٢١ - ٢٢)، يفتح آفاقًا لن يتوصل إليها العقل. كما أنه يُوحي لنا بأن هناك **شَبهًا بين اتحاد الأقانيم الإلهية و اتحادِ أبناءِ الله في الحق والمحبة**. وهذا **الشبه** يبين بوضوحٍ أن الإنسانَ، تلك الخليقة الفريدة التي أرادها الله لذاتها، لا يستطيع أن يجدَ ذاتَه تمامًا، إلا **ببذلِ ذاته** دون مقابل." (التشديد من مؤلّف هذه المقالة).

الأفخارَستيا من العائلة خادمة المحبّة ومفعّلة الشركة على الصعيد الاجتماعي ومركز إشعاع المسيح للباحثين عنه في الضواحي البعيدة جغرافيًّا ووجوديًّا عن الكنيسة.[١٧٦]

إنّ تأمّلات المطران دو لا بويّري De la bouillerie (١٨١٠-١٨٨٢م) في دور الأفخارَسْتِيَا والعائلة بالرغم من عتقها، تبيّن ما هو مذكورٌ أعلاه بصورة ملموسة.[١٧٧] فبالنسبة إليه، سرّ سعادة العائلة المسيحيّة تكمن في الأفخارَسْتِيَا التي تضيف الحياة والأصالة إلى اهتماماتها وأفراحها وأحزانها وعلاقاتها.[١٧٨] فلقد تكون العائلة غنيّة أو أعضاؤها يشتركون في الطباع نفسه وفي الذوق نفسه. قد يحافظ الأب على سلطته والأمّ على حنانها وتكرّسها، ويكون الأبناء طائعين أهلهم ومحترمين إيّاهم. ولكن كل هذا في إمكانه أن يفتقد الحبّ، فتصبح هناك تعاسة مع الغنى والمضايقة مع الطباع المشتركة والطغيان مع السلطة والعمى مع الحنان والغباوة مع التكرّس والخبث مع الطاعة.[١٧٩] أمّا عندما تُستَقبَل الأفخارَستيا بجدّيّة وكرامة فلا شيء يستطيع المسّ بوَحْدة العائلة، لا انعكاس الحظّ ولا التغيير في الطباع ولا نزاع المصالح، بل يكون هناك سلامٌ حقيقيّ في البيت؛ لأنّ الربّ يسكن في وسطه ويجلب له السعادة.[١٨٠] إنّ الأفخارَستيا توطّد العلاقات العائليّة وتقرّبها حيث يسوع يكون الكلّ في الكلّ. إنّه يعمل في كلّ عضو ويساعده على أن يحيا دوره على أكمل وجه.[١٨١]

ففي إطار المُشادّات بين الرجل والمرأة في إثر عواقب الخطيئة في الإنسان، بين التسلّط والتملّك والشوق الخائب، بين النزعة إلى من هو أهمّ أو في معركة استعادة الحقوق ومساواة الرجل للمرأة في العائلة، تظهر المحبّة عندما تدخل في أصل الحبّ الزوجي البشري وغايته، كالضمان الأوّل لمساوات الرجل للمرأة والسلام بينهما، لا بقوانين مُنفَّذة إجباريًّا بل بإنعاش القلب ليبتغي أن يكون الأوّل في الخدمة وفي الاعتراف

---

[١٧٦] را. ROCHETTA, *Teologia della famiglia. Fondamenti e prospettive,* EDB, Bologna 2011, pp. 447-452 .

[١٧٧] المطران فرانسوا ألكساندر رولّي دو لا بويّري François-Alexandre ROULLET DE LA BOUILLERIE هو أسقف كاركسون في فرنسا ثم رئيس أساقفة برغا شرفيًّا وأسقف مساعد لمدينة بوردو. ولكنّه في سنين كَهَنوته أسّس الرابطة من أجل السجود الليلي في المنزل، ومن ثمّ عاون على خلق فرنسا السجود الليلي للقربان الأقدس في كنيسة سيّدة الانتصار في باريس التي تحوّلت إلى السجود الدائم في باسيليك القلب الأقدس في مونمارتر. من مؤلّفاته: **تأمّلات في الأفخارَسْتِيَا** والكتاب الذي نحن بصدده الأفخارَستيا والحياة المسيحيّة، *L'Eucharistie et la vie chrétienne,*V. Palmé, Paris, 1865 والذي نستشهد من ترجمته الإنكليزيّة الفصل العاشر، الأفخارَسْتِيَا وحياة العائلة (Eucharist and Family Life) في F.-A. ROULLET DE LA BOUILLERIE, *The Eucharist and the Christian Life*, R. Washbourne, London, 1885, pp. 198-217.

[١٧٨] را. المرجع نفسه، ص. ١٩٨، الأسطر من ترجمتي بالعربيّة عن الإنكليزيّة.

[١٧٩] را. المرجع نفسه، ص. ١٩٩-٢٠٠.

[١٨٠] را. المرجع نفسه، ص. ٢٠٠-٢٠١.

[١٨١] را. المرجع نفسه، ص. ٢٠١-٢٠٣.

بأهميّة الآخر والتواصل الدائم معه من أجل إعطاء الحياة وبنائها.[١٨٢] المحبّة لا تضمن مساواة سطحيّة تمحي الاختلافات والتنوّع، بل مساواة الكرامة الشخصيّة في اختلافها وفي دعوتها الفريدة إلى عطيّة الذات على صورة خالقها. المحبّة تضمن السير معًا من المصدر المشترك إلى الغاية المشتركة، ألا وهما الثالوث الأقدس.[١٨٣] إنّ الأفخارَستيا، التي هي محبّة المسيح وحضوره في كنيسته، وبالتّالي سرّ الشركة الثالوثيّة المعطاة في جسد المسيح، تثبّت الزوجيْن في هذا الدرب الذي يأتي من الله ويذهب نحوه. وإذا كان هذا الأمر صحيحًا في العلاقة الزوجيّة، يكون صحيحًا أيضًا في كل علاقة عائليّة (الوالد[ة]-الابن[ة]، بين الإخوة) دون عزل علاقة عن أخرى.[١٨٤] إنّ المحبّة المستقاة من الأفخارَستيا، كمدخل إلى حياة الثالوث الأقدس وعمله وحضوره في تاريخ كل إنسان، تثبّت كل شخص في هُوِيَّته ودعوته الأصليّة إلى الحبّ الزوجي والأبويّ والبَنَويّ والأخَويّ.

وعمل المسيح الأفخارَسْتيّ هذا يطول بشكل خاصّ العواطف العائليّة.[١٨٥] يعتبر دو لا بويّري أنّه لا يمكن العواطف العائليّة أن تكتفي بذاتها. ففي هشاشتها، تنغمس في أحداث الحياة وهي مرتبطة بالنواقص، ولذلك تحتاج إلى قوّة من العلاء، أي الأفخارستيّة لسندها. فالقربان يرفع العواطف إلى ما فوق الطبيعة ليخلّصها من الفساد.[١٨٦]

ولكن، إذا كان صحيحًا بالنسبة إلى معاون أسقف بوردو أن الوَحْدة تأتي من الحضور الإلهي في وسط العائلة (شيكينا)، تبقى تلك الأخيرة معرّضة لخطر الانقسام بقدر ما يبتعد أعضاؤها عن الأفخارَسْتِيَا. وعلى

---

[1] Cf: H. KELLER, "The Interpersonal Communion of the Trinity, Origin and Aim of the Communion between Man and Woman", in G. MARENGO – B. OGNIBENI (a cura di), *Dialoghi sul Mistero Nuziale. Studi offerti al Cardinale Angelo Scola,* Lateran University Press, Roma 2003, pp. 115-129.

[١٨٣] را. المرجع نفسه، ص. ١٢٩.

[١٨٤] المقصود عدم إمكانيّة عزل علاقة الأب بابنه عن علاقة الأب بزوجته، ولا علاقة الإخوة عن علاقتهم بوالديهم.

[١٨٥] بالرغم من إمكانيّة ضبط العواطف بالعقل والإرادة، يبقى للشعور دور رئيسي في نشاط هاتين الملكتين وقيادتها. تحدّث عن هذا الأمر أرسطو في مؤلّفه عن النفس *Peri Psychês* حيث اعتبر أنّ العواطف (*pathê*) هي مفاهيم مجسّدة (*logei enuloi*)؛

(را. M. GRABBE, "Aristotle on the Metaphysics of Emotions", in *apeiron* 49/1[2016], 33-56.)؛

وفي مؤلّفه الأخلاق النيقوماقيّة، الكتاب ٩، يعتبر دور شعور الحب وعلاقة الصداقة في المسعى نحو اكتساب الخير والفضائل؛

(را. D. KONSTAN, "Aristotle on Love and Friendship", in ΣΧΟΛΗ II/2 (2008) 208-212)؛

وتبنّاه جليًّا القدّيس توما الأكوني في خلاصته اللاهوتيّة، حيث بيّن دور الحبّ في توحيد ملكات الإنسان في الخروج من الذات ودور المحبّة في رفعها إلى غايتها الأخيرة (را. S. THOMAS AQUINAS, *Summa Theologiae*, I-II, q.22; q.28) وقدّ ثبّته أيضًا علم الأعصاب الذي بيّن دور الشعور في القيام بالقرارات والحسّ بالمسؤوليّة.

را. (A. DAMASIO, *Descartes' Error. Emotion, Reason, and the Human Brain*, Putnam, New York 1994[1].)

[1] F.-A. ROULLET DE LA BOUILLERIE, *The Eucharist and the Christian Life*, p. 205.

الرغم من ذلك، يستطتيع أعضاء العائلة الأُمَنَاء لعطيّة القربان والشاهدون على شعاع حبّه المجّاني أعادة جذب نفوس شركائهم في العائلة إليه.[١٨٧]

والأفخارَسْتِيَا ترافق العائلة حتّى في الموت. إنّها تعزّي النفس بفِقْدان أحد أعضاء عائلتها، وتحثّ على أخذ مكانه أو تأدية الخِدْمات التي كان يقدّمها. إنّ القربان يوحّد العائلة بعد الموت بمجرّد احتواء المسيح للكنسية الحاجّة والمتألّمة والممجّدة.[١٨٨]

إذًا، هكذا تبني الأفخارَسْتيةُ العائلة كجماعة المحبّة والحياة، وبالتّالي كـ"كنيسة بيتيّة"، أو على حسب تعبير الكاردينال فرنسيس أرينزي Card. Francis Arinze، "كهيكل الله القويّ" فيتغذّى فيها حبّ الله والقريب، وتُشفى الجراح، وتُغفَر الإساءات ويُطلَب غُفرانها.[189] وفي بُعدها الكنسي، تنطلق العائلة نحو الخارج: تمارس المحبّة في المجتمع؛ يتعلّم أعضاؤها عيش التضحية، ومغامرة اتّباع المسيح، والانتماء إلى عائلة الله الكبيرة:[١٩٠]

فسِرّ الأفخارَسْتِيَا يحثّ العائلة على التبشير ليس فقط في داخلها، بل في خارجها أيضًا. في الداخل، الآباءُ يبَشِّرُون للبنين والبنينُ للآباء بالكلمة المتجليّة في إعلان الإنجيل وفي كَسْر جسد المسيح. وفي إطار يعاكس عيش الإيمان الملتزم، تشكّلُ الذبيحةُ الإلهيّة بيئة نظيفة تدعم الأهل في مساعدة أبنائهم على تمييز دعوتهم.[١٩١]

أمّا في الخارج، فالعائلة التي يغذّيها القربان تُبشِّرُ عائلاتٍ أخرى. بشهادة حياتها تكون مثلًا للعائلات الشابّة، ومدرسة لتعلّم المغفرة، وسندًا للعائلات التي تعاني من أبنائها المراهقين.[192] يقول البابا فرنسيس في "فرح الحب":

"هكذا يصبح الاحتفال الأفخارَسْتيّ نداءًا مستمرًّا لكلّ شخصٍ كي "يمحتن كلّ إنسانٍ نفسه" (اقور١١: ٢٨)، يهدف إلى أن يفتح أبواب عائلته لمزيد من شركة أولئك المُهمَّشين من المجتمع، ومن ثَمَّ قَبول سرّ المحبّة الأفخارَستي حقًّا، والذي يجعل منّا جسدًا واحدًا. يجب أن لا ننسى "أنّ "صوفيّة" السِرّ لها

---

[١٨٧] را. المرجع نفسه، ص. ٢٠٧-٢٠٨.

[١٨٨] را. المرجع نفسه، ص. ٢١٣-٢١٧

[1] F. Card. ARINZE, *The Holy Eucharist: Christ's Inestimable Gift*, Our Sunday Visitor Pub, huntington Ind. 2001, 135.

[١٩٠] را. المرجع نفسه، ص. ١٣٦.

[١٩١] را. المرجع نفسه، ص. ١٣٧-١٣٩.

[1] Cardinal Francis ARINZE, *Celebrating the Holy Eucharist*, Ignatius Press, San Francisco Ca. 2006, pp. 95-97.

طابَع اجتماعيّ" [...] العائلات التي تتغذّى على الأفخارَسْتِيَا بتحضيرٍ لائق، تقوّي رغبتها في الأخوّة، وحسّها الاجتماعي، والتزاماتها تجاه المحتاجين".[١٩٣]

أخيرًا، لِجَنيِ ثمار هذا السرّ يتطلّب "تحضيرًا لائقًا به". وهذا التحضير يتحقّق في التنشئة المناسبة في الأفخارَسْتِيَا. تستحقّ تنشئة العائلة في الأفخارَستيا دراسة حقيقيّة من أجل فعاليّة هذا السرّ وإثمار نعمته في العائلة نفسها. ولكن نرغب في أن نخص بالذكر بعجالة وبصورة غير وافية **دور المؤمن في قسم التقدمة** (ما قبل النافور أو offertoire) كمَثَل عن كيف يمكن العائلة أن تشارك في الاحتفال بالذبيحة الإلهيّة أي بيسوع القربانيّ، الباذل لنفسه ومُوحّد الكثيرين في آنٍ:[١٩٤] يستطيع أعضاء العائلة تقديم ذواتهم وكل اهتماماتهم ذبائحَ روحيّة في قِسْمِ التقدمة الذي يشكّل جزءًا من القدّاس. بدل الاستمرار في التذمّر على الحالة المزرية التي قد نكون في خضمّها، يساعدنا القدّاس على تقديم ذواتنا واستعداداتنا وكل الهموم العائليّة إلى الله مع تقدمة الخبز والخمر. وهكذا تمارس العائلة الكَهَنوت المشترك بالاتّحاد مع الكاهن الخِدْمي المُحتَفِل.[١٩٥] ففي هذه التقدمة بالتّحديد، يحضر المسيح القربانيّ لمغفرة الخطايا والاتّحاد بالله وشركة الإخوة. ولكن، تتطلّب هذه التقدمة المصالحة الحقيقيّة بين المُقدِّمين (من ضمن التحضير اللّائق)، لذلك تفرض الوَحْدةَ في العائلة من أجل هذا الاستقبال.[١٩٦]

ختام

الأفخارَسْتِيَا، ذبيحة الربّ وحضوره، هي في الوقت عينه طعامٌ يلائم العائلة بسبب البعد الأسراري العلائقي الذي يطبع جسد يسوع وأجساد المؤمنين العلائقيّة. هو غذاء يفتح العائلة المسيحيّة على الأصل والغاية لتنمو فتكون ذاتها. وتعمل الأفخارَسْتِيَا في الإنسان على المستوى الشخصانيّ، أي تطول كلّ ملكاته

---

[١٩٣] البابا فرنسيس، إرشاد رسولي ما بعد السينودس حول الحبّ في العائلة، **فرح الحبّ**، تعريب، منشورات اللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام والمركز الكاثوليكي للإعلام، جلّ الدّيب، ٢٠١٦، عدد ١٨٦.

[١٩٤] بالطبع، لا يمكن اختزال المشاركة العائليّة في القدّاس فقط في قسم التقدمة، ولكن هذه المشاركة يمكنها أن تكون نموذجًا للمشاركة في الأقسام الأخرى التي تسبقها (قسم الكلمة) والتي تلحقها (قسم القربان).

[1] M. McGuckian, *The Holy Sacrifice of the Mass: A Search for an Acceptable Notion of Sacrifice*, Gracewing Publishing, Herefordshire and Hillenbran Books, Chicago IL 2005.

يسلّط ماكغيكيان في أطروحته الضوءَ على ضرورة إعادة اكتشاف التقدمة من الشعب كأحد الأفعال الأساسيّة الثلاثة للذبيحة الإلهيّة إلى جانب الوساطة الكَهَنوتيّة والمناولة. راجع ص. ٥٦-٧٧. في جزء التقدمة، تتبيّن ميزة الكَهَنوت المشترك (ص. ٧٤-٧٥) في مقابل ميزة الكَهَنوت الخِدْميّ ومعه في جزء الوساطة الكهنوتيّة. على حسب البابا يوحنّا بولس الثاني، يقدّم المؤمنون مع الكاهن ذبائح روحيّة ممثّلة بتقدمة الخبز والخمر. (را. رسالة عشاء الأحد ١٩٨٠، ٩)

[1] M. McGuckian, *The Holy Sacrifice of the Mass...*, cit. pp. 56-57, 61

الفكريّة والإراديّة والعاطفيّة والمادّيّة فتوحّدها من أجل علاقة الحبّ وشركة الله والإنسان الآخر. تساعده على تحقيق ذاته في هذه الشركة بدعمه في قَبول الاختلاف في الآخر واستشفاف دعوة الالتزام به والاعتناء بالفائض الذي أثمره هذا الالتزام. يتحقّق هذا الأمر، لأنّ المسيح نفسه المرسل من الآب دعم اختلاف تلاميذه والتزم بهم حتّى الصليب فعاد واستقبل حياةً جديدة في جسده القائم أخصبت تلاميذه بروح العنصرة، وجعلت جسده قادرًا على استقبال الكثيرين في منازل أبيه.

تحتاج العائلة إلى تنشئة لتتمكّن من الإفادة بقدر الإمكان من الغذاء القربانيّ، فتصبح المحبّة الإلهيّة محرّكة العلاقات العائليّة ومنظّمة لها ومنمّية لفضائلها كالكرم والاستقبال والعناية والخدمة، فتصبح منفتحة على الحياة من داخل العائلة ومن خارجها. بعد التأكيد على أولويّة شكل الذبيحة للأفخارَسْتِيَا، يمكننا استكمال بحثٍ لاحق في ما نقص من هذا المقال:

1. التعمّق في أوجه يسوع الأفخارَسْتِيّ العائليّة. يسوع كابن، وكأخ، وكعريس، وكأب، الأوجه التي تسمح لكل عضْوٍ بأن يحقّق دوره في عائلته.
2. الدخول في الاختبارات العائليّة المبنيّة على الجسد كالولادات والنموّ والأعياد والمائدة والمرض والفشل والخيانة والغفران والموت وكيفيّة اكتمالها في الأفخارَسْتِيَا التي تعطيها المعنى والملء.
3. وفي هذا السياق دراسة الناحية الروائيّة للاحتفال الأفخارَسْتِيّ والتي بها وبالقراءات التي نسمعها طول السنة الطقسيّة نستشفّ أسرار مراحل حياة يسوع فتسمح لكل أعضاء العائلة بأن يبنوا قصّة حياتهم في ضوء هذه الرواية المقدّسة. ما معنى ميلاد يسوع، حياته العلنيّة والتبشير بالكلمة، الشعانين، الجتسماني، الموت والقيامة والصعود والعنصرة ومجيئه الثاني للشخص العائليّ؟
4. التوسّع في كل قسم من القدّاس الإلهي للبحث عن كيفيّة عيش الأفخارَسْتِيَا بصورة أفضل تلائم حاجات الأشخاص وهمومهم في خضمّ حياتهم العائليّة-الإرساليّة، وتساعدهم على تحقيق ذواتهم في دعم جماعتهم التي تأوي الحبّ وتنمّي الحياة.

إنّها نقاط مرتبط بعضها ببعض ضمنيًّا تؤكّد على دعوة الأفخارَسْتِيَا إلى التوسّط للعائلة المسيحيّة لتصبح خير شهادة على تألّق الحبّ الثالوثي وفيض حياته وقوّة وَحْدَته.

شتّان بين «تقدمة القرابين» و«أبونا، شو بْيِتْوَجَّبْ علَيْنَا؟»

الخوري بيار جبّور

يختصر المجمع الفاتيكاني الثاني عصورًا من الفكر اللاهوتي ويميّز الكَهَنوت العام من الكَهَنوت الوظيفِيّ أو الخِدَمِيّ: فالأول كناية عن عطيّة ينالها المعمّدون في حوض العماد، بالولادة الجديدة والميرون، وإنّ طابعه عضويّ لأنّه اشتراك في جسد المسيح السرّي، والثاني له طابعٌ وظيفيّ، يُختصر في بعض أعضاء توكل إليهم خدمة الرعاية والقيادة في الجماعة الكنسية. وكلا الكَهَنوتين اشتراك في كَهَنوت المسيح الوحيد والفريد، وفي خدمته ورعاية شعب الله. فكيف يشترك العلمانيّ في كَهَنوت المسيح؟ وكيف يحقّق في حياته الكَهَنوت العام؟

إن الإجابة على هذا السؤال والإحاطة الوافية به تفترضان معالجة موضوع الكَهَنوت العام من كافة جوانبه، ولكن، في هذه المقالة، لسنا في هذا الصدد لضيق المجال. فلأنّه يتعذّر علينا التوسّع في الجواب، اخترنا حصره في الإضاءة على علاقة ممارسة الكَهَنوت العام بتقدمة القرابين وبـ«جمع الصِّينِيَّة» وبـ«حسنة القدّاس». وللإضاءة على هذه العلاقة، لا بدّ من التقصّي عن ماهيّة التقدمة وجذورها، في التقليد الكتابيّ، قبل الشروع في معالجة تطوّر أشكال المشاركة وتنوّعها في التقليد الكنسي. وبعد النظر إلى هذين التقليدين، نحاول استخلاص بعض العبر للممارسة الرعويّة في كنيستنا المارونيّة في لبنان.

الأسس الكتابيّة في لمحةٍ سريعة

تعبّر إحدى صلوات الرِّسامة الكَهَنوتية على حسب الليتورجيا المارونية عن الكَهَنوت العام وتصفه بالكَهَنوت «الآدميّ» وتربطه بالعبادة:

*أيُّها الإلهُ القُدُّوسُ! يا أبا الحقّ! يا مَنْ تُفيضُ منكَ القداسةُ على البشر! أنتَ ربٌّ، **جَبَلْتَ مِنَ البَدْءِ آدَمَ** بِمَراحِمَكَ، وصوَّرْتَهُ على مِثالِكَ، وزيَّنْتَهُ بِكُلِّ المحاسِن، وجَعَلْتَ فيه نَسَمَةَ الحياة، **وأسكَنْتَهُ في عدنٍ،** لِيكونَ كَنّارةً تتَرَنَّمُ بِمَجدِكَ. ألبَستَهُ المجدَ ليكونَ **حَبْرًا عظيمًا، وكاهِنًا نقيًّا لِخدمةِ ألوهَتِكَ، وخادِمًا لأسرارِكَ.***

ولمَّا زَلَّ وسَقَطَ بتجاوُزِهِ أمرَك، فأخلاهُ مجدُكَ، وتغَرَّبَ عن خدمَتِهِ الأوليّة حَنوتَ عليه، فأرسَلْتَ ابنَكَ الحبيبَ مِثالَ أزليَّتِكَ، وصورةَ عظَمَتِكَ، فانحَدَرَ بمشيئَتِهِ الصالحة، وذاقَ الموتَ لأجلِهِ في الجسدِ الذي لَبِسَهُ من البتول، وخَلَّصَهُ من جَهلِهِ ***وأعادَهُ إلى مكانِهِ الأوّل*** *...*[197]

خلق الله آدم، أيِ الإنسانَ، وأسكنه عدن جاعلًا منه حبرًا وكاهنًا وخادمًا يقدِّم له فروض العبادة؛ وعلى الرغم من زلّة الإنسان، لم يشإ الله أن تنتهي الوظيفة الكَهَنوتية «الآدميّة»، فأرسل ابنه ليخلّص الإنسان وليعيد للكاهن آدم مكانته الأولى.[198]

على الرغم من أن الصلاة المذكورة أعلاه تُطلِق لقب الكاهن على آدم، لا نجد في الكتاب المقدس أيَّ ذكر لذبيحة عَيْنِيَّة أو مادّية قدّمها آدم. غير أن الفصل الرابع من سفر التكوين يذكر قايين وهابيل ابنَيْ آدم الأوّلينِ اللّذَين اضطلعا بوظيفة كَهَنوتية «آدميّة». فقد قدَّم الأوّل تقدمة من ثمار الأرض وقدّم الثاني تقدمة من أبكار الغنم ليشكرا لله عطاياه. مع توالي صفحات العهد القديم، يتبع هذه التقدمة تقادِمُ أخرى على يد نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ وهؤلاء لم يكونوا كهنة على رتبة ملكيصادق. فيما بعد، مع موسى والشريعة، انتظمت العبادة وتنوّعت ضروب الذبائح والتقدمات (را أح ١-٧) وتأسّس الكَهَنوت اللاويّ. ومع تأسيسه، كان لا بدّ من تأمين معيشة مَن كُلِّفَ حصرًا بخدمة العبادة ولم يُعطَ ميراثًا، فكان أن مُنِحَ اللاويون حِصَّةً من التَّقادِمِ والذبائح التي يقدّمونها عن الشعب وباسمه (را أح ١٠ / ١٢-١٥). وعليه، قبل أن يتأسّس الكَهَنوت الوظيفيّ اللاويّ، وُجِدَ كَهَنوت «آدميّ» يعبّر عن ارتباط المخلوق بخالقه.

في العهد الجديد، جدّد يسوع المسيح المؤسّسة الكَهَنوتيّة وأعطى كنيسته كَهَنوتًا جديدًا.[199] فأخذ المسيحيّون الأوائل يجتمعون فيما بينهم من أجل الاستماع إلى تعليم الرسل، والمشاركة وكسر الخبز والصلوات (أع ٢، ٤٢). فإذا ما اختصّ الرسل وخلفاؤهم بكسر الخبز ورئاسة الصلوات والتعليم، اختصّ المؤمنون الآخرون برفع الصلوات والمشاركة ممارسين بذلك كَهَنوتهم العام وكَهَنوتهم «الآدميّ». تعدّدَت أشكال المشاركة هذه على حسب كتب العهد الجديد، فتارة مشاركة ماليّة وُضِعَتْ في تصرّف الرسل (را أع / ٣٢-٣٧ و٢ قور ٨ / ١-١٥) يصار إلى توزيعها، وتارة أخرى مشاركة عَيْنِيَّة إذ كان يأتي كلّ على حسب قدرته بما تيسّر له إلى الاجتماع ويشترك الجميع، أغنياء أم فقراء، بالوليمة البشرية والأَفْخَارَسْتِيَا (را ١ قور ١١/ ١٧-٢٢). وعليه،

---

[197] الليتورجيا المارونية، رسامة الكاهن.

[198] راجع كتاب القداس الماروني، نافور مار يعقوب أخي الرب، صلاة ما قبل القدّوس.

[199] راجع الفرض الماروني، زمن الدنح، صلاة ختام مساء الخميس.

أثناء الاحتفال الأَفْخَارَسْتِي، انتظم المؤمنون بترتيب يسمح لهم بأن يمارسوا، كلّ على حسب ما وُهِبَ له، الوظيفة الكَهَنوتيّة «الآدميّة» والمسيحيّة: أصحاب الكَهَنوت الوظيفيّ يواصلون عمل يسوع المسيح الرأس في وسط الجماعة، وأصحاب الكَهَنوت العام يصغون ويشاركون بفعاليّة ويتشاركون في الخيرات.

في التقليد الكَنَسيّ

بعد هذه الإضاءة السريعة على جذور التقدمة العينيّة والمادّية، ينبغي لنا أن نضيء على تطوّرها في التقليد الكنسيّ. تعتبر شهادة القديس يوستينوس الشهيد من أقدم الشهادات المسيحيّة التي تمكّننا من تَعرُّف ليتورجيّة الكنيسة الناشئة: «يحضرون الخبز والماء والنبيذ. ويعلّق جونغمان قائلًا: لم تُربط هذه الحركة بأي عبارة ولا حتى برمزيّةٍ ما». فما يلفت النظر إلى هذه الشهادة هو عدم التشديد على ذكر التقدمة، وعلى حسب جونغمان،

يرتبط هذا الغياب بمحاذرة صارمة، أثناء القرنين الأوّلين، في وجه طقوس الذبائح اليونانية واليهودية، توخّت عَبْرَها الكنيسة الناشئة إظهار البعد الروحي للعبادة المسيحية. [...]

ولكن، اعتبارًا من نهاية القرن الثاني، ظَهَر توجّه يهدف إلى تليين موقف الحذر. ففي وجه التقليل المتنامي من شأن المادّة الناجم عن النظرة الغنوصيّة الهلّينية، ظهرت الحاجة إلى التشديد على قيمة البريّة الارضيّة، حتّى في العبادة. فلم يعد البعد الماديّ للذبيحة الوثنيّة العدوَّ المخشيَّ، بل البعد الروحيّ لتعليم صَبْغَتُهُ مسيحية[٢٠٠]

تَبَدَّلَ المشهد مع تَبَدُّلِ الإطار الفكريّ والتاريخيّ، ومن الرغبة في التشديد على البعد الروحيّ للإيمان المسيحي، ظهرت الحاجة إلى التشديد على إكرام المادة التي خلقها الله. هذا ما أدى إلى تطوّر أشكال الاحتفال بالتَّقادِم أثناء الاحتفال الأفْخَارَسْتِيّ، فتعدّدت أصناف التقدمة وضروب إكرامها. فمن قراءة *القوانين*

---

2 « Cette absence tient à la stricte réserve avec laquelle, au cours des deux premiers siècles, en face des rites sacrificiels des Gentils et des Juifs, l'Église naissante fait ressortir le caractère spirituel du culte chrétien. [...] Mais, à partir de la fin du second siècle il se manifeste une tendance à assouplir cette attitude de stricte réserve. On éprouve le besoin, face au mépris pour la matière [,] manifesté par la gnose hellénistique en plein essor, d'insister, jusque dans le culte, sur la valeur de la création terrestre. L'adversaire à redouter n'est plus le matérialisme du sacrifice païen, mais le spiritualisme d'une doctrine teintée de christianisme. » Joseph-André JUNGMANN, *Missarum sollemnia ...* p. 272.

الرسولية، تُستَشَفُّ ممارسات كنيسة أنطاكية في القرن الرابع، إذ نقرأ في الكتاب الثامن، الفصل ال ٤٧، ١-٣ ما يأتي:

إذا كان الأسقف أو الكاهن قدَّم إلى هيكل الله، خلافًا لأمر الرب، بدل الذبيحة شيئًا آخر، مثل العسل أو اللبن، وبدل الخمر مسكرًا، أو طيورًا أو حيوانات، أو بقولًا خلَافا لأمر الرب، فليُعزَل.

في الوقت المناسب – ما عدا بواكير الحنطة والعنب، والزيت للمِصْباح، والبخور عند إقامة الذبيحة الإلهية – لا يجوز تقدمة شيء آخر إلى الهيكل.

كل البواكير تُرسل إلى بيت الأسقف والكهنة وليس إلى الهيكل. وكما أن الاسقف والكهنة يأخذون حصّتهم، كذلك الشمامسة وسائر الإكليروس![201]

بتعبيرٍ آخر، في القرن الرابع، وفي كنيسة أنطاكية، كان المؤمنون يُحضرون كافة الأصناف المذكورة أعلاه للاحتفال. وإذ لم تكن هذه التقدمات حصرًا لَوَازِمَ للعبادة بل تتخطّاها لتكون عطايا تُمنَحُ أصحاب الكَهَنوت الوظيفيّ. ولكيلا تكون هذه التقدمات مادّية الطابع والمعنى،

وضعت تدريجيًا مساهمات المسيحيين الممنوحة منذ القدم لخدمة حاجات الكنيسة والفقراء في علاقة وثيقة بالاحتفال بالأَفْخَارَسْتِيَا. ويسهل استنتاج هذه العلاقة إذ قد اعتدنا دائمًا على تسمية العطايا للكنيسة وللفقراء كتقدمة للرب وحتّى كتضحية![202]

فإن ساهم المؤمن في معيشة الكاهن أو قدّم لوازم للعبادة أو حتّى مساعدة للفقراء، فإنّه، في الواقع، يشكر الله، يُعطيه ويُقرِضه (را أيضًا أم ١٩ / ١٧). وعلى حسب كتاب *عهد الرب*، الكتاب الأول، الفصل ال ١٩، في أنطاكية، حفظت الهندسة الكنسيّة مكانًا للتقادم يخدم الغايات المذكورة أعلاه، إذ يُذكر:

بيت الشمامسة (ܒܝܬ ܕܝܩ̈ܘܢܐ) القائم عن يمين المدخل من اليمين، حيث توضع التقدمات (ܦܪ̈ܘܣܦܘܪܐ). من هناك، تُنتقَى [وتُنقل] القرابين وقت النافور.[203]

---

[201] القوانين الرسولية (٣٨٠)، تعريب الاب جورج نصّور، "سلسلة النصوص الليتورجية، ٦"، الكسليك، ٢٠٠٦، ص. ٤٢٨.

[2] « Les contributions fournies depuis toujours par les chrétiens pour les besoins de l'Église et pour les pauvres furent graduellement mises en relation plus étroite avec la célébration de l'Eucharistie. Relation d'autant plus facile à réaliser qu'on avait toujours eu l'habitude de désigner les dons faits pour l'Église et pour les pauvres comme une offrande faite à Dieu et même comme un sacrifice. » Joseph-André JUNGMANN, *Missarum sollemnia : …* p. 273.

فإذا كان بيت الشمامسة يستقبل كل أنواع التَّقادِم ليُنتقى منها ما هو ضروريّ ومناسب للاحتفال، فمن الطبيعي الاستنتاج أن ما كان يوضع في هذا الموضع كان يزيد عن حاجات العبادة، وكان على الأرجح يُوزَّع على حسب الغايات المذكورة أعلاه.

ولحظت الليتورجيّات القديمة زيّاحًا مهيبًا للتقدمة، نجد تعبيرًا موجزًا عنه عند ديونيسيوس المنحول، *الهرميّة الكنسيّة*، الفصل الثالث، [٢٠٤]وهذا الزيّاح هو ما تشهد عليه الليتورجيا البيزنطية تحت مسمّى «الدورة الكبرى» والليتورجيا المارونية تحت مسمّى «ما قبل النافور».

بهذه اللمحة السريعة عن تقليد الكنيسة في أنطاكيا في القرون الأولى، نستنتج أنّ المؤمنين كانوا يشتركون بفعاليّة في حياة الكنيسة وكانوا يؤدّون وظيفتهم الكَهَنوتيّة «الآدميّة» تحت مندرجات عدّة سواء أكان من ناحية مساهمتهم في تأمين التَّقادِم، أم من ناحية الاحتفال بها في الاحتفال الأَفْخَارَسْتِيّ.

أثناء القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ومع الوقت، تبدّلت طريقة المشاركة هذه، وخَفَتَ دور أصحاب الكَهَنوت العام في حمل القرابين وتقدمتها أثناء الاحتفال – ما خلا القليل من المناسبات – وأُنِيطَت المهِمَّةُ هذه بأصحاب الدرجات والكَهَنوت الوظيفيّ. «وإذ كان قد تمّ تأمين الخبز والخمر بوسائل أخرى، احتلّت الناحية الاقتصادية والمساهمة في معيشة الإكليروس مكان الصدارة في تطواف تقدمة القرابين»[٢٠٥].

إذًا، في بداية الألف الثاني، أخذت المشاركة شكلًا جديدًا إذ استُعيض، على القليل في التقليد الغربيّ، عن التقدمة العَيْنِيَّة بتقدمة ماديّة كتقدمات الذهب أو الفضّة. وميّز حينها إيمانويل دوراند بين العطيّة *donum* والذبيحة *sacrificium* : الذبيحة هي كل ما يختص بالتقديس. أمّا العطية، فهي كل عطيّةٍ من ذهب أو فضة أو أيّ شيء آخَر[٢٠٦]. كنتيجة منطقيّة لهذا التغيير، أخذ الربط بين العطيّة والاشتراك في ثمار الذبيحة

---

٢٠٣ ܒܝܬܐ ܕܝܢ ܕܡܫܡܫܢ̈ܐ ܢܗܘܐ ܡܢ ܝܡܝܢܐ ܕܗܝܟܠܐ ܗܘ ܕܝܡܝܢܐ ܠܘܬ ܗܝ، ܕܢܬܚܙܝܢ ܐܘܟܪ̈ܣܛܝܐ ܘܩܘܪܒܢܬܐ ܩܘܪ̈ܒܢܐ ܗܠܝܢ ܕܡܬܩܪܒܝܢ.

Ignatius RAHMANI, *Testamentum Domini Nostri Jesu Christi*, Moguntiae, Sumptibus F. Kirchheim, 1899, p. 22. Cf. aussi Joseph-André JUNGMANN, *Missarum sollemnia* ... p. 275.

2 DENYS L'AREOPAGITE, *Traité de la Hiérarchie Ecclésiastique*, trad. de Maurice de Gandillac disponible sur http://livres-mystiques.com/partieTEXTES/Lareopagite/Ecclesiastiq.htm#_Toc75170656.

2 « À la matière du pain et du vin, il a été pourvu d'avance par d'autres moyens ; ce qui prend la première place à la procession d'offertoire, c'est la prestation économique, la contribution à l'entretien du clergé. » Joseph-André JUNGMANN, *Missarum sollemnia* ... p. 285.

2 Cf. Joseph-André JUNGMANN, *Missarum sollemnia* ... p. 285, note 70.

بالتلاشي، أي جاز لمن يدفع المال طلب تقدمة ذبيحة في مقابل مبلغ ماليّ دُفِعَ مسبقًا حتّى ولو لم يشترك في الذبيحة التي دَفَعَ لأجلها.[٢٠٧]

في الخلاصة، وانطلاقًا من علاقة المخلوق بالخالق، انطلق الكَهَنوت «الآدميّ» وتطوّر حتى صار التمييز بين نوعين من الكهنة: كهنة من حيث الوظيفة، اللاويّون وبعدهم أصحاب الكَهَنوت الوظيفيّ، وكهنة من حيث الوجود، «الآدميّون» أو أصحاب الكَهَنوت العام. هذان النوعان من الكهنة يعبدان الله الخالق ويشكرانه على عطاياه. وهذان النوعان من الكهنة مرتبطان أحدهما بالآخر وجوديًا وجدليًا ؛ إذ قد اختصّ الكَهَنوت الوظيفي بأن يَخدُم، والكَهَنوت العام بأن يُخدَم.[٢٠٨] وإذ كان من الطبيعي أنّ تتأمّن احتياجات مَن امتهن الخدمة من مَخدوميه ومن عطاياهم نظير حصص كانت تقتطع من التَّقادِم والمشاركات التي كانت في غالبًا عَيْنِيَّة في القرون الأولى، بمرور الزمن، تبدّل المشهد وصارت المشاركات العَيْنِيَّة الاستثناء، وباتت التَّقادِم الماديّة هي القاعدة.

بمعنىً آخر، لمّا كان الغرض من المشاركات والتَّقادِم تأمين لوازم العبادة وحاجات ممتهني الخدمة والمحتاجين، ولمّا تأمّنت لوازم العبادة من موارد الكنائس أو الرَّهْبانيّات، انتفت الحاجة إلى التَّقادِم العَيْنِيَّة وصارت حاجةٌ إلى التَّقادِم المادّية بغية تأمين تمويل الكنائس وخدّامها والفقراء. هذا ما أدّى إلى ظهور الأماكن المخصّصة لجمع التبرّعات أو لقَبول التَّقادِم المادّية.

ولمّا اعتُبِرَت التَّقادِم والمشاركات، على تنوّع أشكالها وتنوّع المستفيدين منها، ذبائحَ موجّهة إلى الخالق، اختلف الأمر مع مطلع الألف الثاني، ومع تنامي أشكال العطايا الماديّة على حساب العطايا العَيْنِيَّة، فأخذ الربط بين التقدمة والمال في التلاشي. فبدل أن يقوم المؤمنون بحمل القرابين أثناء رتبة التقدمة، في بدء الصلاة القربانيّة، أي كجزءٍ من القرابين التي أَتَوْا بها قبل القداس، أضحَوْا يضعون مبلغًا من المال في الصِّينِيَّة أو في موضع آخر مخصّص لهذا الغرض. وبدل أن يقدّموا بأنفسهم لِمَن يخدمهم ما يسدّ به حاجته وحاجة الآخرين، أضحَوْا يضعون لهم مظروفًا من المال، من غير أن يعتبروا أنفسهم مشاركين فاعلين في

---

207 Cf. Joseph-André JUNGMANN, *Missarum sollemnia* …, p. 296.

٢٠٨ مع الحفاظ على دور مهمّ للكَهَنوت العام في الاحتفال الليتورجيّ، على سبيل المثال لا الحصر.

الذبيحة، ومن دون أيّ حرارة إنسانية وأخويّة، بل من دون أن يشاركوا أحيانًا حتّى في الذبيحة أو في فعل التناوُل[209].

تطوّر مفهوم التَّقادِم في الممارسة الرعويّة

صحيحٌ أن الأزمة الصحّية التي لا نزال نمرّ بها حدّت احتفاليّة نقل القرابين وزيّاحها، غير أنّ هذه اللحظة الليتورجيّة هي من أفضل اللحظات والحركات التي تَسمح لصاحب الكَهَنوت العام بممارسة كَهَنوته. ففي قدّاسات الأحد في القليل، ولا سيّما في القدّاسات الاحتفاليّة، يُستحسَن أن يُعاد التركيز في زيّاح نقل القرابين وتفعيل اشتراك أكبر عدد ممكن فيه من المشاركين في القدّاس وإضفاء الكثير من الأبّهة عليه.

إنَّ «جمع الصِّينِيَّة» في رعايانا ليس جباية ضريبية على أرباح المشاركين في القدّاس. ففي ضوء ما تقدّم، غايتها الأوّلية التعبير عن العلاقة بالله؛ وبعد سلوكها طريق المذبح، تخدم الأموال المجموعة غاياتٍ ثلاثًا: لوازم العبادة، وحاجات الكاهن والخدّام المعاونين، وحاجات الفقراء. يُستحسَن أن يُعاد النظر في كيفية وتوقيت «جمع الصِّينِيَّة». وإذا ما قُدِّر لنا أن نقترح طريقة لها تُراعي ما تقدّم، فإنّنا نقترح أن تصير بعد تلاوة قانون الإيمان وقبل زيّاح القرابين تُرفِقها ترتيلة أو موسيقى تسمح للمؤمن في التفكير بعمله البالغ الأهمّية. بعد الانتهاء من جمعها، تُقدَّم الصواني المجموعة مع القرابين المختارة للتناول أثناء زيّاح تقدمة القرابين. وكما أنّه يُمكِن، لا بل يُستحَبّ، أن يُعهَد بـ«جمع الصِّينِيَّة» إلى أيّ مشارك في القداس كونها من أشكال مشاركة أصحاب الكَهَنوت العام.

---

[209] في ضوء التقليد الكنسي، تبقى الحسنة التي يمنحها المؤمنون في القليل تقدمة لله، كالخبز والخمر، موقوفة تلقائيًا لذبيحة العهد الجديد. فالكاهن يقبلها مع إلزامية الاحتفال بالذبيحة لأجل العاطي (الواهب)، مع أحقّية استعمال ما يتبقّى، بعد حسم تكاليف الاحتفال، في خدمة استمراريّة حياته. أما في ما يختصّ بالمؤمنين، واعين لحالتهم الكَهَنوتية بفضل المعمودية والتثبيت، عليهم، بقدر المستطاع، ألّا يعتبروا دفع الحسنة إلّا كبداية المشاركة في القداس؛ هكذا فعل مسيحيو الزمن القديم إذ لم يكونوا ليكتفوا بحمل التقدمة إلى المذبح فقط، بل كانوا يتابعون الاحتفال حتى النهاية ويوهبون في مقابل تقدمتهم جسد الرب.

« Considéré à la lumière de la tradition ecclésiastique, tout au moins l’honoraire offert par les fidèles demeure toujours une offrande faite à Dieu et, comme le pain et le vin, ordonnée immédiatement au sacrifice de la nouvelle alliance. Le prêtre la reçoit avec l’obligation (*ratione rei detentae*) de célébrer le sacrifice au profit du donateur, et avec le droit, une fois couverts les frais que peut entraîner la cérémonie, d’employer le reste à sa propre subsistance. Quant aux fidèles, ils devraient, conscients du sacerdoce qui est devenu le leur en vertu du Baptême et de la Confirmation, ne considérer aussi, autant que possible, la remise de l’honoraire que comme un commencement de participation à leur messe ; ainsi faisaient les chrétiens de l’ancien temps, qui ne se contentaient pas de porter leur offrande à l’autel, mais suivaient la célébration jusqu’au bout et recevaient en contrepartie le don du corps du Seigneur. » Joseph-André JUNGMANN, *Missarum sollemnia* ... p. 297-298.

من ناحية أخرى، لا يُمكن حصر استعمال الأموال المجموعة من قبل المشاركين في القدّاسات في أيّ غاية لا تُراعي ما تقدّم. فإذا كان السهر على حسن استعمال الأموال من مهامّ لجان الأوقاف، لا يُمكِن، بأيّ ذريعة، أن يُتنكَّر لأيّ من الغايات الثلاث المذكورة أعلاه. فالأَولى أن تُستعمَل المبالغ المجموعة في القدّاسات في خدمة الفقراء أو في خدمة الرسالة أو حتّى في عملِ رحمَةٍ معيّن على أن تذهب إلى المصرف لتدخل في غيبوبة قد لا تصحو منها، إن بسبب ما وصلنا إليه اقتصاديًا، أو استجابة لاستنسابيّة بعض مَن هم في لجان الأوقاف.

أمّا «حسنة القدّاس»، فهي ليست تسديدًا لحسابٍ أو سدَادًا لفاتورة معيّنة؛ من أغرب ما اختبرناه أثناء خدمتنا الرعوية، أن توجّه إلينا أحدهم، بعد انتهاء القداس على النيّة التي أراد الاحتفال بها، «أبونا، شو بْيِتْوَجَّبْ علينا؟». فهذا المنطق الاقتصادي بعيد كل البعد عن معنى «حسنة القدّاس» التي هي شكل من أشكال التقدمات لمن اختَصَّ بالخدمة كما سبق وتقدّم. فالحسنة ليست أجرًا بل عطيّة، توجّه إلى الله، تتبارك بمرورها بالمذبح، وتعود إلى الكاهن فتسدّ احتياجاته وتُلزِمُهُ بعمل الرحمة تجاه مَن هم أقل حظوة في الحياة.

إنّ طلب شخص ما الاحتفال بنيّة معيّنة ينبغي له أن يكون فرصة لخادم الرعيّة للتعليم وليس عملًا اقتصاديًا قُحًا. فالكثيرون من أبناء رعايانا يأتون إلى القدّاس في مناسبات معيّنة، كمناسبة جنّاز أو مناسبة فرحة. فليهتمَّ الكاهن بأن يحث طالب النيّة على الاشتراك الكامل والفاعل في القدّاس، وتحديدًا بالتناول! وإذا ما كان هناك من داعٍ، فبالاشتراك المسبق في سرّ التوبة. فالاحتفال بالقداس على نيّة معيّنة، والذي لا يتضمّن مناولة ومشاركة من يدفع الحسنة وعائلته، أو الذي يتمّ بغياب مَن قد سبق له أن دفع الحسنة، معرّضٌ لأن يُسيء مَن يَدفَعُ فهمَه. فكل فصل للدفع عن المشاركة يُلبِس الاحتفال معنىً ماديًا وينزع منه معناه الاوّل: فالكاهن العام يشترك في القدّاس وفي الذبيحة الإلهيّة غير الدمويّة التي يقدّمها الأسقف والكهنة وَفْقَ وظيفتهم الكَهَنوتية، وتحتفل بها الكنيسة مجتمعة حول أسرار الرب، ولا يدفع ثمن القدّاس الذي يحتفل به أحدٌ ما آخَرُ. فكيف يُقدِّم إذا ما تغيّب؟ وكيف يشترك إذا ما اكتفى بالعمليّة المحاسبيّة فقط؟

الاحتفال الأفخارَستيّ بالقربانة الأولى

الخوري شوقي كرم

لمحة تاريخيّة

تشهد صفحات الإنجيل على المكانة الّتي خصّ بها يسوع الأطفال. أحبّهم و"كانت مسراته أن يعيش في وسطهم؛ اعتاد أن يضعَ يديه عليهم ويُقبّلِهم ويُبارِكهم؛ اغتاظ عندما رأى تلاميذه يمنعونهم من الاقتراب منه، فوبّخهم بهذه الكلمات الصارمة: دَعُوا الأطفالَ يأتون إليّ ولا تَمنَعوهم! فلأمثالهم ملكوت الله" (مر ١٠، ١٣، ١٤، ١٦).[١] وقدّر يسوع الصفات الّتي يتحلّى بها الأطفال، كالتواضع والصراحة وحبّ المغامرة والثقة والتسليم بمن يُحبّهم والرغبة في المعرفة... ألخ، فدعا تلاميذه ومن سيؤمن به إلى التشبّه بهم لأجل دخول ملكوت الله (متى ١٨: ٣-٥).

على خطى المسيح، وتشبّهًا به، وعملًا بتوصياته، دأبت الكنيسة منذ نشأتها في احتضان الأطفال في رحمها، فقرّبتهم من يسوع بمنحهم سرّ المعموديّة والمشاركة في سّر الأَفْخارَسْتِيَا. وفي حين احتفظت بهذا التقليد بعضُ الكنائس الشرقيّة، دأبت الكنائس الكاثوليكيّة الأخرى بدءًا من القرن الثالث عشر في السماح لهم بالمشاركة في سّر الأَفْخارَسْتِيَا مع سنّ الوَعْيِ، أيِ ابتداءً من عمر السبع سنوات، مع تحضيرهم لفهم ما يقومون به. وثبّت هذا التقليد الجديد مجمع اللاتران المسكوني، في العام ١٢١٥، بإصدار القانون الكنسيّ الحادي والعشرين الشهير، الذي ينص بهذه المصطلحات على الاعتراف والشركة للمؤمنين الذين بلغوا سنّ الرشد، سنّ التقدير، أن يتقرّبوا من سرّ التوبة ومن ثمّ من سرّ الأَفْخارَسْتِيَا![١] وكتب القديس مار توما الأكويني في هذا الشأن قائلًا: "عندما يبدأ الأطفال باستخدام العقل بشكل يستطيعون به أن يدركوا ويكنوا الورع والتقوى لسرّ الأَفْخارَسْتِيَا، عندها يُمكننا إعطاؤه لهم (IIIa, q. 80, art. 9, ad 3).

ونجد نفس التوّجه في المجمع الروماني المنعقد برعاية البابا بيوس الثالث عشر الّذي يعلّم أن الإلزام بالمشاركة في الأَفْخارَسْتِيَا يبدأ مع بلوغ الصبيان والفتيات سنّ التمييز، أي السن التي يكونون فيها قادرين على تمييز هذا الطعام الأسراري، الّذي هو بحق جسد المسيح، من الخبز العادي، وعلى إدراك الورع والتقوى

[2] Cf. Saint Pie X, Décret Quam singulari, Sur la communion des enfants (8 août 1910).

[2] Ibid. 1 1

الضروريَّيْن للتقرّب وتناوله.[٢١٢] ويوضح التعليم المسيحي الروماني بأن الكاهن الّذي يقبل توبة هؤلاء الأولاد في سرّ التوبة هو الّذي في إمكانه أن يؤكد بلوغهم الفهم والوَعْيَ والرغبة في المشاركة في هذا السرّ.[٢١٣]

يتضح من كلّ هذه الوثائق أن سنّ تقدير الشركة في الأَفْخارَسْتِيَا هو العمر الذي يعرف فيه الولد كيف يميز الخبز الأفخارستي من الخبز العادي والأرضي، وبالتالي يمكنه الاقتراب بورع وخشوع من المذبح. لذلك، المطلوب معرفة أوليّة لأمور الأَفْخارَسْتِيَا وليس معرفة كاملة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى العقل، المطلوب هو بدء استعمال العقل وليس استخدامه كاملًا.

هذا ما يُفسّر بدء قَبول الأولاد لسرّ المصالحة وسرّ الأَفْخارَسْتِيَا ابتداء من عمر الثماني سنوات، عمر استعمال عقله والتمييز. على أن يواكب الأولادَ الأهلُ والكاهنُ ومعلّمو التعليم المسيحي على المشاركة الدورية في هذين السّرين، وعلى متابعة تنشئتهم المسيحيّة بتوفير التعليم المسيحيّ الدائم لهم، ليدخلوا تدريجيًّا في فهم كلّ العقيدة المسيحيّة ليتبنَّوْها بوَعْيٍ وحريّة ويعيشوا بموجبها.[٢١٤]

الاحتفال بالمناولة الاحتفالية الأولى في الرعيّة

يشكّل الأطفال مستقبل وحاضر الرعيّة والكنيسة. ويمكنهم، كأعضاء في جسد المسيح السّري، وبما خصّهم الله من ميزات ومواهب، أن يشاركوا في حياة ورسالة الكنيسة في الرعية والمجتمع، بنقلهم، بالقول والفعل، بُشرى الإنجيل الّتي قبلوها، وأن يساهموا بصلواتهم في عمل الخلاص وأنسنة الإنسان والعالم.[٢١٥] بهذا الوعي لمكانتهم المهمّة في قلب الكنيسة، على كاهن الرعيّة أن يؤمن لهم الرعاية الضرورية ليتفتّحوا على هذا الدور ويتأهلوا لعيشه بفرح وسخاء بخلق جماعات خاصة بهم في الرعيّة، وبالاستفادة من كلّ مناسبة تخصّهم لتعزيز وتثبيت انتمائهم إلى الرعية ومشاركتهم في حياتها ورسالتها. ولهذا، تشكّل المناولة الاحتفاليّة الأولى للأولاد فرصة لتحقيق ذلك؛ لأن سرّ الأَفْخارَسْتِيَا يقع في قلب مسيرة التنشئة المسيحيّة، ويشكّل النبع الحقيقي لحياة للكنيسة. فمن سرّ الحبّ هذا تنبع كلّ مسيرة حقيقيّة للإيمان والشركة والشهادة.[٢١٦]

---

212 Cf. Benoit XII, Concile romain, Instruction pour ceux qui doivent être admis à la Première Communion, Append. XXX, p. 11.

213 Cf. Le Catéchisme Romain, Part. II, sacr. Euch., n. 63.

214 Cf. Congrégation des Sacrements, réunie en assemblée générale, le 15 juillet 1910.

215 Cf. PAPE FRANÇOIS, *AUDIENCE GÉNÉRALE, Mercredi 5 février* 2014.

216 Cf. Ibid.

لهذا، يشكّل الاحتفال الأفخارستيّ للمناولة الأولى للأولاد يومَ فرحٍ عظيمٍ للمسيح والكنيسة، وحدثًا مُميّزًا وفريدًا للطفل نفسه ولعائلته: للمسيح، لأنّه سيستقبل هؤلاء الأطفال إلى مائدة وليمته المقدّسة ليقدّم لهم ذاته بالقربان المقدس، فيدخل إلى قلوبهم ويملأها من رحمته وحبّه ويقدّسها ويحوّلها إلى مسكن دائمٍ له، ويحوّل في طريقة وجودهم، وفي طريقة وضع نفوسهم في علاقة به وبإخوتهم؛ للكنيسة، لأنه بسرّ الأَفْخارَسْتِيَا يمكن الربّ أن يبقي حضوره حيًّا فيها، وأن يصوّر جماعاتها بالمحبة والشركة وَفْقَ قلب الآب؛[17] وبخاصة عائلة هؤلاء الأطفال الّتي هي خليّة أساسيّة مكوّنة ومشاركة في حياة ورسالة هذه الكنيسة. فبهذه المناولة الأولى، يتقوّى اتّحاد الولد بالمسيح وبكنيسته وبعائلته، فتزداد فرصه ليتغذّى من شركة المحبّة الّتي تجمعه بهم، وليساهم وَفْق مواهبه في نموّ وتعزيز هذه الشركة.

كما يُشكّل هذا الاحتفال الأفخارستي بالمناولة الأولى للأولاد في الرعيّة وليس في المدرسة أو في أيّ مكان آخر، خطوةً أساسيّة في ترسيخ انتمائهم إلى الرعيّة كأعضاء فاعلين فيها، ولتقوية رباطهم بكاهن الرعية ليستطيع مرافقتهم في مختلف مراحل نموّهم الروحيّ الإنسانيّ، ولمساعدتهم على التعرّف إلى باقي أطفال الرعيّة لتقوية ربط الصداقة والأُخوّة والتضامن معهم.

ونظرًا لأهميّة المسيح الحيّ القائم من بين الأموات للولد، المسيح الحاضر في سرّ القربان ليرافقه في مسيرة نموّه الإنسانيّ والروحيّ، من الضروري أن يتحضّر الولد بطريقة جيّدة لهذه المناولة الاحتفاليّة الأولى.[18] وعليه نخطّ هذه التوجيهات والتوصيات الرعويّة في كيفيّة مرافقة الأطفال في مسيرة تنشئتهم المسيحيّة لهذه الحدث، لنساعدهم على فهم سرّ الأَفْخارَسْتِيَا، وعيشِ عمق غنى وجمال هذا اللقاء الأفخارستيّ بالمسيح يسوع الحيّ الحاضر أبدًا في كنيسته، وعلى تعزيز التوق إلى معرفته أكثر، والنموّ بمحبته، لما فيه خيرهم الروحيّ والإنسانيّ. سنحرص على أن تشمل هذه التوجيهات عناصر ثلاثة ضروريّة لتحقيق الغايات المذكورة أعلاه، ولمرافقة أطفال القربانة الاحتفاليّة في النمو بحياة مسيحيّة تتميّز بالشركة الحيّة مع المسيح والإخوة، الّتي تشكّل الأَفْخارَسْتِيَا علامتها وضمانتها: شرح سرَّيّ التوبة والأَفْخارَسْتِيَا في ضوء الأحداث البيبليّة المطابقة لتقليد الكنيسة؛ شرح رموز هذين السّرين بطريقة تُبرز قيمتهما اللّاهوتيّة والحياتيّة؛ معنى الاحتفال بارتباطه بالالتزام المسيحي في الحياة اليوميّة.

---

[17] Cf. Ibid.

[18] Cf. PAPE FRANÇOIS, *AUDIENCE GÉNÉRALE, Mercredi 5 février* 2014.

محطات لمسيرة تنشئة و افية للقربانة الاحتفاليّة

على مسيرة التنشئة للقربانة الاحتفاليّة أن تبدأ باكرًا، أي قبل ستّة أشهر في القليل من يوم الاحتفال، ليستطيع المُنشّئون إيصال المواضيع برويّة تسمح للأطفال باستيعابها جيّدًا، وإحياء ما يلزم من النشاطات الروحيّة والفنيّة المرتبطة بهذا الحدث.

من المفضّل أن تتبع مسيرة التنشئة هذه المحطات التالية المتمحورة حول شخص يسوع المسيح، لمساعدة أطفال القربانة الاحتفالية على تعزيز معرفتهم به، وحبّهم له، وتوقهم إلى الاتّحاد به، والشركة في حياته:

المحطّة الأولى: من هو يسوع بالنّسبة إليك (مرقس ٨: ٢٧-٣٠)؟ ويُقدَّم الجواب في مجموعة لقاءات تتناول هُوّيّة يسوع كابن الله المتجسّد (لوقا ١-٢)، ويسوع كمسيح مُخَلِّص (مرقس ٢: ١-١٢)، ويسوع كنور العالم (يوحنا ٩)، ويسوع المعلّم الّذي يدعوني إلى أن أكون من تلاميذه (لوقا ١٩: ١-١٠)؛ وتختم هذه اللقاءات بقداس مع الأولاد في الرعيّة، يتمّ فيه تقديم الأولاد لأبناء الرعيّة للتعرّف إليهم والصلاة لهم.

المحطّة الثانية: يسوع يجعلني ابنًا لله وللكنيسة بالمعموديّة: يسوع يشفي أجسادنا ونفوسنا (يوحنا ٥: ١-١٨)؛ الولادة الجديدة بالمعموديّة (يوحنا ٣: ١-٢١)؛ شرح رموز المعموديّة؛ بالمعموديّة أصير ابنًا للكنيسة (أعمال ٤: ٣٢-٣٧). تختم هذه المسيرة بالمشاركة في قدّاس في الرعيّة يجدد فيه الأطفال مواعيد معموديّتهم.

المحطّة الثالثة: يسوع معلّمٌ يقودني في طريق الحقّ والنوروالحياة: يسوع المسيح نور العالم (يوحنا ٩ :١-٤١)؛ مرقس ١٠ :٤٦-٥٢)؛ الوصايا تُعلّمني محبّة الله (الشاب الغني لوقا ١٨: ١٨ –٣٠ + شرح الوصايا الثلاث الأُوَل)؛ الوصايا تُعلِّمني محبّة القريب (مَثَل السامري الصالح لوقا ١٠ :٣٠-٣٧ + شرح الوصايا السبعة) الذي يحبّ يسوع يحفظ وصاياه (متى ٧: ٢٤-٢٩). الإصغاء الدائم إلى يسوع بقراءة الإنجيل. تختم هذه اللقاءات بقدّاس في الرعيّة مع الأهل يُعلِن فيه الأطفال وعدهم بأن يكونوا من تلاميذ يسوع. وفيه يُسلَّم إليهم الإنجيل ليرافقهم طَوال مسيرة تنشئتهم.

المحطّة الر ابعة: يسوع يلتقي بي في سرّالتوبّة ليغفرلي: يشرح في عدّة لقاءات انطلاقًا من مثل الابن الضّالّ لوقا ١٥: ١١-٣٢ مفهوم الخطيئة، ومحطات مسيرة التوبة كما عاشها الابن الضال، ومعنى المغفرة من وَحْيِ موقف الأب، والدعوة إلى المغفرة من وَحْيِ دعوة الابن الأكبر لمشاركة الفرح بعودة أخيه. ويُشرَح في لقاء دور الكاهن المـُعرّف. يُشرَح للأولاد في هذه المحطّة فعل الندامة، ويُعمَل على أن يحفظوه غيبًا عن ظهر قلب. وتختم هذه المحطة برتبة توبة يتقدّم فيها الأولاد من سرّ التوبة.

المحطّة الخامسة: يسوع يلتقي بي في سرّ الأَفْخارَسْتِيَا ليدخلني في شركة المحبّة معه ومع الكنيسة: الدعوة إلى القدّاس (مثل الوليمة لوقا ١٤: ١٥-٢٤)؛ شرح أقسام القداس باتباع مسيرة تلميذيّ عمّاوس لوقا ٢٤: ١٣-٣٥ (أقسام القدّاس: التهيئة، وليمة الكلمة، وليمة الأَفْخارَسْتِيَا يوحنا ١٣: ١-١٦، الشكران لوقا ١٧: ١١-١٩، الإرسال والشهادة ليسوع). يُشرح فعل النؤمن للأولاد في هذه المحطة، وكذلك معاني كلّ ما يُستعمّل في القدّاس. كلّ هذا، غايته مساعدة الولد على أن يعرف كيف يميز الخبز الأفخارستيّ من الخبز العادي، وأن يدرك أهميّته في بناء علاقة شخصيّة بيسوع المسيح. تُختم هذه اللقاءات بقدّاس خاص مع الأولاد دون مناولتهم.

يُمكننا البدء بالتمارين على الاحتفال بالقربانة الأولى مع بداية المحطة الخامسة من طريقة الدخول إلى مكان الجلوس، إلى الحركات الليتورجيّة، والقراءة والتراتيل والخدمة... إلخ. من المُهّم أن توّزع القراءات والأدوار على الأولاد بعدل ومساواة.

من الضروري أن تترافق مسيرة التنشئة هذه وبعض النشاطات الروحيّة والترفيهيّة، نُورد بعضها على سبيل المثل لا الحصر: لقاءات خاصة بالأعياد الكبيرة مثل الميلاد ومدخل الصوم والفصح... إلخ. لقاءات للتعرف إلى بعض القديسين الفتيان. رياضة روحيّة قبل الاحتفال. المشاركة في ساعة سجود للقربان المقدس. محطة فنيّة أو ترفيهية في كلّ لقاء. رِحْلة حج مع الأهل إلى أحد الأماكن المقدّسة... إلخ.

لقاءات خاصّة بالأهل

لطالما ذكّرت الكنيسة أن الأهل هم المُربّون الأوائل لأولادهم على الإيمان، وأنّه بفضل شهادتهم بالكلمة والفعل يتعرف أولادهم إلى يسوع المسيح ويلتقون به ويختبرونه كإله حيّ. وتُشكّل هذه المُهِمَّة جزءًا لا يتجزّأ من تصميم دعوتهم إلى الحبّ والقداسة.

لهذا، من الطبيعي أن يكون للأهل لقاءات خاصّة، تشمل مواضيعَ روحيّة وأمورًا إداريّة، تساعدهم على تهيئة نفوسهم لهذا الحدث المهمّ في عائلاتهم، وعلى مواكبة تنشئة أولادهم لأجل مساعدتهم على تهيئة نفوسهم بالطريقة الفُضلى. وستكون هذه اللقاءات فرصةً لتعارف الأهل كأبناء رعيّة واحدة، وللمشاركة في الصلاة وكسر الكلمة، والاطلاع على مسيرة تنشئة أولادهم ومتابعتها والمساهمة فيها بمساعدة أولادهم على فهم واستيعاب وتبنّي كلّ ما يتعلّمونه فيها. وعليه، على كاهن الرعيّة أن يختار مواضيع روحيّة خاصّة بهذه اللقاءات تكون للأهل بمثابة وقفة روحيّة ليقرؤوا في ضوء ما يُقدَّم لهم فيها مسيرة نموّ حبّهم لله ولذواتهم

وللقريب. وعلى الكاهن أن يسعى إلى اختيار مواضيع تذكّرهم بأسس الحياة المسيحيّة، وتغني إيمانهم ورجاءَهم وتغيّر في طريقة تفكيرهم وعيشهم. وتشكّل هذه اللقاءات فرصة للتعرّف إلى مسؤولي التنشئة أيضًا. فيطّلع الأهل من هؤلاء على مسيرة الإعداد للقربانة الاحتفاليّة، ومتطلباتها، ويناقشون مع مسؤولي التنشئة الأمور الإداريّة المرتبطة بهذه الحدث. هكذا، يستطيعون مواكبة أولادهم بطريقة فعّالة، ويقدّمون لهم العون الروحي والإنساني الضروري، إضافة إلى تقديم المشورة والنصح لهم في أمور يَرَوْنَها بنّاءة لهم.

وعليه، نقترح، على سبيل المثال لا الحصر، هذه المواضيع للقاءات الأهل: الخِيار الأساسيّ في الحياة المسيحيّة، والغاية منه تذكير الأهل بالدعوة المسيحيّة الأساسية الّتي هي الدعوة إلى اتباع المسيح والاقتداء والتشبّه به. سرّ المصالحة وضرورته لتنقيّة الحبّ لله وللذات والحبّ الزوجيّ، ولتحفيز الأهل إلى ممارسة هذا السرّ. الأَفْخارَسْتِيَا تصنع الكنيسة، والكنيسة تصنع الأَفْخارَسْتِيَا، لتذكير الأهل بضرورة تلبيّة دعوة المسيح إلى هذه الوليمة المقدّسة، لما تحمله من نِعَم لتنقيةَ حبّهم الزوجي، وشركة المحبّة في عائلتهم، وتعزيز مشاركتهم في حياة ورسالة كنيستهم الرعوية، وتغذية الحياة الروحيّة، ولمساعدتهم على بناء حياة روحيّة متكاملة. الجماعة العيليّة الرعوية، مع شهادة لزوجين اختبرا أهميّة الالتزام بهذه الجماعة، لتحفيزهم إلى الانتماء إلى هذه الحركة الكنسيّة الضرورية لتأمين تنشئة مسيحيّة إنسانية دائمة لهم.

الختام

يشكّل الاحتفال بالأَفْخارَسْتِيَا محورًا أساسيًا في مسيرة بناء شركة المحبّة العائليّة على مثال شركة حُبّ المسيح والكنيسة. فالمشاركة في سرّ الأَفْخارَسْتِيَا، سرّ الحب الإلهي، يشحذ الحبّ الزوجيّ البشري بِنعَمٍ تنقيّه وتقدّسه وترفعه إلى مستوى حبّ المسيح والكنيسة. كما تساهم هذه المشاركة في الأَفْخارَسْتِيَا في تقوية رباط الوَحْدة بالمسيح بين أفراد العائلة الواحدة، وبين العائلة وعائلات الرعيّة. ولهذا، يشكّل الاحتفال بالقربانة الأولى فرصة لتنشئة الولد في فهم سرّ الأَفْخارَسْتِيَا بكلّ أبعاده، لمساعدته على الإيمان به، وعلى الالتزام الواعي بالمشاركة الدورية فيه، والدخول بهذه الشركة في حبّ المسيح والكنيسة، وشركة المحبّة مع عائلته والرعيّة. وهذا أمرٌ سيساعده على أن ينمو بإيمانه وبعيشه بحماس وفرح. وإذا ما انطلقنا من مدى اعتماد الأولاد على الرباط العائلي في هذه الفترة في مسيرة نموّهم بالإيمان، ندرك أهميّة التنشئة له ولأهله الّتي تُعدّ لهذا الحدث المُميّز في حياة العائلة والكنيسة. ولئلّا ينتهي كلّ شيء بانتهاء الاحتفال، على الكاهن والمسؤولين عن التنشئة بالتعاون مع الأهل، أن يفكّروا في الإطار المسيحي الضروري ليواصل أولاد القربانة

الاحتفاليّة متابعة تنشئتهم المسيحيّة الدائمة ليدخلوا أكثر فأكثر في فهم وعيش الرباط بين الحياة الأسراريّة والحياة اليوميّة.

وعليه، نقترح أن تمتد مسيرة التنشئة هذه مدّة طويلة لتعطي ثمارها الحقيقيّة: تعميق علاقة الفتى بالمسيح، بمعرفة أكبر لقصص ونصوص من الكتاب المقدّس، نظرة جديدة للحياة، الصلاة بالروح والحق، تبنّي القيم المسيحيّة، بناء رُفْقة جديدة مع أولاد الرعيّة، المشاركة في خدمة الكنيسة، وبكلمة تلقينه فنّ الحياة المسيحيّة.

وبقدر ما تكون هذه التنشئة غنيّة روحيًّا وإنسانيًّا، بقدر ما سيتوق الأولاد إلى إطالة التزامهم بكنيستهم، وبقدر ما ستكون للأهل فرصة ليعيدوا اكتشاف ينابيع إيمانهم، والخروج بغنًى أعمق وبتغيير حقيقيّ.

نعم! الاحتفال بالقربانة الأولى هو خطوة مهمّة في حياة ملتزمة بطرق القداسة، ومليئة بالمحبة، والفرح، والسلام. والكنيسة، عائلة الله، تنمو وتتغذّى من وليمة الأَفْخارَسْتِيَا بكلمة الله وبجسد المسيح ودَمْه. ولهذا، على "الاحتفال بالأَفْخارَسْتِيَا أن يُعزّز بشكل متزايد، على جميع المستويات، الوَعْيَ لأهميّة تحقيق "الكنيسة العائلة" بالتضامن، والعلاقات الأسريّة، وبمشاركة كلّ أشخاص الجماعة الرعويّة"[٢١٩].

2 Cf. PAPE FRANÇOIS, *AUDIENCE GÉNÉRALE, Mercredi 5 février* 2014.

إحياء ساعة السجود للقربان المقدّس

الخوري شوقي كرم

1- في أهميّة السجود[٢٢٠]

نجد في رسالة البابا القديس يوحنا بولس الثاني "الكنيسة والأَفْخارَسْتِيَا "، كما في رسالة البابا بندكتوس السادس عشر "سرّ الأَفْخارَسْتِيا"، كلامًا على أهميّة عبادة القربان المقدّس للمؤمن وللجماعة الراعويّة:

"إذا كان على المسيحية أن تتميّز بشكل خاص بـ"فن الصلاة"، فكيف لنا ألّا نشعر بالحاجة المتجدّدة إلى البقاء مُطوّلًا، في حوار روحيّ، وفي عبادة صامتة، وفي حالة حبّ، أمام المسيح الحاضر في سرّ الأَفخارَسْتِيَا؟" (الكنيسة والأَفخارَسْتِيَا، العدد ٢٥).

ويجيب البابا بنديكتوس السّادس عشر على الّذين يقولون إنّ "الخبز الأَفْخارَسْتِيّ وُجِدَ ليؤكل لا ليُعبَد"، إنّ "العبادة الأفخارَسْتِيّة ليست سوى توسّع واضح للاحتفال الأَفخارَسْتِيّ، الّذي هو في ذاته أعظم عمل عبادة للكنيسة" (سرّ الأَفخارَسْتِيَا، العدد ٦٦). لذلك، تُعزِّز هذه العبادة عند المؤمن الحسّ بجماليّة ليتورجيا الأَفخارَسْتِيَا، وتُنضّج عنده القَبول العميق والصحيح للمسيح الّذي يريد أن يتّحد به بالمناولة المقدّسة ليحوّله إليه. كما تُنضّج هذه العبادة ثمار المشاركة في الأَفخارَسْتِيَا والتي منها حسّ الانتماء إلى جسد المسيح السريّ، والحسّ الإرساليّ عند المؤمن، وعيش شركة المحبّة بين أعضاء الكنيسة وامتدادها إلى البشر أجمعين (سرّ الأَفخارَسْتِيَا، العدد ٦٦).

يقول القديس ألفونس ماري دي ليغوري في أهميّة عبادة القربان المقدّس: "من بين كلّ التَّقْوَيَّات، عبادة يسوع في القربان المقدس هي الأولى بعد الأسرار، والأعزّ على قلب الله، والأكثر فائدة لنا" (الكنيسة والأَفخارَسْتِيَا، العدد ٢٥).

ويقول القديس أوغسطينوس: " لا يأكل أحدٌ هذا الجسد من دون أن يَعبُده أوّلًا؛ ... سنخطئ إذا لم نعبده " (سرّ الأَفخارَسْتِيَا، العدد ٦٦).

2- مِنْ ثِمار السّجود للقربان

الغرف من نبع النِّعَم، من المسيح الحاضر في سرّ القربان (الكنيسة والأَفخارَسْتِيَا، العدد ٢٥).

[٢٢٠] **السجود**: ركوع على الركبتين مع ملامسة الجبهة للأرض.

معاينة وجه يسوع، وهنا نتذكر جواب الفلّاح على سؤال خوري أرس عن ما يقوله في سجوده أمام القربان المقدّس "أتطلع إليه ويتطلّع إليّ!".

الغوص في فهم وعيش ثمار الأَفخارَسْتِيَا على الصعيدين الشخصيّ والكنسيّ.

تعزيز التمتع بجماليّة الوجود بصحبة يسوع والدهشة أمام حضوره معنا في سرّ القربان المقدّس، ومحوريته في حياتنا الشخصيّة وحياة الكنيسة.

3- في تنظيم ساعة السجود للقربان المقدّس

لذلك، كما يقول البابا القديس يوحنا بولس الثاني، من المهّم في هذه الساعة أن نتشبّه بالتلميذ الحبيب ونتحدّث إلى يسوع، وننحني على صدره، ونتركه يلمسنا بحبه اللامتناهي المتدفّق من قلبه. ولنحقّق هذه الغاية وننعم بثمار ساعة السجود للقربان في الرعيّة مع جماعة المؤمنين، ننصح بهذه الإرشادات:

أوّلًا: يُمكننا اختيار موضوع روحيّ لساعة السجود من وحي الزمن الليتورجيّ، باختيار نصّ من الكتاب المقدس يُبرزه، ويسمح لكلماته بالتأمل في دعوة الله المرتبطة بهذا الموضوع. وفي هذه الحال، على التراتيل والصلوات أن تساهم في تعزيز هذه الدعوة وتعميقها لتلمس قلوب وضمائر المشاركين.

ثانيًا: قبل صمد القربان على المذبح المزدان بسبع شَمَعَات شمعة مضاءة، ومكلّل بالزهور، وبالأنوار المسلّطة على شعاع القربان، على الكاهن أن يكون مرتديًا اللباس الليتورجي المناسب (الغفّارة والبدلة كاملة) يصحبه خادمَيِن مع المبخرة والبخور فينحنون جميعًا أمام المذبح المقدس راسمين إشارة الصليب المقدّس.

ثالثًا: عند صمد القربان المقدس، على الجماعة أن تنشد ترتيلة ليتورجيّة خاصّة بالقربان المقدّس (في سرّ القربان، يا خبز الحياة، أيها الجسم السامي... إلخ)، وعلى الكاهن أن يبخّر القربان ثلاث مرّات مثلّثة مع الركوع[٢٢١] في كلّ مرّة.

رابعًا: يتبع صمد القربان فترةٌ من الصمت تسمح لكلّ مشارك جاثٍ[٢٢٢] بوضع ذاته في حضرة يسوع الحاضر في سِرّ القربان، وفي تواصل معه. ويُمكن هذا الوقت أن يُزَيَّن بموسيقى تساعد على هذا الأمر. في ختام هذه الفترة، يُقرأ النصّ الكتابي المختار.

---

[٢٢١] **الركوع:** جلوس على الرجلين مع اليدين على الركبتين.

[٢٢٢] **الجثو:** ركوع على الركبتين مع ظهر مستقيم.

خامسًا: تُقسَّم ساعة السجود إلى عدّة فترات (عشر دقائق تقريبًا للفترة) تسمح لكلّ مؤمن بأن يُعَبِّر عمّا يحمل في قلبه لله بدءًا باستدعاء الرّوح القدس فالتسبيح ويتبع بالشكر والاستغفار والتشكّي والطلب والتسليم. ويمكن السّاعةَ أن تتمَحوَر في فعل واحد أو اثنين فقط من أفعال الصّلاى هذه. على سبيل المثال، أن تكون السّاعة ساعة تسبيح أو شكر فقط، أو الاثنين معًا... إلخ.

1- **استدعاء الرّوح القدس:** البدء بصلاة للرّوح القدس طلبًا لمعونته؛ لأنّ الرّوح يعين صعفنا و"يشفع لنا عند الله بأنّات لا توصف" (روما ٨: ٢٦).

2- **التسبيح:** يُرفَع التسبيح (التمجيد والحمد) إلى الله الّذي منه عطيّة الحياة والخلاص وتجدّد الحياة بتجسّد وفِداء ابنه يسوع المسيح وبالروح القدس. فالتسبيح تعبيرٌ عن ابتهاج وغبطة نابعين من القلب، واندهاش وتقدير لعمل الله، ونشيد تعظيم: "تعظّم نفسي الربّ وتبتهج روحي بالله مُخلّصي"؛ "تبارك الرب إلهنا"؛ يا ربّ! نُسبّحك لأجل عظمتك وقوتك، ونُمجّدك لأنك أنت عظيمٌ في ذاتك؛ يا ربّ! نُسبّحك لأنك أنت الله... إلخ.

3- **الشكر:** من المهّم أن يميّز الساجد الأمور الإيجابيّة والبنّاءة في حياته الّتي هي ثَمَرة عمل الله الخلاصيّ في مسيرة حياته اليوميّة، الله الّذي يمسكه بيده ويرافقه بعنايته ويرعاه برحمته وحنانه ويغمره بعطاياه، وذلك بابنه يسوع وبفعل روحه القدوس.

يا ربّ! أشكر لك أنّك أعطيتني بابنك أن أعرفك كأب؛ أشكر لك أنّك أعطيتني المغفرة؛ أشكر لك أنّك أنقذتني... إلخ.

4- **الاستغفار:** ما من مؤمن لا يشعر بنقص في جواب حبّه على حبّ الله له، هذا الحبّ الّذي تجلّى وتجسّد بابنه يسوع المسيح. من المُهم مراجعة الذات في ضوء محبّة الله الّتي تجلّت بالمسيح، بالمسيح الكلمة والمسيح الذبيح على الصليب، لكي يصرخ المؤمن بتوبة صادقة، وبإيمان بحبِّ الله ورحمته ومغفرته له، قائلًا على سبيل المثال: يا الله! ارحمني! لأني...

5- **التشكّي والطلب:** صلاة تنبع من حالة المؤمن الّذي يشعر بأن مرحلة من حياته تتضاءل بالمرض والعزلة والآلام الخُلُقِيّة، والترك، والخوف من المستقبل... إلخ. لذلك، يصرخ إلى الله ربّ الحياة، ويتشكّى مع الله الحياة؛ لأن الله يبدو بعيدًا عنه، ويدعوه إليه: "إلهي! إلهي! لماذا تركتني؟"؛ يا رَبّ! ارحَمْني فلا قُوَّةَ لي، يا رَبّ! اشْفِني فإِنَّ عِظاميَ قد تَزَعزَعَت ونَفْسيَ اضطَرَبَت كَثيرًا. فيا رَبّ! إِلى مَتى؟ يا

رَبّ! عُدْ ونجِّ نَفْسي! ولأَجلِ رَحمَتِكَ خَلِّصْني"... إلخ. ويمكنه أن يصرخ بإيمان إلى الله طالبًا بكل بساطة: قوّي إيماني! بلسم جراحي! اشفني من مرضي! رُدّ إليّ أحبّتي!

6- **الصمت:** لأن الله يتكلّم في الصمت، من المهمّ المحافظة على فترات الصمت يُردّد فيها المشاركون في قلوبهم، بشكل هزيز روحيّ، كلمات من النصّ الكتابي المختار، أو لازمة الترتيلة المنشودة، أو صلاة صغيرة، بغية الوصول إلى إسكات الأصوات الخارجيّة والوصول إلى حالة إصغاء إلى الله فقط.

4- توجيهات عامّة للمُنشّط

على مَنْ يشارك في إحياء ساعة السجود هذه:

أن يبدأ هو بالصلاة منقادًا للروح وبمعونته متوجّهًا بكلمات مباشرة تخاطب المسيح الحاضر في سرّ القربان، وبالمسيح الله الآب، بكلمات بسيطة نابعة من القلب، لا ثرثرة فيها، بعيدة عن الوعظ، تُعبّر عن إيمان المشارك في الصّلاة ورجائه ومحبّته للربّ.

أن يحرص على يرافق كلّ فترة من فتراتها لازمة من ترتيلة تتناغم معها: لازمة تسبيح مع التسبيح، وشكر مع الشكر... إلخ. وأن يُردّد بهزيز روحيّ يُحرّك قلوب المؤمنين ويساعدهم على أن يعبروا من الخارج إلى الداخل، من العالم إلى حضرة الله.

أن يحرص على ألّا ينتظر الناس ما سيقوله في صلاته، بل أن تكون صلاته باسم الجماعة الحاضرة، وتحملهم على الصلاة هم أنفسهم. ولهذا، يترك مِساحة للمشاركين ليعبّروا بدورهم بالتسبيح والشكر والاستغفار والتشكي والطلب بعبارات قصيرة مماثلة.

5- في ختام ساعة السجود للقربان

من المُفضّل أن تُختَتَم ساعة السجود للقربان المقدّس بزياح القربان (يا لسان المدح... قدّوس) مع البركة به، يتبعه نشيد قربانيّ ختاميّ خاصّ بالقربان، مثل "لك التسبيح والشكران"... إلخ. وفي حال كان السجود لأكثر من ساعة، تُمكننا إضافةُ الطِّلْبة والصلوات الخاصة بالقربان.

إشكالية القداس الخاصّ داخل الرعيّة أو خارجها

قانونيّة، لاهوت وراعويّة هذا القداس

الخوري جوني تنوري

أسئلة عديدة تُطرَح علينا في حياتنا الراعوية ومسيرتنا الجماعية في الكنيسة، وتدخل في صلب أسرار التنشئة وبخاصة الاحتفال بسرّ الأفْخارَسْتِيَا، أبرزها:

هل يمكننا تخصيص جماعات خاصة بقداس خاصّ داخل وخارج الرعية أو الاحتفال الليتورجي الجماعي مع جماعات خاصة أو بطريقة مجزأة؟

يذكر كتاب مجموعة قوانين الكنائس الشرقية في مقدمة الباب السادس عشر" في العبادة الإلهية ولا سيّما الأسرار" قانون ٦٦٧ ما يلي:

"بالأسرار التي أُلقِيَ إلى الكنيسة توزيعُها، لتنتقل فيها نعمة المسيح بعلامة محسوسة، يقدّس سيدنا يسوع المسيح **البشر** بقوّة الروح القدس، بحيث **يصبحون عبادًا حقيقيّين لله الآب بعبادة فريدة، حيث يضمّهم هو إلى ذاته وإلى الكنيسة جسده. ولهذا، فعلى جميع المؤمنين المسيحيين**، ولا سيّما خدام الهيكل، أن يتقيدوا تقيّدًا تامًّا بأحكام الكنيسة في إقامة هذه الأسرار وفي تقبلها بتقوًى".

يحدّد القانون ٦٦٨ البند ١ "**أن تكون العبادة عمومية**" والقانون ٦٦٩ " **أنّ هذه الأسرار هي بعينها للكنيسة كلّها جمعاء**"، والقانون ٦٧٣ "لتَجْرِ إقامة الأسرار، ولا سيما الليتورجيّا الإلهية، وهي عمل الكنيسة، **بمشاركة المؤمنين الفعليّة** كلما أمكننا ذلك"، والقانون ٦٧٤ البند ١" عند الاحتفال بالأسرار يجب التقيّد الشديد بما تنطوي عليه الكتب الطقسيّة"....

في مقدمة هذا الباب، نجد أنفسنا أمام مبدإ الجماعة (أي الرعية) وليس أمام الفرد والخاص، وإذا تعمّقنا أكثر وتبحّرنا في القوانين ٦٩٨ - ٧١٧ من م.ق.ك. "في الأفْخارَسْتِيَا الإلهيّة نجد العناصر التالية التي تتوجه إلى الجماعة (الكنيسة- الرعية) وليس إلى الفرد والجماعات الخاصة:

تقدمة الكنيسة..... أعطى تلاميذه جسده الذي سيُقرَّب لأجلنا..... **تقيمها الكنيسة وتشترك فيها تقدمة وتناولًا للتعبير عن وَحْدة شعب الله واكتمالها <u>في بناء جسد المسيح الذي هو الكنيسة</u>** (نجد هنا المِفْتاح والأساس في وَحْدة الاحتفال الليتورجي وليس تجزئته وتخصيصه).

المؤمنون المسيحيّون الذين يجتمعون..... يشتركون ويكون اشتراكهم كاملًا إذا تناولوا من تلك الذبيحة عينها جسد الربّ ودمه.

بالنظر إلى طريقة إقامة الليتورجيّا الإلهية.... يجب قبل كلّ شيء اعتبار متطلِّبات المؤمنين الراعوية.

لتوزّع الأفْخارَسْتِيَا الإلهية في أثناء الاحتفال بالليتورجيّا الإلهية، ما لم يكن هنالك سبب صوابيّ يدعو إلى غير ذلك.

تعبير "قداس خاص" او "قداديس خاصة" لا يأتي ذكره في أي مَرجِع قانونيّ، ليتورجيّ او لاهوتيّ، بوضوح وبمعناه الحصري المعمول به في بعض الحالات في كنائسنا وجماعاتنا الرعائية.

يشير التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية عن الاحتفال الأفخارَستيّ أو الليتورجيّا إلى أمور مشابهة، سنتطرق إليها لاحقًا.

حتى إنَّ مصطلحات القداس الخاص ليست متشابهة في اللغات والمصطلحات الغربية والقريبة من تعريب "قداس خاص" فإنّها لا تُصيب المعنى نفسه:

" Une Messe Privée, Sine Populo (messe sans monde), Messe Stationnale, Messe Grégorienne, Private Mass, Low Mass..."

كُلّ هذه التعابير والمصطلحات التي نجدها في الكتب الطقسيّة الغربية وفي الشرائع الخاصة الغربية لا تُصيب المعنى المراد به عربيًا والمعمول به في أيّامنا.

فمعظم هذه التعابير تدلّ على الاحتفال بقداديس يُسمح للكاهن بأن يقيمها بمفرده بدون الجماعة، أو قداديس لراحة نفس شخص معين أو لنية معينة تقتضي العمل بموجب من خصّص بها الواهب.

أمّا مفهوم القداديس الخاصة بجماعات معينة داخل الرعية، أو بأماكن خارج الرعية (حقل، شاطئ بحر، منزل، غرفة مريض، ملعب، مسرح...)، فالمراجع القانونية والشرائع الخاصة بالكنيسة والليتورجيّة الغربية وحتى الشرقية، تكاد لا تأتي على ذكرها، وإذا ذكرتها فبمعناها الحصري. إذ يبدو أنها غير مألوفة كمفهوم في العالم اللّاتيني، بالرغم من أن بعض الجماعات تمارسها داخل وخارج مكان الرعية فيها وحتى في الأبرشية، مع مرشديها الكهنة، وتقتضي أذونات خاصة من الأسقف المحلّي وأسقف مكان الاحتفال بها، عملًا بالقوانين المرعية الإجراء.

أمّا بالنسبة إلى كنائسنا الشرقية وبخاصة كنيستنا المارونية، لا يوجد أي نص واضح وصريح يُجيز هذه العبادات او القداديس أو يمعنها؛ باستثناء الاحتفال بسرّ العماد والزواج، سوى أن مجموعة قوانين

الكنائس الشرقية وشرعنا الخاص تتوجّه دائمًا إلى الجماعة المرتبطة بجسد المسيح السري غير المنقسم وغير المتجزئ.

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية تحت الرقمين ١١٨٠ و١١٨١ ما معناه أنه حيث تمارس الحرية الدينيّة بلا قيود، يُشيِّد المسيحيّون أبنيّة معدّة للعبادة الإلهية. هذه الكنائس المرئية ليست فقط مجرد أمكنة للتجمع بل هي رمز إلى الكنيسة القاطنة في هذا المكان، فتظهر **مَسكَنًا لله مع الناس المُصالحين والموحَدّين في المسيح**. "إن بيت الصلاة الذي يُحتفل فيه بالأفْخارَسْتِيَا، وفيه تُحفَظ، ويجتمع المؤمنون فيه، ويُكَرَّم فيه ابنُ الله مخلصنا، المُقرَّب لأجلنا على المذبح، الحاضر سندًا للمسيحيين ومشجعًا، يجب أن يكون جميلًا وأهلًا للصلاة والاحتفالات الأفخارَسْتية". في بيت الله هذا، على المسيح الحاضر والعامل فيه أن يظهر بالعلامات الحسيّة في حقيقتها وتناغمها.

ففي هذين التعليمين نجد دلالة إلى مكان إقامة احتفال الجماعة المُوحَّدة وتحديدًا لطبيعة المكان والعلامات الحسيّة.

إذًا، إننا لا نجد أمكنة خاصة بالإحتفال الخاص، كالحقل والحديقة والمنزل وغيرها......

لكن أمام واقع ما يحصل نسأل: هذه الاحتفالات، في حال حصلت لغاية ما خارج الرعية، أو لسبب ما في مكان خارج الكنيسة أو مع جماعة خاصة أو هدف راعويّ ما أو احتفال مسكونيّ وغيره، فهل تمّ الحصول لِمَن قام بها وبشكل أساسيّ إلى إذن خاص من الأسقف، أم أضحى حصولها من دون قيد وإذن وعلى حسب مِزاج مَن قام بها؟

وفي حال تمّ الحصول على إذن من مطران الأبرشية، فهنالك مُقوّمات ليتورجية للاحتفال بها تقتضي العمل والالتزام بما ترسمه الكتب المقدسة من مثل الطاولة والملاءة البيضاء والصمدة والصليب والشمعتين والملابس البيعيّة.....

فهل هذه المُقوِّمات والروبريكات (أي ما كتب بالأحمر وهذا قانون ملزم العمل به) تُحتَرَم ويتم اعتمادها والتقيّد بها؟

عن الأماكن المؤاتية للصلاة، يُشدّد التعليم تحت الرقم ٢٦٩١ من التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، على أنَّ الكنيسة، بيت الله، هي المكان الخاص بالصلاة الليتورجيّة للجماعة التي تُكوِّن الرعية. اذًا، خارج الكنيسة لا رعيّة. ويُضيف التعليم ٢٦٩١ أنَّ الكنيسة هي المكان المؤاتي لعبادة حضور المسيح الحقيقي في القربان المقدس. واختيار المكان المؤاتي ليس خاليًا من التأثير في حقيقة الصلاة...

عليه، إن الاحتفال بالقداس هو قمَّة عبادتنا وصلاتنا، ولذلك يجب أن تتوافر كلّ الإمكانات المطلوبة (صمت، بيت قربان، أيقونات...) وهذه المُقتَضيات لا تتوافر في المنزل او الأمكنة خارج الكنيسة. وفي حال غاية راعوية تقرّراحتفال الأسقف أو ما ناب عنه بالقداس في مكان خارج الكنيسة من مثل السجن أو المستشفى.... فيقتضي ذلك توفير مكان خاص له مع ما تفرضه المراسيم والروبريكات الليتورجيّة.

على سبيل المثال، وتطبيقًا لما أتينا على ذكره، نجد قداسة البابا يحتفل بالقداس في السجن أو في زياراته الرسولية داخل وخارج إيطاليا في أماكن عامة؛ ولكن الشروط المطلوبة لها نراها متوافرة ومحترمة ومطبّقة على حسب الأصول المرعية الإجراء، وكذلك نجد غبطة أبينا البطريرك مع بعض مطارنة الأبرشيات في احتفالاتهم بالقداس في السجن أو في أماكن أخرى لغايات راعوية معينة.

ونجد جماعات ومطارنة وكهنة ورهبان، أذِنوا لأنفسهم، من دون العودة إلى إذن الأسقف المحليّ أو رئيس الكنيسة المحليّة، ولهدف راعويّ ما، متحجّجين بمبدإ "صحيح وغير جائز"، في صحة الاحتفال بالسرّ من دون شرعيّته، الاحتفال بالقداديس وَفْقَ برامج خاصّة بجماعات خاصة خارج الرعية وفي أماكن خاصة ومنازل خاصة غير لائقة بالسرّ من مثل طاولة الطعام في المنازل من دون ضرورة أو خطر الموت، فتصبح الحقيقة واقعًا معمولًا به ضاربين به القوانين والأنظمة والشرع الخاص بالكنيسة عُرْض الحائط.

حتى في الغرب، نرى أنّه، وبالرّغم من القرار الصادر عن البابا فرنسيس، بعد استشارة أساقفة العالم، بالنسبة إلى تغيير القواعد التي تحدد استخدام كتاب قداس العام ١٩٦٢، والذي حرّره باعتباره "طقسًا رومانيًا غير عاديّ" منذ أربعة عشر عامًا سلفه البابا بندكتس السادس عشر. وقد نشر الحبر الأعظم اليوم إرادته الرسوليّة الجديدة "Traditionis custodes"، أي "حرّاس التقاليد"، باستخدام الليتورجيّا الرومانية التي تعود إلى ما قبل العام ١٩٧٠، والتي تقتضي عدم الاحتفال بالقداديس بالطقوس القديمة في كنائس الرعية بعد الآن، نجد بعض الجماعات والكهنة، وهم أقليّة، يكملون الاحتفال بها وقد سمحوا لأنفسهم بالاحتفال بها خارج الكنائس الرعائيّة، ومنهم، أي الأكثرية، مَن تقيَّد بالإرادة الرسولية وقام بتقديم طلب رسميّ إلى الأسقف الأبرشيّ الذي بدوره، وبعد الوقوف على إذن خاص من الكرسيّ الرسوليّ، منحهم الحق في الاحتفال خارج الكنائس بعد استحصالهم على الإذن لهم في الاحتفال.

أردت ذكر هذا القرار وهذا الحدث لأضيء على خطر بعض المطارنة والكهنة والجماعات الذين يجيزون لأنفسهم الاحتفالات الليتورجيّة الخاصة من دون الاستحصال على إذن الرئيس المحلّي لأؤكّد ما أورده

البابا فرنسيس:" إنَّ ليتورجيتنا في خطر". ولذلك قام قداسته بإلغاء بعض الأذونات السابقة والتي في جوهرها بعض من التراخي في موضوع استباحة الليتورجيّا والاحتفال بها وَفْق ما يرتئيه البعض.

أمّا في ما يخص كنيستنا المارونية، فلا شيء واضحًا من السلطة، سوى ما ترسمه القوانين الليتورجيّة والمراسيم البطريركية التي تجيز العمل بها من دون ذكر واضح للاحتفال بالقداس الخاص خارج الرعية أو مع جماعات خاصة، هناك بعض التعاميم والقرارات من الأساقفة المحليين.

الرّسالة العامة الثالثة التي وجهها صاحب الغبطة والنيافة الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي السنة ٢٠١٤ إلى إكليروس وأبناء الكنيسة المارونية، شدّد غبطته على أنَّ ليتورجيتنا المارونية هي ليتورجية الكنز الحيّ. لذلك من الواجب فهمها ومعرفتها والتنشئة فيها كونها مصدر هُوِيَّتنا ورسالتنا. وهي تتميز بالقدّاس بشكل أساسيّ، بأبعاده الهامة التي بلورت صورتها وهُوِّيّتها، يجب أن لا نمحيها ونستهين بها خاصة في الأبعاد اللّاهوتية، والكريستولوجية، والمريمية، والرَّهبانية النُّسكيّة. وقد شدّد بنوع خاص على البُعْد الإنسانيّ مُتطرِّقا إلى القداديس الخاصّة، التي تحصل في المنازل أو في البريّة او في الملعب أو حتى في كنيسة الرعية، ففيها يتمّ التركيز في جمال الديكور وتغيير معالم المكان الأساسي على حساب الإنسان والسرّ.

يقصد صاحب الغبطة في هذا البعد روحانيّة خاصّة بالإنسان وباختباراته المتنوّعة التي يجسّدها في صلاة تصاعديّة إلى الآب، تنطلق من القلب والعقل وتشرك الجسد. كما تحمل النصوص الليتورجيّة الاختبارات المتعدِّدة التي مرّ بها شعبنا من آلام واضطهادات وحروب وتهجير، إلى جانب أفراح الشّركة والتضامن والوَحْدة والمغفرة والمسامحة، بالإضافة إلى أمجاد الانتصار بقيامة الربّ وتحرير الشعب وظَفَر القدِّيسين من أبناء كنيستنا. فالضوضاء والضجة في القداديس الخاصة تحول دون الصمت والهدوء، بالتالي تمنع الإنسان من الولوج إلى عمق أعماقه.

يذكر صاحب الغبطة البُعد النهيويّ الإسكاتولوجيّ في البُعد الكتابيّ عن طابع القداس الخاص، بحيث يتم تغيير النصوص الأساسية والاستعاضة عنها بنصوص تتماشى مع المناسبة مخالفين القوانين الليتورجيّة.

في هذه الرسالة نجد إصلاحًا ليتورجيًّا وتطبيقًا للقوانين والشرائع الكنسية؛ بحيث إنّ صاحب الغبطة شدّد على أنَّ الليتورجيّا هي مكان العبادة بالروح والحقّ. وقد شدّد كذلك على الأمور التالية:

- مكانُ العبادة المعروف بالكنيسة التي تعني: من جهة «بيت جماعة الله»، حيث تجتمع لتسمع كلام الله وتقدّم ذبيحة العبادة، ومن جهة أخرى، من النّاحية الروحيّة، الجماعة الحيّة، أي جسد المسيح

السرّيّ الذي يحقّقه الروحُ القدس في حلوله على المؤمنين والمؤمنات، ويجعلُ منهم حجارةً حيّة لهيكل الله الروحي (راجع ١ بط٢: ٥). في تقليدنا، الكنيسة هي قلب الرعية، والمذبح هو قلب الكنيسة؛ وكونُ الكنيسة هي التعبير الصادق عن تجلّي الله وحضوره في وسطها.....وهذا العنصر، هل نجده في أمكنة الاحتفال بالقداديس الخاصة خارج الرعية؟ إشكالية تُطرَح؟

- ويُعدّد من هندسة الكنيسة والأمور الأساسية لإقامة الذبيحة الإلهية: المذبح. البيما. الصليب. الشموع. الأنوار. الكأس والصينية والصمدة والبخور. النافور. ويتطرق إلى أنه في القداديس الخاصة كثيرًا ما يتم إهمال عدد كبير من تلك الأدوات، فلا تستخدم، وبخاصة الصليب والشموع والبخور بحجة المكان فكأنّي به يذكّر الشعب والإكليروس بضرورة معرفة أساس اللوازم الليتورجيّة وضرورة الاحتفال بالقداس مع الرعية وفي كنيستها. هذه إشكالية ثانية تُطرَح.

ختامًا نعود إلى التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية :

يُشدّد التعليم المسيحي في الرقم ٢١٢٠ على أنَّ انتهاك القدسيات يكون بتدنيس الإنسان أو إساءة استعمال الأسرار والأفعال الليتورجيّة الأخرى، والأشخاص والأشياء والأماكن المكرسة لله.

وهذا الانتهاك خطيئة جسيمة خصوصًا إذا أصاب الأفْخارَسْتِيَا شائبة في إهمال عناصرها، بما أنّهاَ جسد المسيح نفسه الحاضرا بجوهره.

من هنا خطورة القداديس الخاصة وخطر التراخي الذي قد يحصل، وخاصةً في حال كان العلمانيّ على احتكاك مباشر بجوهر أو مادة السرّ، ومن دون وجود كاهن وسيط.

تورد التعاليم ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤ أن قلب القدّاس وجوهره والأساس فيه هي كلام التقديس. هو أساس القداس، ومن دونه لا قدّاس، أو بالأحرى لا جوهر قداس.

وعلى اجتماع المؤمنين: يجتمعون كلهم، يتواردون إلى مكان واحد للاجتماع الأفخارَستي (الكنيسة)؛ أي جميعهم محصورون في مكان واحد. لا مجال للتشتت أو دخول عناصر مزعجة ومشتتة. في القداديس التي تقام في المنازل أو في أماكن مفتوحة مجال مفتوح للتشتّت ودخول وخروج عناصر بشرية لا علاقة لها بالقداس.

وهناك عنصر أساسيّ أورده صاحب الغبطة في رسالته التي سبق لنا أن ذكرناها وهذا العنصر هو المنشط الليتورجي: بقدر ما يكون الاحتفال اللّيتورجي مهيّأ، بقدر ما يؤتي ثماره الروحيّة. فلا ارتجال في احتفالاتنا لئلّا تفقد الكثير من روحانيّتها وخشوعها، بل ينبغي وجود منشّط ليتورجيّ للاحتفالات الطقسيّة:

ينظّم الاحتفال ويوجّهه وينسّقه، ليأتي منسجمًا وجذّابًا. يُعنى المنشِّط، بتوجيه كاهن الرعية، بتنظيم احتفالات لفئات من الرعيّة وفي الرعية حصرًا، لا خارجها، كالأطفال والشبّان والعائلات والمرضى وسواهم. هذه تحيي بشكل دوريّ قدّاس الأحد في قلب الجماعة الرعائية وداخل الرعية. فقدّاس الأحد هو التعبير المنظور عن وَحْدة جسد المسيح السرّيّ، الذي هو الكنيسة الواحدة الجامعة المقدّسة الرسوليّة ونواتها الرعيّة. «فالليتورجيّا تصنع الكنيسة والكنيسة تصنعها» كما يعلّم الآباء .

ودور كاهن الرعية الأساسي في الاحتفال الليتورجي والتشجيع عليه والمشاركة فيه والاحتفال به حصرًا داخل الرعية وفي كنيستها. فكَهَنوتُه مرتبط مباشرة بالأفْخارَسْتِيَا والأسرار وبوَحْدة شعب الله أبناء رعيّته وجماعاتها. إنها منطلق روحانيّته وينبوعها، وهي الزاد اليوميّ في حياته وعمله ورسالته.

أمّا المسؤول الليتورجيّ الأوّل فهو الأسقف، رئيس كهنة شعب الله في أبرشيّته. به تتعلّق حياة المؤمنين والمؤمنات الروحية، لكونه حارسًا ومنشّطًا ومترئّسًا الحياة الليتورجيّة بأجمعها. دوره تعزيز الحياة الليتورجيّة وتنظيمُها على حسب رسوم الكنيسة الخاصّة وعاداتها وقوانينها. وبذلك يحقّق الشّركة مع إخوته الأساقفة. عليه أن يتّحد بإكليروسه ويكونَ حارسًا متنبّهًا للضمير الليتورجيّ الحيّ في شعبه.

على الأسقف أن يوفّر لكهنته التنشئة الليتورجيّة المستديمة، في دورات تثقيفيّة ومحاضرات دوريّة، وعليه أن يسهر على تطبيق قواعدها، وَفْق توجيهات كنيستنا المستمرّة، من أجل تنشيطها ونموّها وتقدّمها.

لذلك، وفي الختام، إنّ كلّ التعاليم الكنسية والقوانين الرسولية والشرائع تورد أنّ الكنيسة، وبخاصّة الرعائيّة هي المكان الأساسي والجوهري للقداس. ويُفضَّل عدم إقامة قداديس خارجها.

فإنّه يُسمح بإقامة قداس لضرورة رعائيّة وكنسيّة لهدف معين واحتفال معيّن، ضمن الإطار الجغرافي للكنيسة أو الدير أو المدرسة أو الجامعة....، في الهواء الطلق، بناءً على تعميم وإذن خاص صادر سابقًا من الأسقف أو الرئيس الكنسيّ يجيز بذلك .

وفي حال أقيم قداس في الطبيعة أو في مكان آخر بعيد عن حرم الكنيسة أو الدير أو أي مكان دينيّ فيه كنيسة مكرّسة؛ يُطلَبُ إذنٌ خاص مع مراعاة القوانين. وعليه تجب مراعاة وتطبيق والتقيّد بالروبريكات الليتورجيّة .

الأسقف وحده المُخوَّل إعطاء الإذن بإقامة قداديس خاصة خارج إطار الرعية، ولكن ضمن أبرشيته. وإذا أراد كاهن أوأسقف الاحتفال بالقداس في منزله، فعليه إستحصال إذن الأسقف المحلي لأسباب ضروريّة محدّدة.

قدّاس الشبيبة

المطران جول بطرس

لماذا القدّاس؟ "لا شَكلَ لَهُ فننَظُرَ إليهِ، ولا بَهاءَ ولا جَمالَ فنَشتَهِيَهُ!"

ينطبق قول أشعيا هذا (٥٣: ٣)، وللأسف، على الكثير من شبيبتنا عند إقبالهم إلى القدّاس الإلهيّ، فهم لا يجدون في هذه الليتورجيا ما يجذبهم حقًّا، لذلك لا يشتهون الذهاب إلى هذا الاحتفال. هناك أسباب كثيرة وراء هذا الواقع، سنتكلّم على سببَين اثنين منها، الأوّل هو شكل القدّاس الذي عندما تنظر إليه الشبيبة لا يفهمون لا لغته ولا رموزه الليتورجيّة، والسبب الثاني هو عندما يفقد القدّاس جماله الإلهيّ الحقّ، فلا تشتهي الشبيبة تذوّقه إذ يجدونه إمّا باهتًا وفاترًا ومملًّا، وإمّا مهرجانًا يبهر العيون والآذان لكنّه لا يستطيع الولوج في عمق القلب ليجدّده ويشفيه.

1- شرح لغّة القدّاس... "كيفَ أفهَمُ ولا أحدَ يَشرَحُ لي؟"

سأل يومًا فيليبّس وزير ملكة الحبشة وهو يقرأ الكتاب المقدّس: "أتفهَمُ ما تَقرَأُ؟" فأجابَه "كيفَ أفهَمُ ولا أحدَ يَشرَحُ لي؟"[٢٢٣] هٰذا هو دورنا الرعويّ الأهمّ مع الشبيبة: أن نشرح لهم قراءات الكتب ولغة القدّاس التي أضحت صعبة عليهم وبعيدة عن لغتهم المتداولة، كما يجب علينا شرح الحركات والرموز الليتورجيّة التي تملأ طقس القدّاس والتي أضحت هي أيضًا لغة "مشفّرة" لا تفهمها الشبيبة.

يكلّمنا القدّاس بالرموز، كما كلّمنا المسيح بالأمثال، وغالبًا ما يصعب على شبيبتنا التفاعل إيجابيًّا مع القدّاس لصعوبة فهمهم لتلك اللغة، كما كان يصعب على الناس فهم معاني أمثلة يسوع ورمزيّاتها. هذا الواقع لا يزال ينطبق على شبيبتنا، ولا يزال ينطبق علينا اليوم ما قاله يسوع لليهود في إنجيل متّى ١٣:

١٣وإِنَّما أُكَلِّمُهم بِالأَمثال لأَنَّهم يَنظُرونَ ولا يُبصِرون، ولأَنَّهم يَسمَعونَ ولا يَسمَعون ولا هم يَفهَمون.
١٤وفيهِم تَتِمُّ نُبوءةُ أَشَعيا حَيثُ قال: "تَسمعونَ سَماعًا ولا تَفهَمون وتَنظُرونَ نظَرًا ولا تُبصِرون.
١٥فقد غَلُظَت قَلوبُ هذا الشَّعب وأَصَمُّوا آذانَهم وأَغمَضوا عُيونَهم لِئَلّا يُبصِروا بِعيونِهم ويَسمَعوا بِآذانِهم ويَفهَموا بِقُلوبِهم ويَرجِعوا. أَفأَشفيهم؟".

---

[٢٢٣] راجع أعمال الرسل ٨: ٢٦-٤٠.

[16] *وأمَّا أنتُم، فَطُوبى لِعُيونِكم لأَنَّها تُبصِر، ولآذانِكم لأَنَّها تَسمَع. [17] الحَقَّ أَقولُ لَكم إِنَّ كثيرًا مِنَ الأَنبِياءِ والصِدِّيقينَ تَمَنَّوا أَن يَرَوا ما تُبصِرونَ فلَم يَرَوا، وأَن يَسمَعوا ما تَسمَعونَ فلَم يَسمَعوا.*

وكما كان يسوع يشرح للتلاميذ معاني أمثاله، هكذا يجب على خدّام الكلمة والمذبح أن يشرحوا لشبيبتنا معاني لغة القدّاس التي تحمل رموزها أكثر من علامات ومشاهد وتعابير جميلة، إنّها تحمل حضورَ الله بذاته. ففي عمق كلمات القدّاس وما وراء كتابة الأيقونات هناك الله حاضر، ليس بشكلٍ رمزيّ بل بشكلٍ فعليّ. وقِمَّة ملء هذا الحضور تكمن في جسد يسوع المسيح الذي نتبارك منه أو نتناوله في الأفخارستِيا، علمًا أنّ في الرموز الطقسيّة قدرة تمكّننا من الاتحاد بالله الذي يتجاوزها، فالرمز في اللّغة اليونانيّة هو ما "يوحِّد" sym-bolos، ونقيضه هو dia-bolos، الشرّير الذي يفرّق.

هذا هو الهدف الأخير من جماليّة التراتيل والصلوات والأيقونات، أن تهيّئ قلوبنا لتكون أرضًا خِصبة تنمو وتثمر فيها كلمة الربّ، وتعدّنا بالتالي لأن نلتمس وجه الربّ ونتّحد به، فنشفى بسماعنا وفهمنا وعيشنا لكلمته وبتناول جسده؛[224] هذا ما تمنّاه كثيرٌ من الأنبياء والصدّيقين، وهذا ما يعدّه الله لنا في الذبيحة الإلهيّة: "ما لم تَرَهُ عَيْنٌ ولا سَمِعَت بِه أُذُنٌ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَر، ذلكَ ما أَعدَّه اللهُ لِلَّذينَ يُحِبُّونَه" (١ قورنتس ٢: ٩). هذا ما يُكشَف لنا في القدّاس: انتظار نفوسنا لأن تلقى حبيبها ليشفي جرح الحبّ فيها ويمدّها بوفرة الحياة، الحياة الأبديّة.

قصّة مُعبِّرة

شكا مرّةً القدّيس سيرافيم ساروفسكي إلى تلميذه موتوفيلوف، في شتاء العام ١٨٣١، أنّ عالم اليوم فقد البساطة الحسنة، موضحًا ذلك باعتبار إلى أنّ مقاطع كثيرة من الكتاب المقدّس تبدو غريبة وغير مفهومة في نظر الكثير من الناس، ويتساءل: "هل لا يزال في إمكاننا أن نؤكّد أنَّ أبناء هذا العصر يتمكَّنون من رؤية الله بهذه البساطة التي كان تحلّى بها آباؤنا؟" ويعتبر أنَّه، بتأثير "أضواء" كثيرة، دخل جيل اليوم في ظلمة جَهْلٍ لا تخوّله رؤية حقائق الأمور ببساطة ووضوح. وهذا ما يصيب شبيبتنا بالتحديد: أضواء كثيرة أعمت عيونهم عن رؤية قيمة القدّاس، وأصوات كثيرة أصمّت آذانهم عن فهم معانيه.

وهكذا يشرح القدّيس سيرافيم هدف الحياة المسيحيّة: العودة إلى حِضْن الآب السماويّ والامتلاء من الروح القدس. وعندما سأله تلميذه أن يعرّفه معنى حالة النعمة، طلب سيرافيم منه أن ينظر إليه، وبفعله

[224] راجع الفصل ١٣ من إنجيل متى.

هذا "انتابه خوف شديد" إذ رأى القدِّيس متّشحًا بنورٍ إلهيّ. أمام هذا المشهد، اختبر التلميذ "فرحًا وهدوءًا وسلامًا فوق الوصف". في نهاية اللقاء، نرى سيرافيم يحضّ تلميذه على اعتبار أنّه ليس لنا فقط أُعطِيَ أن نتأمّل هذه النِّعَم، ولكن علينا أن "تمرّ بنا إلى كلّ العالم". ويردّد بعدها على سمع تلميذه المصغي إليه: "الآن أنت أيضًا صرت نورانيًّا مثلي... وإلّا لما تمكّنتَ من رؤيتي هكذا...".

يصحّ هنا قول الإنجيليّ يوحنا: "لأنَّ مَولُودَ الجسَدِ يكونُ جَسدًا ومَولُودَ الرُّوحِ يكونُ رُوحًا" (٣: ٦). على حسب مار أغسطينوس، إنّه الروح الذي يمكّن الإنسان من أن يصبح روحانيًّا وهو في جسده. ويؤكّد القدّيس غرغوريوس بالاماس أنّ مَن يؤهّل لنيل نعمة الروح يمكنه أن يدرك بحواسّه وعقله ما يفوق كلّ حاسّةٍ وكلّ إدراك.[٢٢٥]

فالنِّعَم التي ننالها في القدّاس، والجمالات التي نتأمّلها، والروح الذي نمتلئ منه أكثر فأكثر، ليس هدفها الأخير أن نتلذّذ بتذوّقها نحن فقط الآن، بل إنّها تستبق التجلّي الإلهي المنتظر، وتستبق حال النعمة المُرتَقَبة في الملكوت الآتي، وهذا ما يدفعنا في القدّاس الإلهيّ إلى أن نعبّر بأجمل ما عندنا من كلام وألوان وألحان عن السلام والفرح والجمال، تلك النِّعَم السماويّة المُرتَقَبة، والتي يسمح الله لنا بتذوّقها بنعمة الروح القدس هنا في أجسادنا وحواسّنا الآن في هذا الدهر. وهذا ما يجب عليه أن يدفعنا في نهاية كلّ قدّاس إلى أن ننطلق ونحمل إلى العالم ما ذقناه من سلام وفرح وجمال، ونبني مجتمعاتنا على مثال الجماعة المصلّية،[٢٢٦] ونبني أوطاننا هنا على الأرض على مثال الملكوت السماويّ الذي سمح لنا الله بأن نجده، وهو قريب في داخلنا، لكي نعلنه في الأرض كلّها وإلى كلّ بشر.

2- مِهرجان أوِ احتفال ليتورجيّ؟! ليس على الأرض من جمالٍ كهذا... هناك يسكن الله والبشر!

لا يكمن الجمال في القدّاس في ما يبهر الحواسّ فقط، بل في التناغم والانسجام بين ما هو ماديّ - بسيط وما هو جوهريّ - إلهيّ. فقط عندما ندرك حقيقة هذه الجماليّة في القدّاس الإلهيّ، يمكننا أن نحضّر قدّاسًا للشبيبة ليكون احتفال لقاء الله لكلّ شخص منّا ولكنيسته مجتمعة. وفقط، انطلاقًا من هذه

---

2 S. GREGORIO PALAMAS, *Tomus Hagioriticus*, PG 150, 1233D.

٢٢٦ لا تزال حياة الجماعة المسيحيّة في بدء نشأتها تُعتبَر مثالًا لكل جماعة، فلنرَ كيف يصفها لنا سفر أعمال الرسل ٢: ٤٢-٤٧ " وكانوا يُواظِبونَ على تَعليمِ الرُّسُل والمُشاركة وكَسْرِ الخُبزِ والصَّلَوات. ٤٣ واستَولى الخَوفُ على جَميعِ النُّفوسِ لِما كانَ يَجري عن أَيدي الرُّسُلِ مِنَ الأَعاجيبِ والآيات. ٤٤ وكانَ جَميعُ الَّذينَ آمنوا جماعةً واحِدة، يَجعَلونَ كُلَّ شَيءٍ مُشتَرَكًا بَينَهم، ٤٥ يَبيعونَ أَملاكَهم وأَمْوالَهم، ويَتَقاسَمونَ الثَّمَنَ على قَدْرِ احتِياجِ كُلٍّ مِنْهُم، ٤٦ يُلازِمونَ الهَيكَلَ كُلَّ يَومٍ بِقَلبٍ واحِد، ويَكسِرونَ الخُبزَ في البُيوت، ويَتناوَلونَ الطَّعامَ بِابتِهاجٍ وسَلامةِ قَلْب، ٤٧ يُسَبِّحونَ اللهَ ويَنالون حُظوَةً عِندَ الشَّعْبِ كُلِّه. وكانَ الرَّبُّ كُلَّ يَومٍ يَضُمُّ إِلى الجَماعَةِ أُولئِكَ الَّذينَ يَنالونَ الخَلاص."

المقاربة، نتفادى من أن يصبح قدّاس الشبيبة مِهرجانًا يتمّ تقييمه بقدر ما يُبهِر عيوننا وآذاننا ويُحرِّك مشاعر قلوبنا. فالقدّاس يذهب بنا إلى أبعد من تلك الأمور الجيّدة والمُهمّة. القدّاس يُرجِعنا إلى الله ليشفينا.
بهذه الكلمات يعبّر دوستويفسكي عن قناعته بموضوعنا:

هل تعلمون بأنّ الإنسانيّة تستطيع أن تستغني عن الإنكليز، يمكنها أن تستغني عن ألمانيا، وتستطيع جدًّا جدًّا أن تستغني عن الروس، وكي تحيا فإنّها ليست في حاجة لا إلى الخبز ولا إلى العلم، فهي في حاجة إلى الجمال. إنّ الجمال وحده لا غنى عنه، إذ بدون الجمال لا يبقى لنا على وجه الأرض ما نعمله. هنا يكمن السرّ كلّه، هنا يكمن كلّ التاريخ.[٢٢٧]

في جمال القدّاس يكمن سرّ الله، يكمن سرّ تاريخ الله مع البشر؛ لأنّ القدّاس هو احتفال الإنسان بتاريخ الله الخلاصيّ الذي تحقّق في تجسّد وموت وقيامة ابنه يسوع المسيح الذي، قبل صعوده إلى السماء، منَحَنا روحه المحيي، كما منَحَنا أن نقدّس جسده وخوّلنا أن نصبح نحن، جماعة المؤمنين، جسده السرّيّ واللحمِيّ أيضًا.[٢٢٨]

"الجمال سيخلّص العالم"![٢٢٩] هكذا يؤكّد دوستويفسكي مرّةً أخرى إيمانه بقدرة الجمال الخلاصيّة، فمقاييس جمال النفس لا تتغيّر ولو تغيّرت مقاييس جمال الجسد والمأكل والمشرب. في قلب كلّ إنسانٍ حيّ جرحٌ يتوق إلى حبّ الله الشافي، بعلمه أو بغير علمه، وفي نفس كلِّ إنسان عطشٌ إلى مياه الحياة يؤول به إلى الله الذي هو نبع الحياة الأبديّة، بعلمه أو بغير علمه. كلّ إنسان يتوق إلى الله، ينتظر أن يلقاه، أن يسمع كلمته، أن يتحّد به... هذا ما يمكننا أن نلقاه في القدّاس الإلهيّ، وإذا تمّ ذلك سيكون أجمل ما يمكن الإنسان أن يجده في حياته، إذ يكون قد وجد الله ذاته، "أجمل بني آدم" (مزمور ٤٥: ٣).

قصّة مُعبِّرة

أرسل فلاديمير ملك كييف الروسيّة، في أواخر القرن العاشر، سفراءه لدى المسلمين واليهود واللّاتين واليونان لكي يختار ديانةً توحّد شعب مملكته المتعدّد الأعراق واللّغات، ولم يتردّد في اختياره الديانة المسيحيّة بطقسها البيزنطيّ بعدما عبّر سفراؤه عن اختباراتهم التي عاشوها في كنيسة القسطنطينيّة إذ قالوا: "لم ندرك إن كنّا في السماء أم على الأرض، لأنّه ليس على الأرض جمالٌ كهذا".

---

[227] F.M. DOSTOEVSKY, *Devils*, Oxford World's Classics, Oxford 2008, Ch. III.

[٢٢٨] راجع ١ قورنتس ١٢: ١٢-٣٠.

[229] F.M. DOSTOEVSKY, *The Idiot*, Oxford World's Classics, Oxford 2008, P. III, Ch. V.

لم يقتصر هذا الجمال الذي لمسوه على الأمور الحسيّة، لكنّه تفوّق عليها بشكلٍ غير محدود، أضافوا: "لذلك لا نعلم ماذا نقول، لكنّ هناك أمرًا واحدًا ندركه: هناك يسكن الله والبشر...". إذًا، الجمال يكمن في حضور الله بين الناس؛ هذا الحضور الذي نتوق إليه في الاحتفال الأفخارَستيّ. وبناءً على اختبار حضور الله في الليتورجيا، نظّم آباؤنا اللاهوت والطقوس. فاللاهوتيّ هو الشخص الذي يعرف أن يصلّي، والليتورجيّ هو مَن يعرف كيف يعبّر عن الاختبار الطقسيّ بكلماتٍ لاهوتيّة.

ما ينقصنا اليوم هو ليتورجيّون مصلّون غير مترمّتين، ممتلئون من الروح المُحيي، إضافة إلى إلمامهم بالحرف الذي يقتل. عندما نحتفل حرفيًّا بالليتورجيّات ننقلها "ميتة"، فلا تشتهيها بعدُ شبيبتنا، بينما عندما نسمح للروح بأن يصلّي فينا القدّاس الإلهيّ، يجذب إليه النفوس "كما الأيّل إلى مجاري المياه" (مزمور ٤٢: ٢).

على ليتورجيا القدّاس أن تساعد المشترك المصلّي على أن يتأملّ حقيقة الله بأجمل شكلٍ ممكن، فهكذا يمكّن الإنسان من أن يتأملّ ملكوت الله السماويّ، انطلاقًا من الروح الساكن في هيكله الجسديّ وفي كلّ ما يعبّر على الأرض عن جمال الله الساكن والمصلّي فينا.

والروح القدس هذا "لن يتكلّم من عندِهِ" (يوحنا ١٦: ١٣)، لأنّ الكلمة هو المسيح، والله الآب هو مَن يلفظ الكلمة، والروح هو مَن يُفهِمُها لمن تصله. إذًا، الروح يبقى صامتًا ومتخفِيًا في ذاته، لكنّه يتفجّر بكلّ أنواع الجمال في الإنسان الذي يستقبل إلهاماته ويجسِّدها بألحانٍ وكلماتٍ ورسومٍ وألوان... ماديّة وسماويّة. هكذا يمكننا في القدّاس أن ننشد مع داود القائل: "أحببت، يا ربّ، جمال بيتك ومُقام سُكنى مجدك" (مزمور ٢٦: ٨).

ما أجمل مَن يعلن جمال الله! "ما أجمَلَ على الجبالِ أقدامَ المُبَشِّرينَ، المُنادينَ على مَسامِعِنا بالسَّلامِ، الحامِلينَ بِشارةَ الخَيرِ والخلاصِ، القائلينَ لِصِهيَونَ: قد ملَكَ إلهُكِ اسمَعي! حُرَّاسُكِ يَرفَعونَ أصواتَهُم ويُنشِدونَ جميعًا، لأنَّهُم يَنظُرونَ بأمِّ العينِ رُجوعَ الرّبِّ إلى صِهيُونَ" (أشعيا ٥٢: ٧-٨). في كلّ ذبيحةٍ إلهيّة، تُعلِن الكنيسة بشارة الخير والخلاص التي هي يسوع المسيح الذي تجسّد ومات وقام وصعد إلى السماء ولم يتركنا يتامى، بل منَحَنا روحه وكلمته وجسده.

بين الإلهام والتقليد مِساحةٌ للإبداع

الله والإنسان متشابهان، فالله قد خلقنا على صورته ومثاله وخلق كل شيءٍ لخدمة الإنسان، ويمكن الإنسان أن يستخدم كلّ شيءٍ في خدمة الله، فكل مخلوقٍ في حدّ ذاته مقدّس لأنّه يمكنه أن يصبح وسيلةً إلى خدمة الربِّ وتمجيده، ويمكننا أن نقول إنّ لا شيء في الكون حياديّ، فكلّ المخلوقات ترقب الله خالقها.

لذا، في تحضير قدّاس الشبيبة، نجد أنفسنا مدعوِّين إلى أن نستخدم إبداعنا في التعبير عن جمال الله وعن توقنا وعطشنا إلى لقياه، وعن شكرنا وامتناننا على الله بنعمه وعطاياه؛ وذلك بكلّ الوسائل التي تساعدنا على هذا الاختبار المقدّس. ولكن، هل لهذا الإبداع حدود؟ وكيف نتدارك عدم الخروج عن المسار الروحيّ كي لا نفقد الغاية الأخيرة من القدّاس؟

إنّنا في الواقع نواجه هذه التساؤلات في كلّ مرّةٍ نقوم بتحضير قدّاسٍ للشبيبة. وفي اختصارٍ شديد، يمكننا أن نقدّم عمودين أساسيّين يمكن إبداعنا الخلّاق أن يدور في حدودهما، وهما: إلهام الروح القدس، وتقليد الكنيسة الإيمانيّ القانونيّ والليتورجيّ. لذا، كي نحضّر قدّاس الشبيبة، وكي نحضّر الشبيبة للقدّاس، نحن في حاجةٍ إلى أشخاصٍ يُلهِمُهُم الروح ويُلِمّون بخبرة آبائنا القدّيسين الليتورجيّة.

المراجع

1- CONTE N., *Andate, ammaestrate e battezzate tutte le genti. Catechesi e Liturgia*, Editrice Elledidci, Torino 2006.

2- *Devils*, Oxford World's Classics, Oxford 2008. DOSTOEVSKY, F.M.

3- DOSTOEVSKY, F.M. *The Idiot*, Oxford World's Classics, Oxford 2008.

4- EVDOKIMOV P., *Teologia della bellezza. L'arte dell'icona*, Edizioni San Paolo, Milano 2017.

5- MEYENDORFF J., *Introduction à l'étude de Grégoire Palamas*, Paris 1959.

6- S. GREGORIO PALAMAS, *Tomus Hagioriticus*, PG 150, 1233D.

7- SODI M., "*La dimensione liturgica della pastorale nella vita della comunità cristiana*", pp. 123-142, in ISTITUTO DI TEOLOGIA PASTORALE DELL'UNIVERSITÀ PONTIFICIA SALESIANA (Ed.), *Pastorale giovanile. Sfide, prospettive ed esperienze,* Editrice Elledici, Torino 2003.

ملفّ التنشئة

«توجيهاتٌ راعويَّةٌ من أجل تعزيز الدَّعوات إلى الخِدْمة الكَهَنوتيَّة». وثيقةٌ كَنَسيَّة

عرَّبها من الفرنسيَّة

الخوري إيلي سمعان

مقدَّمة المعرِّب

اختار يسوع تلاميذه وأوكلَ إليهم مُهمَّة رعاية قطيعه والاهتمام به، وأقامهم شهودًا له "حتَّى أقاصي الأرض" (أع ١: ٨)، وطلب إليهم أنْ يحملوا ثمرًا ويدوم ثمرهم (راجع يو ١٥: ١٦). ومن ثمَّ، توجَّه إلى تلاميذه الاثنين والسَّبعين لمَّا أرسلهم اثنَين اثنَين ليُمَهِّدوا له الطَّريق من أجل إعلان بشارة الحياة والخلاص للنَّاس أجمعين، قائلًا لهم: "إنَّ الحصاد كثير، أمَّا الفعلة فقليلون. اطلُبوا من ربِّ الحصاد أنْ يُخرِجَ فعلةً إلى حصاده" (لو ١٠: ٢؛ وراجع أيضًا مت ٩: ٣٧). وبعد قيامة يسوع من بين الأموات، أرسل تلاميذه إلى العالم وحمَّلهم رسالةً سامية، وهي أنْ يُبشِّروا باسمه: "اذهبوا إذًا فتلمذوا كلَّ الأُمم (...)، وعلِّموهم أنْ يحفَظوا كلَّ ما أَوصيتكم به" (مت ٢٨: ٢٠). فتبع يسوعَ تلاميذ عديدون، وانطلقوا يُذيعون بُشراه حيثما حلُّوا، ويؤسِّسون الكنائس ويقيمون فيها كهنةً وشيوخًا للاهتمام بالمؤمنين.

ومع بولس بدأت الكنائس والجماعات المسيحيَّة تتنظَّم. لذا، أوصى بولس تلميذه طِيطُس ليُنظِّم الأمور في كَريت، "ويُقيم كهنةً في كلِّ مدينة" (طي ١: ٥). وقد وضعَ رسولُ الأُمم "مواصفاتٍ" لخادم الجماعة العتيد: "أنْ يكون بلا عيب، غير معجبٍ بنفسه، ولا غضوبًا (..)، بل مضيافًا، مُحِبًّا للخير، بارًّا، نقيًّا، عفيفًا (...)" (طي ١: ٧). كما أوصى تلميذه طيموتاوس قائلًا له: "لا تتسرَّع في وضْعِ يدَيك على أحد!.." (١ طيم ٥: ٢٢)؛ وفي ذلك تشديدٌ على كيفيَّة اختيار الكهنة وتنشئتهم للقيام بخدْمتهم كما يجب.

ولقد أولَتِ الكنيسة، في تعليمها الرَّسميّ، رعاية الدَّعوات الكَهَنوتيَّة الأهمِّيَّة الَّتي تستحقُّها، معتبرةً أنَّ تشجيع الدَّعوات إلى الخدْمة المكرَّسة "يقع على عاتق الجماعة المسيحيَّة كلِّها؛ ويجب أنْ تحثّ عليه أوَّلًا بحياةٍ مسيحيَّةٍ حقَّة" (**المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، "قرارٌ مجمعيٌّ في التَّنشئة الكَهَنوتيَّة"، العدد ٢). ويتوسَّع هذا القرار المجمعيّ في تبيان دور كلِّ عضوٍ من أعضاء الكنيسة: فالعائلة المسيحيَّة الَّتي ينفحها روح الإيمان والتَّقوى هي بمثابة "المدرسة الإكليريكيَّة الأُولى". وعلى الكهنة أنْ يبرهنوا على غيرةٍ رسوليَّةٍ فيجتذبوا قلوب المراهقين نحو الكَهَنوت بحياةٍ بسيطةٍ ومتواضعةٍ يملؤها الفرح. وللأساقفة دورٌ أيضًا في حثِّ شعبهم على إنماء الدَّعوات، وفي تنسيق الجهود كافَّة، وفي أنْ يكونوا "آباء" تجاه الَّذين يُبدون رغبةً في تكرّسٍ كَهَنوتيّ. كما يأمر المجمع "جميع المؤسَّسات الَّتي تُعنى بشؤون الدَّعوات (...)، أنْ تُنظِّم العمل الرَّاعويَّ كلَّه، لتشجيع

الدَّعوات بطريقةٍ منطقيَّةٍ متناغمة، دون أنْ تغفل أيَّ مساعدةٍ من المساعدات الموافقة" (**قرارٌ مجمعيٌّ في التَّنشئة الكَهَنوتيَّة**، العدد ٢).

ويُشدِّد البابا يوحنَّا-بولس الثَّاني، في الإرشاد الرَّسوليّ **أُعطيكم رعاة**، الَّذي صدر في روما بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٩٢، على مسؤوليَّة الجميع في "إيقاظ الدَّعوات وإنضاجها"، إذ يورد، في هذا الشَّأن، ما يلي: "فرعاية الدَّعوات محرِّكُها الأوَّل بل بطلها الأوَّل إنَّما هو الجماعة الكنسيَّة في مختلف وجوهها، من الكنيسة الجامعة إلى الكنيسة المحلِّيَّة، ومن الرَّعيَّة إلى جميع أعضاء شعب الله" (العدد ٤١). أمَّا **المجمع البطريركيّ المارونيّ** (٢٠٠٣-٢٠٠٦)، في النَّصّ السَّابع: **الكهنة (والشَّمامسة) في الكنيسة المارونيَّة**، فيوصي "الكهنة بأنْ يُعيروا اهتمامًا خاصًّا بإيقاظ الدَّعوات ومرافقتها. كما يوصي المجمع الأساقفة بأنْ يحثُّوا الكهنة والمسؤولين في المنظَّمات الرَّسوليَّة على تشجيع من يتحلَّون بالمؤهِّلات اللَّازمة للخِدْمة الكَهَنوتيَّة وعلى تقديمهم للأسقف" (التَّوصية، العدد ٩أ-ب). وتؤكِّد **شِرْعة التَّنشئة الكهنوتيَّة في الكنيسة المارونيَّة** (غزير، ٢٠٠٨) على المسؤوليَّة المشتركة الَّتي تقع على كاهل "الجماعة المسيحيَّة كلِّها، بخاصَّةٍ العائلة والرَّعيَّة، [الَّتي لها] دور أوَّليّ يقوم على توفير المُناخ المسيحيّ الَّذي فيه تتفتَّح بذور الدَّعوة" (العدد ٢٣، ص ٢٨).

وتأتي وثيقة **عطيَّة الدَّعوة الكَهَنوتيَّة** (*Le don de la vocation presbytérale*) [عُرِّبَتْ هذه الوثيقة، ونُشِرَتْ في المنشورات الَّتي تصدر عن الإكليريكيَّة البطريركيَّة المارونيَّة-غزير، في العام ٢٠١٨]، الَّتي صَدَرتْ حديثًا عن مجمع الإكليروس، بروما في ٨ كانون الأوَّل ٢٠١٦، والَّتي هي **الشِّرْعة الأساسيَّة للتَّنشئة الكَهَنوتيَّة** (في الكنيسة الكاثوليكيَّة)، لتضع آليةً من أجل تعزيز الدَّعوات إلى الخدمة الكَهَنوتيَّة، فتورد الآتي: "من الضَّروريّ أنْ تؤسَّس وتُطوَّر، في كلِّ أبرشيَّةٍ ومنطقةٍ وبلد، مراكز للدَّعوات الَّتي عليها (...) أنْ تشجِّع وتوجِّه راعويَّة الدَّعوات بأسرها" (العدد ١٣). وتُضيف هذه الوثيقة ما يلي: "ومن الضَّروريّ أنْ يتمَّ دعم المُبادرات الَّتي تمكِّننا من أنْ نحصل من الله على دعواتٍ جديدة: أنْ ندعم، بادئ ذي بدء، الصَّلاة الفرديَّة والجماعيَّة (...). ومن المستحبّ، أيضًا بشدَّة، أنْ يكون في كلِّ أبرشيَّةٍ مركزٌ واحدٌ لراعويَّة الدَّعوات (...)" (العددان ١٤، ١٥).

أمَّا هذه الوثيقة الَّتي نعرِّبها، فهي نتيجة مشاورة أطلقها **العمل الحَبْريّ من أجل الدَّعوات الكَهَنوتيَّة (***Œuvre Pontificale pour les Vocations Sacerdotales***)**، بطلبٍ من **مجمع التَّربية الكاثوليكيَّة**، من أجل إعداد توجيهاتٍ راعويَّةٍ تُساعد المراكز والهيئات واللِّجان المعنيَّة بالدَّعوات الكَهَنوتيَّة، على تفعيل راعويَّةٍ (pastorale) من أجل تعزيز الدَّعوات الكَهَنوتيَّة في الأبرشيَّات والبلدان كافَّة. ولقد قدَّم العاملون في راعويَّة

الدَّعوات، في الكنيسة الكاثوليكيَّة، ومن بينهم العاملون في هذا المجال في كنائسنا الشَّرقيَّة، إجاباتهم على أسئلة هذه المشاورة وخِبْراتهم واقتراحاتهم.

تُقسم هذه الوثيقة المُعنوَنة: **توجيهاتٌ راعويَّةٌ من أجل تعزيز الدَّعوات إلى الخِدْمة الكَهَنوتيَّة**، إلى ثلاثة أقسامٍ رئيسة، هي الآتية:

القسم الأوَّل، **راعويَّة الدَّعوات من أجل الخِدْمة الكَهَنوتيَّة، في العالم**. تشير الوثيقة، في هذا القسم، إلى واقع الحال وإلى مشكلة نقص الدَّعوات الكَهَنوتيَّة في الغرب، وإلى نموِّها المطَّرِد في أماكن أخرى من العالم. كما تشير إلى دور الأُسْرَة الفاعل في نقْل الإيمان وفي تشجيع أفرادها على تقديم ذواتهم لخدمة النَّاس. وتُظهِر كيف أنَّ بعض الوالدِين لا يتركون لأولادهم فرصة الإجابة، بحرِّيَّةٍ، على الدَّعوة إلى تكرُّسٍ خاصٍّ في قلب الكنيسة. من ثمَّ، تُبيِّن أنْ شهادة حياة كهنةٍ يعيشون الفرح في خدْمتهم، باتِّحادٍ أخويٍّ بعضهم مع بعض، تدفع الشُبّان إلى التَّفكير في الدَّعوة الكَهَنوتيَّة واعتناقها. كما تشير إلى دور المدرسة والمعلِّمين المسيحيِّين في تشجيع طلَّابهم.

ويحمل القسم الثَّاني منها العنوان الآتي: **دعوة الكَهَنوت الخِدْميّ وهُويَّته**. تعرِّف الوثيقة بهُويَّة الدَّعوة إلى الخدْمة الكَهَنوتيَّة على أنَّها تَتَلْمُذ للمسيح. كما تشدِّد على أهمِّيَّة تَشَبُّه الكاهن بالمسيح الخادم. ومن ثمَّ، تشير إلى البُعْدِ الإكليزيولوجيّ في خدْمة الكهنة. فالكهنة مؤهَّلون لأنْ يكونوا أدواتٍ فعَّالةً في بنيان الكنيسة، بإعلان الكلمة والاحتفال بالأسرار وتدبير شعب الله. كما تُشَدِّد الوثيقة، في هذا القسم، على ضرورة أنْ يعيش كلُّ كاهنٍ في شراكةٍ حقيقيَّةٍ وكِيانيَّةٍ مع جماعة الكهنة، وفي اتِّحادٍ مع أسقفه. وتهدف راعويَّة الدَّعوة إلى الخدمة المكرَّسة، إلى أنْ تُوَلِّد رجال شركةٍ ورسالة. وتسلِّط الوثيقة الضَّوء أيضًا على أهمِّيَّة مشاركة المدعوّ الفعَّالة في حياة الجماعة المسيحيَّة؛ إذ تُجَنِّبه هذه المشاركةُ الوقوعَ في الإكليروسيَّة (cléricalisme)، وفي العمل الرَّاعويّ بدوامٍ جزئيٍّ وفي الخيارات الخِدْميَّة المُفصَّلة على القياس الخاصّ.

ويُقدِّم القسم الثَّالث والأخير **مقترحاتٍ من أجل راعويَّة الدَّعوات الكَهَنوتيَّة**. تبدأ الوثيقة، في هذا القسم الأخير، بالتَّشديد على محوريَّة الصَّلاة وعلى ضرورة مواصلة إعلان الإيمان المسيحيّ وإعلان كلمة الله في قلب عالم اليوم. كما تشير إلى ضرورة اقتراح الإيمان المسيحيّ على الأطفال والشُّبَّان لعلَّهم يُجيبون على نداء يسوع الموجَّه إليهم بشكلٍ خاصٍّ وشخصيّ. ثمَّ تتوسَّع في شرْح دور الأُسرة والكهنة والأساقفة في تعزيز الدَّعوات إلى الكَهَنوت. وتطلب إلى الأسقف أنْ يؤسِّس **المركز الأبرشيّ للدَّعوات**، وأنْ يوكل راعويَّة الدَّعوات إلى كهنةٍ وأشخاصٍ يتمتَّعون بحماسٍ كبيرٍ وبسيرةٍ فاضلة، لكي ينقلوا فرحَ اتِّباع يسوع المسيح إلى الأطفال والشَّباب.

وإلى القارئ الكريم نصّ هذه الوثيقة(*) معرَّبًا من اللُّغة الفرنسيَّة، بشكلٍ كامل:

مجمع التَّربية الكاثوليكيَّة والعمل الحَبْريّ من أجل الدَّعوات الكَهَنوتيَّة،

توجيهاتٌ راعويَّةٌ من أجل تعزيز الدَّعوات إلى الخِدْمة الكَهَنوتيَّة،

حاضرة الفاتيكان، ٢٠١٢.

مقدَّمة

1. طالبَتْ الجمعيَّة العامَّة **لمجمع التَّربية الكاثوليكيَّة**[٢٣٠] بإصدار توجيهاتٍ راعويَّة بهدف تعزيز الدَّعوات إلى الخدمة الكَهَنوتيَّة.

ومن أجل تلبية هذا الطَّلب، قام **العمل الحَبْريّ من أجل الدَّعوات الكَهَنوتيَّة** بالتَّعاون مع مستشاريه ومع ممثِّلين من مجمع تبشير الشُّعوب ومجمع الكنائس الشَّرقيَّة ومجمع جمعيَّات الحياة المكرَّسة وجماعات الحياة الرَّسوليَّة ومجمع الإكليروس، بإعداد **مشاورةٍ** (*Enquête*) **في شأن راعويَّة الدَّعَوات الكَهَنوتيَّة**، لكي يكون في متناول يدها إطارٌ حاليٌّ يتعلَّق براعويَّة الدَّعوات، وبخاصَّةٍ الدَّعوات إلى الكَهَنوت الخِدْميّ، في مختلف مناطق العالم.

أُرسلِتَ هذه **المشاورة** بتاريخ ١٥ أيَّار من العام ٢٠٠٨، بواسطة القصادات الرَّسوليَّة، إلى جميع مندوبي راعويَّة الدَّعوات المرتبطة بالمجالس الأسقفيَّة، وإلى مدراء المراكز الوطنيَّة الَّتي تهتمّ بالدَّعوات، لكي يُقدِّموا معلوماتٍ عن حال الدَّعوات ولكي يصيغوا اقتراحات عملٍ راعويٍّ يطاولها.

إنَّ نتيجة الإجابات النَّاتجة عن هذه **المشاورة** والمُتَأتيَّة من المجالس الأسقفيَّة والمراكز الوطنيَّة أبرزَتْ الحاجة إلى وضْع خطوطٍ توجيهيَّةٍ تتعلَّق براعويَّة الدَّعوات. وتكون هذه الخطوط مرتكزةً على فكرٍ لاهوتيٍّ واضحٍ ومثبَتٍ يرتبط بالدَّعوة وبهُويَّة الكَهَنوت الخِدْميّ.

(*) للحصول على النَّصّ الفرنسيّ الأصليّ، راجع Congrégation pour l'Éducation Catholique et l'Œuvre Pontificale pour les Vocations Sacerdotales, *Orientations pastorales pour la promotion des vocations au ministère sacerdotal*, Cité du Vatican, 2012; document consulté, le 1/3/2018, sur le site internet suivant: *http://www.jeunes-vocations.catholique.fr*.

[٢٣٠] لقد تناولَت الجمعيَّة العامَّة لمجمع التَّربية الكاثوليكيَّة هذا الموضوع في العامَين ٢٠٠٥ و٢٠٠٨.

I. راعويَّة الدَّعوات من أجل الخِدْمة الكَهَنوتيَّة، في العالم

1. يتميَّز واقع الدَّعوات الكَهَنوتيَّة في العالم، اليوم، بتناقضٍ كبير، وهو واقعٌ مكوَّنٌ من ظلالٍ وأضواء. وإذا كان الغرب يُعاني من مشكلة نقص الدَّعوات الكَهَنوتيَّة، فإنَّ القارَّات الأخرى تعرف ازديادًا واعدًا على الرُّغم من إمكانيَّاتها المحدودة.

إنَّ النَّقص المُتزايد في عدد الكهنة وارتفاع متوسِّط أعمارهم والرَّغبة في أَنْجَلَةٍ جديدةٍ عوامل تُحدِّد ملامح الواقع الكنسيّ الجديد في البلدان ذات التَّقليد المسيحيّ.[٢٣١]

يسهم تدنِّي الولادات في تدنِّي الدَّعوات من أجل تكرُّسٍ خاصٍّ أيضًا. وتتأثّر حياة المؤمنين الكاثوليك تأثُّرًا كبيرًا بالبحث الجنونيّ المُفرِط عن الخيرات المادِّيَّة وبتَدَنِّي الممارسة الدِّينيَّة اللَّذَان يُبعدان المؤمنين عن الخِيارات الجريئة والمُتطلِّبة الَّتي يفرضها الإنجيل.

ومثلما كتب البابا بنديكتُس السَّادس عشر: "في عصرنا هذا، نحن مُوقِنون لـ"لا" الَّتي يقولها المدعوُّون الأوَّلون. في الواقع، يرفض "المدعوُّون الأوَّلون" الجدُد، في المسيحيَّة الغربيَّة، بغالبيَّتهم، الدَّعوةَ، إذ لا وقت لديهم ليُخصِّصوه للرَّبّ".[٢٣٢]

وعلى الرُّغم مِنْ أنَّ راعويَّة الدَّعوات في أوروبّا وفي البلدان الأمِريكيَّة منظَّمةٌ وخَلَّاقَة، فإنَّ النَّتائج الَّتي أحرزتها لا تتوافق والجهد المبذول. ولكنَّنا، إلى جانب الحالات الصَّعبة الَّتي يجب أنْ نواجهها بشجاعةٍ وصدق، نسجِّل بعض دلائل الانتعاش، بخاصَّةٍ في الأماكن الَّتي تُعاش فيها الحياة المسيحيَّة بشكلٍ جليٍّ وقويّ.

2. كانت صلاة الجماعة المسيحيَّة، ولا تزال، تُعزِّز في شعب الله، حسًّا مشتركًا تجاه الدَّعوات، بشكل "تضامنٍ روحيّ".[٢٣٣]

---

[٢٣١] "يشكِّل العدد القليل جدًّا من الكهنة الشَّباب، في بعض المناطق بشكلٍ خاصّ، مسألةً جدِّيَّةً تُطرَح على العمل الرَّاعويّ لذا، نحن نسأل الرَّبّ، بثقةٍ وبإلحاحٍ متواضع، وبالاشتراك مع الجماعة المسيحيَّة كلِّها، أنْ يهبنا عمَّالًا جُدُدًا وقدِّيسين لحصاده (راجع مت ٩: ٣٧-٣٨). ونحن ندرك أنّ الرَّبّ، أحيانًا، يجعلنا ننتظر، ولكنَّنا ندرك أيضًا أنَّ الَّذي يقرع سيلقى جوابًا. وبالتَّالي، نحن نواظِب، بثقةٍ وبصبر، على الصَّلاة لكي يهبنا الرَّبّ "عُمَّالًا" جُدُدًا يكونون قدِّيسين" (Benoit XVI, *Discours aux participants à l'Assemblée Générale de la conférence épiscopale italienne,* 24 mai 2007, in *Insegnamenti* III, 1 [2007] 917-918).

[٢٣٢] Benoit XVI, *Homélie de la Messe avec les Évêques de la Suisse* (7 novembre 2006), in *Insegnamenti* III, 2 [2006] 573.

[٢٣٣] "فلنُحِطْ إخوتَنا في الرَّبّ بتضامننا الرُّوحيّ! ولنُصلِّ ليبقوا أمينين للرِّسالة الَّتي دعاهم إليها الرَّبّ، وليبقوا مُستعدِّين لكي يُجدِّدوا، كلَّ يوم، الـ"نَعَمَ" الَّتي قالوها لله، وليُجدِّدوا "ها أنا" من دون أيِّ تحفُّظ! ولنطلُبْ من سيِّد الحصاد، في هذا الأسبوع المُخصَّص للدَّعوات، أنْ يستمرّ في أنْ يعطينا كهنةً عديدين، قدِّيسين يكرِّسون ذواتهم بشكلٍ كلِّيّ، لخِدْمة الشَّعب المسيحيّ"! (Benoit XVI, *Homélie de la Messe d'ordination de prêtres et de diacres du Diocèse de Rome*, 29 avril 2007, in *AAS*, 99 [2007] 350).

إنَّنا نشهد نموًّا مُطَّردًا للدَّعوات الكَهَنوتيَّة في جميع الأماكن الَّتي تنمو وتزدهر فيها راعويَّةٌ متكاملةٌ تطاول العائلات والشَّباب، أو راعويَّةٌ ذات طابعٍ رساليٍّ، مرتبطةٌ براعويَّة الدَّعوات. إذ تصبح الكنيسة المحلِّيَّة، بحقّ، "مسؤولةً عن نشأة الدَّعوات الكَهَنوتيَّة وعن إنضاجها"[٢٣٤]. ولا يقتصر بُعْدُ الدَّعوة، إذًا، على إضافة بعض البرامج والمقترحات، بل يصير هذا البُعد تعبيرًا طبيعيًّا عند الجماعة كلِّها.

وتشير المعطيات الإحصائيَّة في الكنيسة الكاثوليكيَّة والأبحاث الاجتماعيَّة إلى أنَّ مبادرات الأنْجلة الجديدة الَّتي تُتَّخَذ في الرَّعايا والجمعيَّات والجماعات الكنسيَّة والحركات[٢٣٥] تُمَكِّن الشَّباب من إعطاء جوابٍ على دعوة الله ومن تقديم حياتهم لخدمة الكنيسة.

وتبقى **العائلة** الجماعة الأولى الَّتي تنقل الإيمان المسيحيّ. في كلِّ مكان، نستنتج أنَّ دعواتٍ كَهَنوتيَّةً عديدةً تنشأ في العائلات الَّتي تُقدِّم مثالًا حيًّا لحياةٍ مسيحيَّةٍ متجانسة، وفي العائلات الَّتي تعيش الفضائل الإنجيليَّة؛ هذا المثال الحيّ وهذا العيش للفضائل يسهمان في إنبات رغبة في عطاءٍ كلِّيّ. في الواقع، يفترض إيلاء الدَّعوات الأهمِّيَّة الَّتي تستحقُّها، راعويَّةً صلبةً تطاول العائلة.

ومن المفيد أنْ نضيف أنَّ مسألة الدَّعوة إلى الكَهَنوت تنشأ، غالبًا، عند الأطفال والشُّبَّان، نتيجة شهادة فرحٍ يقدِّمها الكهنة.

وتوقظ شهادة كهنةٍ متَّحدين بالمسيح، ويعيشون الفرح في خدمتهم، باتِّحادٍ أخويٍّ بعضهم مع بعض، عند الشَّباب إحساسًا بالميل إلى الدَّعوة. ويقدِّم الأساقفة والكهنة للشَّباب صورةً ساميةً وجذَّابةً للكهنوت الخِدْميّ. "إنَّ حياةَ الكهنة وبذْلَهم المطلق في خِدْمة شعب الله وشهادةَ محبَّتهم الخاصَّة للرَّبّ ولكنيسته - شهادةً موسومةً بوَسْمِ الصَّليب ومرضيَّةً في الرَّجاء والفرح الفِصْحيّ- ووفاقَهم الأخويّ، ونشاطَهم في حمل البُشرى إلى العالم، هي أُوّل العوامل وأفعلها في إخصاب الدَّعوات الكَهَنوتيَّة"[٢٣٦].

في الواقع، يُقدِّم **الكهنة** غالبًا، شهادةً على تفانٍ تجاه الكنيسة، وعلى عطاءٍ بفرح، وعلى تأقلمٍ متواضعٍ مع مختلف الأوضاع حيث يُدعَون إلى الخدْمة. فإنَّ مثَلَهم يستحِثّ الرَّغبة على الالتزام، بسخاء، في الكنيسة، ويستحثّ الإرادة على تقديم الحياة إلى الرَّبّ وإلى الإخوة[٢٣٧]. وإنَّ التزام الكهنة تجاه الأشخاص

---

[٢٣٤] يوحنّا-بولس الثَّاني، الإرشاد الرَّسوليّ **أُعطيكم رعاة**، ٢٥ آذار ١٩٩٢، العدد ٤١ (عُرِّبَ هذا الإرشاد الرَّسوليّ، وصدر من ضمن منشورات اللَّجنة الأسقفيَّة لوسائل الإعلام، المركز الكاثوليكيّ للإعلام-جل الديب (لبنان). المعرِّب).

[٢٣٥] **المرجع نفسه**، العدد ٦٨.

[٢٣٦] **المرجع نفسه**، العدد ٤١.

[٢٣٧] "خدمة المحبَّة هي لبّ كلّ دعوةٍ وجوهرها، وتتحقَّق خصوصًا في دعوة الكاهن" (**المرجع نفسه**، العدد ٤٠).

الَّذين عندهم عطشٌ إلى الرَّبّ، وعطشٌ إلى القيَم الدِّينيَّة، والَّذين هم في حالٍ من الفقر الرُّوحيّ الكبير، يؤثِّر تأثيرًا كبيرًا في الشَّباب.[٢٣٨]

ونلاحظ، أيضًا، أنَّ شبَّانًا عديدين يكتشفون دعوةً إلى الكهنوت وإلى الحياة المكرَّسة بعد أنْ يكونوا قد اختبروا خبرةً في **العمل التَّطوُّعيّ** (*bénévolat*)، أو اختبروا خِدْمةَ المحبَّة تجاه أشخاصٍ يعيشون الآلام وهم فقراء وفي حالات فاقةٍ وعَوَز، أو بعد أنْ يكونوا قد خدموا مدَّة في الرِّسالات الكاثوليكيَّة.

وتُشكِّل **المدرسة**، بالنِّسبة إلى الأطفال والشَّباب، إطارًا حياتيًّا آخر؛ وفي قلب هذا الإطار، يمكنهم لقاء أحد الكهنة الَّذين يزاولون التَّعليم، أو يمكن مشاركة في إحدى مبادرات تعميق الإيمان المسيحيّ، أنْ تشقَّ طريقًا يؤدِّي إلى تمييز الدَّعوة.

3. إنَّ انتشار ذهنيَّةٍ مُتَعَلْمِنَةٍ يمنع الشَّباب من الإجابة على دعوة اتِّباع الرَّبّ يسوع، بجذريَّةٍ وبسخاء.

ولقد مَكَّنَت الإجاباتُ العديدة الَّتي أرسلَتْها الكنائس المحلِّيَّة على **المشاورة** الَّتي أعدَّها **العمل الحَبْريّ من أجل الدَّعوات الكَهَنوتيَّة** من إبراز سلسلةٍ من الأسباب الَّتي تقود الشَّباب إلى الإشاحة بنظرهم عن الدَّعوة الكَهَنوتيَّة أو إلى تأجيلها إلى مستقبلٍ غير محدَّد.

ومن ناحيةٍ أخرى، لا يترك الوالِدُون لأولادهم سوى مساحةٍ ضيِّقةٍ لإمكانيَّة تلبية الدَّعوة إلى تكرُّسٍ معيَّن، وذلك عندما يتعلَّق الأمر بانتظاراتهم في شأن مستقبل أولادهم.

جانبٌ آخر يعاكس الدَّعوة إلى الكَهَنوت، ألا وهو التَّهميش التَّدريجيّ الَّذي يطاول هذه الدَّعوة، في الحياة الاجتماعيَّة، ومن أبرز نتائجه غياب الدَّعوة الكَهَنوتيَّة من المجال العامّ. بالإضافة إلى ذلك، ترتفع أصواتٌ متعدِّدةٌ لتطالب بإعادة النَّظر في خيار البتوليَّة. كما أنَّ ذهنيَّةً متعلْمِنَةً بالإضافة إلى آراءٍ مغلوطةٍ من داخل الكنيسة تميل إلى أنْ تُقلِّل من قيمة موهبة البتوليَّة وخيارها، حتَّى ولو أنَّه لا يمكننا أنْ نُنكر الآثار السَّلبيَّة الجسيمة الناتجة عن الوهن والشُّكوك الَّتي سبَّبَتْها قلَّة الأمانة تجاه واجبات الخِدْمة الكَهَنوتيَّة، ولا

---

[٢٣٨] "إنَّ حماسكم واتِّحادكم وحياة الصَّلاة الَّتي تعيشونها وخدمتكم السَّخيَّة كلُّها ضروريَّة. يمكن أنْ تشعروا بالتَّعب أو بالخوف أمام المُتَطلَّبات الجديدة والصُّعوبات الجديدة، ولكن علينا أنْ نضع ثقتنا بالرَّبّ الَّذي يهبنا القوَّة حتَّى نتمِّم ما يطلبه منّا. فلنُصلِّ ولنَكُنْ متأكِّدين من أنَّه لن يسمح لنا بأنْ نفتقر إلى الدَّعوات إذا كنَّا نلتمسها في الصَّلاة، وإذا كنَّا -في الوقت عينه- نسهر على البحث عنها وعلى حمايتها براعويَّةٍ تطاول الشَّباب والدَّعوات، راعويَّةٍ مملوءةٍ من الغيرة والإبداع، وتمكِّن من إظهار جمال الخدْمة الكَهَنوتيَّة"! (Benoit XVI, *Discours à Assise: Rencontre avec les prêtres, les diacres, les religieux, les religieuses, les supérieurs et les élèves*, 17 juin 2007, in *Insegnamenti* III, 1 [2007] 1138).

سيَّما الاعتداءات الجنسيَّة، إذ زَرَعَتِ الاضطرابَ عند الشَّباب الَّذين كانوا مستعدِّين، على الرُّغم مِنْ كلّ شيء، للإجابة على نداء الرَّبّ.

يمكن حياة الكهنة، الَّتي تنجرف -أحيانًا- في تيَّار النَّشاط المُفرط (activisme excessif)، بالإضافة إلى العبء الزَّائد في العمل الرّعائيّ، أنْ تحجب بهاء الشَّهادة الكَهَنوتيَّة أو تُضعفه. وفي هذا الإطار، إنَّ العمل المنتظم والمتلاحق الَّذي يطاول اتِّجاهات الشَّباب الشَّخصيَّة، والمرافقة الرُّوحيَّة الَّتي يَحظَوْن بها، يُقدِّمان فرصةً لعَرْض الدَّعوة ولتمييزها، وبخاصَّةٍ الدَّعوة إلى الكَهَنوت.

II. دعوة الكَهَنوت الخِدْميّ وهُويَّته

4. يتحدَّد موقع هُوِيَّة الدَّعوة إلى الخدْمة الكَهَنوتيَّة، في قلب الهُويَّة المسيحيَّة، بأنَّها تتلمذٌ للمسيح. "قصَّة كلِّ دعوةٍ كَهَنوتيَّة، بل كلّ دعوةٍ مسيحيَّة، هي قصَّة حوارٍ لا يوصف بين الله والإنسان، بين محبَّة الله الدَّاعِية وحرِّيَّة الإنسان الَّذي يلبِّي الله في المحبَّة".[٢٣٩]

وتُبرِز الأناجيل الدَّعوةَ على أنَّها لقاء حبٍّ مذهلٌ ما بين الله والإنسان. وهذا هو سرّ الدَّعوة، سرٌّ يلمس حياة كلِّ مسيحيٍّ ولكنَّه يبيّن، بوضوح، في حياة أولئك الَّذين يدعوهم المسيح إلى أن يتركوا كلَّ شيءٍ ويتبعوه عن قرْب. ولقد اختار المسيح، منذ البدء، أشخاصًا ليعاونوه، بثقة، من أجل إتمام التَّدبير الخلاصيّ الَّذي صمَّمه الآب.

والمسيح نفسه، قبْل أنْ يدعو تلاميذه إلى رسالةٍ محدَّدة، دعاهم إلى تَرْك كلِّ شيءٍ ليعيشوا اتِّحادًا عميقًا به، أي "ليكونوا" معه (مر ٣: ١٤).[٢٤٠]

ولا يزال الرَّبُّ القائم من الموت، يدعو اليوم أيضًا الكهنةَ العتيدين ليجعل منهم كارزين حقيقيِّين وشهودًا على حضوره الخلاصيّ في قلب العالم.

وتتوَلَّدُ من هذه الخبرة النَّموذجيَّة الحاجةُ إلى أنْ نصبح رفقاء المسيح القائم من الموت، وأنْ نشرع في سلوك مسار حياةٍ حيث لا شيء فيه مُقرَّرًا مسبَّقًا، وحيث نكون منفتحين بطواعيَّةٍ على سرِّ الله الَّذي يدعو.

---

[٢٣٩] يوحنّا-بولس الثَّاني، **أُعطيكم رعاة**، العدد ٣٦. راجع *La Pastoral Vacacional en el Continente de la Esperanza* (Primer Congresso Continental Latinoamericano de Vocaciones, 23-27 maggio 1994), a cura di Pontificia Obra para las Vocaciones, Consejo Episcopal Latinoamerico-CELAM, Conferencia Latinoamericana de Religiosos-CLAR, Itaici, São Paulo-Brasile, p. 1-13.

[٢٤٠] يوحنّا-بولس الثَّاني، **أُعطيكم رعاة**، العدد ٣٤.

5. إنَّ المسيح الرَّاعي هو أساس الخدْمة الكَهَنوتيَّة ومثالها.[241] وقد قرَّر هو نفسه أن يمنح بعضًا من تلاميذه القُدرة على أنْ يُقدِّموا الذَّبيحة الأفخارَستيَّة وأنْ يغفروا الخطايا.

"كما أرسل الآب المسيح، أرسل المسيحُ رسلَه وأشرك بواسطتهم خلفاءَهم الأساقفة في مَسحته ورسالته، وسُلِّمَت أيضًا إلى الكهنة مسؤوليَّة مُهِمَّة الأساقفة بصورةٍ تربطهم بهم، لكي يصيروا في الدَّرجة الكَهَنوتيَّة الَّتي أُقيموا فيها معاوني الدَّرجة الأسقفيَّة، لتتميم الرِّسالة الرَّسوليَّة الَّتي ائتمنهم عليها المسيح".[242]

لذلك، يتشبَّه (est configuré) الكاهنُ بالمسيح الكاهن الَّذي يُخَوِّله أنْ يعمل **في شخص المسيح** (*en la personne du christ*) الرَّأس والرَّاعي،[243] كما يؤكِّد ذلك، بوضوحٍ تامّ، التَّعليم في شأن **طابع الدَّرجات المقدَّسة**. ويتأصَّل كيان الكاهن وعمله الخِدْميّ في الأمانة لله الَّذي يُقيم، بشكلٍ دائم، في الكاهن، ويُميِّزه عن سائر المعمَّدين الَّذين يشتركون في الكهنوت العامّ، وذلك بفعل الهبة الرُّوحيَّة الَّتي يمنحه إيَّاها سرّ الدَّرجة. ويشارك الكاهن، في كونه متَّحدًا بالدَّرجة الأُسقفيَّة، في سلطة المسيح الَّذي "يُنمي ويُقدِّس ويدبِّر جسدَه نفسَه".[244]

وهكذا، يتميَّز الكَهَنوت الخِدْميّ، في جوهره، عن الكَهَنوت العامّ، ويبقى في خدْمة هذا الكَهَنوت العامّ.[245] في الواقع، "من يقبل كهنوت الخدْمة ينعم بالسُّلطة المقدَّسة، فيكوِّن الشَّعب الكهنوتيّ ويسوسه، ويُكمِّل بالنِّيابة عن المسيح ذبيحة الأفخارستيَا ويُقرِّبها إلى الله باسم الشَّعب بكامله؛ أمَّا المؤمنون، فيسهمون، بكَهَنوتهم الملوكيّ، في تقدمة الأفخارستيَا، ويمارسون كهنوتهم باقتبال الأسرار وبالصَّلاة والشُّكران، وبشهادة حياتهم المقدَّسة والكفْر بذواتهم ومحبَّتهم الفعَّالة".[246] ففي هذا غاية الخدْمة الكَهَنوتيَّة وكمالها".[247]

---

[241] **المرجع نفسه**، العدد ٢٣.

[242] **المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، قرارٌ مجمعيٌّ في حياة الكهنة وخدمتهم الرَّاعويَّة **الدَّرجة الكهنوتيَّة**، العدد ٢؛ راجع **المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، دستور عقائديّ في الكنيسة **نور الأُمم**، العدد ٢٨.

[243] راجع **المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، قرارٌ مجمعيٌّ في حياة الكهنة وخدمتهم الرَّاعويَّة **الدَّرجة الكهنوتيَّة**، العدد ٢.

[244] **المرجع نفسه**.

[245] راجع **المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، دستور عقائديّ في الكنيسة **نور الأُمم**، العدد ١٠.

[246] **المرجع نفسه**.

[247] راجع **المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، قرارٌ مجمعيٌّ في حياة الكهنة وخدمتهم الرَّاعويَّة **الدَّرجة الكهنوتيَّة**، العدد ٢.

إذًا، من الواضح، أنَّ العطيَّة الَّتي نالها الكهنة بوَضْعِ الأيدي يجب أنْ "تُوقَظَ" (راجع ٢ طيم ١: ٦) دومًا، لكي يتمكَّن الكهنة "بصلواتهم وعبادتهم، وبتبشيرهم وتقديم ذبيحة الأفخارستيَا، وبمنح سائر الأسرار والقيام بما تبقَّى من الخِدْمات في سبيل النَّاس، (مِنْ أنْ) يحملوا البشر على التَّقدُّم في الحياة الإلهيَّة".[٢٤٨]

إنَّ هذا البُعدَ الأوَّل لسرِّ الدَّرجة، الَّذي يحمل طابعًا كريستولوجيًّا، هو في أساس البُعد الإكليزيولوجيّ.[٢٤٩] ومثلما أنَّ الكنيسة تلتئم بالمسيح القائم من بين الأموات، هكذا الكهنة هم مؤهَّلون أيضًا، بواسطة سرّ الدرجة، أنْ يكونوا أدواتٍ فعَّالةً في بنيان الكنيسة، بإعلان الكلمة والاحتفال بالأسرار وتدبير شعب الله.[٢٥٠] ومن دون هذه المواهب، تفقد الكنيسة هُويَّتها. لذا، إنَّ الكَهَنوت الخِدْميّ هو محورٌ أساسيٌّ وحيويٌّ في وجود الكنيسة، لأنَّه العلامة الفعَّالة لأوَّليَّة النِّعمة الَّتي بها يبني المسيحُ القائم من الموت، في الرُّوح، كنيستَه.[٢٥١]

ويجد الكهنة، الَّذين يمثِّلون المسيح الرَّاعي، في تفانيهم التَّامّ من أجل الكنيسة، العنصرَ الَّذي يوحِّد هُوِيَّتهم اللَّاهوتيَّة وحياتهم الرُّوحيَّة. ولهذا السَّبب، "محبَّة الكاهن تنتسب أوَّلًا إلى محبَّة يسوع المسيح، ولا تستطيع أنْ تصبح نبعًا ودليلًا ومقياسًا وحافِزًا إلى محبَّة الكاهن وخدمته للكنيسة إلَّا بمقدار ما تتجرَّد لمحبَّة المسيح الرَّأس والعريس ولخدمته".[٢٥٢] وإذا لم يجد الكَهَنوت أساسه في هذا الحبّ، يصبح مقتصرًا على تأدية خدمةٍ وظيفيَّةٍ بدلًا من أنْ يكون خدمةً يؤدِّيها راعٍ يبذل حياته في سبيل خرافه. إذًا، يُشكِّل الحبُّ الَّذي يكنُّه المدعوُّ للمسيح، الدَّافع الأوَّليّ للدَّعوة إلى الكَهَنوت.

6. إنَّ الخدْمة الكَهَنوتيَّة الَّتي يمنحها سرّ الدَّرجة، مطبوعةٌ في طبيعتها بالحياة الثَّالوثيَّة،[٢٥٣] حياة يمنحنا إيَّاها المسيح كما يمنحنا إيَّاها اتِّحاده مع الآب، في الرُّوح القدس. وتطبع هذه الحياة الثَّالوثيَّة، بشكلٍ أساسيٍّ عميق، الهُويَّة الكَهَنوتيَّة.[٢٥٤]

---

[٢٤٨] **المرجع نفسه**.

[٢٤٩] راجع يوحنَّا-بولس الثَّاني، **أُعطيكم رُعاة**، العدد ١٦.

[٢٥٠] راجع **المجمع الفاتيكانيّ الثَّاني**، قرارٌ مجمعيٌّ في حياة الكهنة وخدمتهم الرَّاعويَّة **الدَّرجة الكهنوتيَّة**، الأعداد ٤-٦.

[٢٥١] راجع يوحنَّا-بولس الثَّاني، **أُعطيكم رعاة**، العدد ١٥.

[٢٥٢] **المرجع نفسه**، العدد ٢٣.

[٢٥٣] "الهُويَّة الكَهَنوتيَّة، كما عبَّر عنها آباء السِّينودُس، ككلّ هُويَّةٍ مسيحيَّةٍ، تنبع من الثَّالوث (...). كلّ هُويَّةٍ مسيحيَّة، وبالتَّالي الهُويَّة المميَّزة للكاهن وخدْمته، إنَّما تتجلَّى في الكنيسة من حيث هي سرّ شركةٍ ثالوثيَّةٍ في اتِّجاهٍ رسوليّ. فالكاهن بقوَّة سرِّ المسحة الَّتي نالها بسرّ الكَهَنوت، يرسله الآب،

ويعيش كلُّ كاهنٍ في شراكةٍ حقيقيَّةٍ وكيانيَّةٍ في جماعة الكهنة، وفي اتِّحادٍ مع أسقفه. في الواقع: "إنَّ الخدمة الكَهَنوتيَّة، من ذات طبيعتها، لا تستطيع أنْ تتحقَّق إلَّا بمقدار ما يكون الكاهن مُتَّحِدًا مع المسيح، باندماجه الأسراريّ في النِّظام الكَهَنوتيّ، وبالتَّالي بمقدار ما يكون في شركةٍ تراتبيَّةٍ (أو إيررخيّه) مع أسقفه. وتتميَّز الخدْمة الكَهَنوتيَّة، جوهريًّا، «بطابعٍ جماعيّ»، ولا يمكننا الاضطلاع بها إلَّا «كعملٍ جماعيّ»"[٢٥٥].

يخدم الكاهن **الشركة** (*communio*) في الكنيسة باسم يسوع المسيح. إذ إنَّ الرَّبَّ ينادي الكاهن، شخصيًّا، ويدعوه إلى علاقةٍ شخصيَّةٍ به، وإلى خبرة أُخوَّةٍ رسوليَّة، وإلى رسالةٍ رعويَّةٍ ذات أساسٍ ثالوثيٍّ بيِّنٍ. فال"نحن" («nous») الرَّسوليّ الَّذي هو انعكاسٌ للشَّركة الثَّالوثيَّة ومشاركةٌ فيها، يُعطي تحديدًا لهُويَّة الخدمة المكرَّسة[٢٥٦].

لذا، على مسار الدَّعوة وعلى التَّنشئة أنْ يستعيدا، بوضوحٍ تامّ، العناصر الأساسيَّة للحياة الثَّالوثيَّة[٢٥٧]، هذه العناصر الَّتي تُميِّز الخدمة المكرَّسة، لأنَّ دعوة المسيح الشَّخصيَّة هي في خدمة حياةٍ تتَّصف بالشّركة-الرِّسالة، حياة هي انعكاسٌ للحياة الثَّالوثيَّة.

إذًا، تقوم إحدى أهمّ وظائف راعويَّة الدَّعوات على أنْ تقترح على الأطفال والشَّباب خبرةً مسيحيَّة، خبرةً تسمح لهم بأنْ يختبروا حقيقة الله في شراكةٍ مع الإخوة وفي إطار الرِّسالة الَّتي تُؤَنْجِل[٢٥٨]. وفي ما هم واعون لانتِسابهم إلى عائلةٍ واحدةٍ مؤلَّفةٍ من أبناءٍ وبناتٍ للآب الواحد الَّذي يحبُّهم محبَّةً كبرى، هم مدعوُّون إلى أنْ يعيشوا كإخوةٍ وأخواتٍ وإلى أنْ يضعوا أنفسهم "في خدمة الأنْجَلَة الجديدة ليُعلِنوا الحقيقة المذهلة، أي حقيقة محبَّة الله الخلاصيَّة"[٢٥٩].

بواسطة يسوع المسيح من حيث هو رأس شعبه وراعيه، ليعيش ويعمل بقوَّة الرُّوح القدس على خدمة الكنيسة وخلاص العالم" (**المرجع نفسه**، العدد ١٢).

[٢٥٤] "هكذا نستطيع أنْ نفهم هويَّة الكاهن، في طابعها "العلاقيّ" الجوهريّ: فبالكَهَنوت النَّابع من صميم سرّ الله المُعجز، أي من محبَّة الآب ونعمة يسوع المسيح وموهبة الوحدة في الرُّوح القدس، يندمج الكاهن سرِّيًّا في الشركة مع الأسقف وسائر الكهنة ليخدم شعب الله، أي الكنيسة، ويقود جميع النَّاس إلى المسيح" (**المرجع نفسه**).

[٢٥٥] **المرجع نفسه**، العدد ١٧.

[٢٥٦] راجع **المرجع نفسه**، العدد ٧-٩.

[٢٥٧] راجع **المرجع نفسه**، العدد ١٧.

[٢٥٨] فقبل أن نبرمج لِمُبادراتٍ عمليّة، يجب أن **ننمي روحانيَّة الاتِّحاد**، إذ نظهرها كمبدإٍ تربويٍّ حيثما يتكوّن الإنسان والمسيحيّ، وحيثما يتربَّى خُدَّام المذبح، الأشخاص المكرّسون، العاملون الرَّعويُّون، وحيث تتأسَّس العائلات والجماعات" (يوحنَّا-بولس الثَّاني، الرِّسالة الرَّسوليَّة **نحو ألفيَّةٍ جديدة**، العدد ٤٣).

[2] Jean-Paul II, *Message pour la XLII[e] Journée Mondiale de Prière pour les[9] Vocations* (17 avril 2005), in *Insegnamenti* XXVII, 2 (2004) 115.

تهدف راعويَّة الدَّعوة إلى الخدْمة المكرَّسة إلى أنْ تُوَلِّد رجال شركةٍ ورسالةٍ قادرين على أنْ يستلهِموا "الوصيَّة الجديدة" (يو ١٣: ٣٤)، الَّتي هي مصدر "روحانيَّة الشراكة".

إنَّ تعزيز الدَّعوات والتَّمييز الَّذي يستتبعه يقدِّران تقديرًا كبيرًا هذه الخبرة المسيحيَّة الَّتي هي أساسٌ لسبيل النِّعمة، هذا السَّبيل المنقوش في سرِّ الدَّرجة، وهي شرطٌ لأنْجَلةٍ أصيلة.

7. يجب القيام بتمييزٍ متعقِّلٍ وحكيمٍ، وفي الوقت المناسب، انطلاقًا من الشُّروط الأساسيَّة الموضوعة لقبول الكَهَنوت، بهدف تقييم أهليَّة "المدعوِّين". توقِن راعويَّة الدَّعوات بأنَّ الإجابة على الدَّعوة ترتكز على التَّناغم التَّدريجيّ لشخصيَّة المدعوّ في مختلف مكوِّناتها: الإنسانيَّة والمسيحيَّة، والفرديَّة والجماعيَّة، والثَّقافيَّة والرِّعائيَّة.

"معرفة الكَهَنوت الرَّعويّ، طبيعةً ورسالة، هي المُفتَرَض اللّازم، وفي الوقت نفسه، الدَّليل الأوثق والحافز الأقوى لتطوير العمل الرَّعويّ في الكنيسة، الهادف إلى تعزيز الدَّعوات الكَهَنوتيَّة وتمحيصها، وتنشئة المدعوِّين في الخدْمة المكرَّسة":[260]

لهذه الغاية، تميل هذه الرَّاعويَّة، بادئ ذي بدء، إلى السَّعْيِ لتنمية الشَّخص بكلِّيَّته وبتمامه (sa totalité et son intégralité) لكي تُعِدَّ "المدعوِّين" إلى الكَهَنوت حتَّى يتمثَّلوا (se conformer) بالمسيح الرَّاعي، في إطار خبرةٍ جماعيَّةٍ عميقة.

ومن حقّ كلِّ مدعوٍّ أنْ يحصل على الوسائل الَّتي تمكِّنه من أنْ يحيا علاقة حبٍّ حميمةً بالآب الَّذي دعاه، وبالابن الَّذي يجعله مُشابهًا له، وبالرُّوح الَّذي يكوِّنه (le façonne)، وذلك بالتَّربية على الصَّلاة والإصغاء إلى الكلمة والمشاركة في الأفخارستيَا والصَّمت المُتأتِّي من السُّجود.

يترافق اقتراح الدَّعوة على المدعوّ مع تولِّي هذا الأخير، تدريجيًّا، بعض المهامّ والخِيارات والمسؤوليَّات الَّتي تسمح له، من ناحيةٍ أخرى، بقيام تمييزٍ واسعٍ وعميقٍ عن مدى صدْق الدَّعوة.

إنَّ النُّضْج العاطفيّ مرحلةٌ ضروريَّةٌ لتقبُّل نعمة السِّرّ. من المفضَّل أنْ نتجنَّب اقتراح الدَّعوة على أشخاصٍ تطبعهم أوَهانٍ (fragilités) عميقة على المستوى الإنسانيّ، ولو اختبروا مسيرة توبةٍ جديرةً بالثَّناء.

ومن المهمّ أنْ يتبيَّن المدعوُّ إلى الكَهَنوت، بوضوحٍ تامّ، الالتزامات الَّتي عليه أنْ يتبنَّاها، وبخاصَّةٍ التزامات البتوليَّة.[261]

---

[260] يوحنّا-بولس الثَّاني، **أُعطيكم رعاة**، العدد ١١.

على الدَّعوة أنْ تتأصَّل في إطارٍ كنسيٍّ محدَّدٍ يمكنه أنْ يؤمِّن ثباتًا لخِيار الدَّعوة، وأنْ يسهم في تصويب الانحرافات الفردانيَّة الممكنة الَّتي قد يقع فيها هذا الخيار.[٢٦٢] وفي هذا الاتِّجاه عينه، تتَّسِم نوعيَّةُ الخبرة الرَّعويَّة والأبرشيَّة، بالإضافة إلى التردُّد على جمعيَّاتٍ وحركاتٍ كنسيَّةٍ والمشاركة الفاعلة فيها، بأهمِّيَّةٍ أساسيَّة.[٢٦٣]

عادةً، يجب أنْ تتوافر، للشَّابّ خبرةُ حياةٍ جماعيَّةٍ قبْل أنْ يدخل إلى الإكليريكيَّة.

8. يؤدِّي الأشخاص الَّذين يرافقون الدَّعوة الكَهَنوتيَّة، من بَعدِ الكاهن الَّذي شجَّع بدايات الدَّعوة ودعَمَها، دورًا حاسمًا. فالعلاقة التَّربويَّة بالمُنشِّطين، بالإضافة إلى نمط الحياة الأخويّ مع المدعوِّين الآخرين، يجعل تمييز خيار الدَّعوة أصدق وأصوَب.

إنَّ حياة الكهنة وحياة الجسم الكَهَنوتيّ الأبرشيّ، اللَّتَين توحِّدان صورة الكاهن المثاليَّة بشروط الخدمة في الحياة اليوميَّة وتُعطيه حيثيَّات مرئيَّةً، تُعزِّز من دون أدنى شكّ، مسيرة نموِّ الدَّعوة إلى الخِدْمة الكَهَنوتيَّة.

وتسهم وجوه الكهنة العديدين المكرَّمين لأنَّهم قدِّيسون، بشكلٍ أكيد، في بثِّ الشَّجاعة والسَّخاء في المدعوِّين. ويشكِّل الكهنة الَّذين يتفانون، كلِّيًّا، في ممارسة خدمتهم الرَّعويَّة، أمثلةً مرجعيَّةً صلبةً لترسيخ الأسباب الَّتي أودَت بالمدعوِّين إلى الكَهَنوت إلى اختيار الخدْمة الكَهَنوتيَّة.

يكفي أنْ نذكر القدِّيس جان-ماري فيَّانيه، خوري آرس القدِّيس، الَّذي قدَّمه البابا بنديكتُس السَّادس عشر، إلى جميع الكهنة، مثالًا مضيئًا، وذلك خلال العام ٢٠١٠ عامَ الكَهَنوت. ومعه، يمكننا أنْ نشير إلى كهنةٍ عديدين آخرين اتَّصفوا بِخِدْمتهم المثاليَّة، قد رافقوا بتفانٍ شعب الله في طريقه على مَرِّ الزَّمان، في الكنائس المحلِّيَّة.

[٢٦١] "تستحقّ تنشئة طلَّاب الكَهَنوت في البتوليَّة، انتباهًا خاصًّا بها. فمن المهمّ أنْ يتعلَّموا أنْ يعيشوا البتوليَّة وأنْ يُقدِّروها، معتبرين أنَّها عطيَّةٌ ثمينةٌ من الله وعلامةٌ نهيويَّةٌ بامتياز تشهد على حُبٍّ لا انقسام فيه، حبٍّ لله ولشعبه، وأنَّها تجعل الكاهن شبيهًا (configuré) بيسوع المسيح، رأس الكنيسة وعريسها. في الواقع، تُعبِّر عطيَّةٌ مثل هذه، أساسًا، عن "خدمة الكاهن للكنيسة في الرَّبّ ومعه"، وتُمَثِّل قيمةً نبويَّةً لعالم اليوم". (Benoit XVI, *Lettres aux évêques, aux prêtres, aux personnes consacrées et aux fidèles laïcs de l'Église Catholique de la République de Chine*, 27 mai 2007, in *AAS*, 99 [2007] 577).

[٢٦٢] راجع يوحنّا-بولس الثَّاني، **أُعطيكم رعاة**، العدد ٩.

[٢٦٣] **المرجع نفسه**، العدد ٦٨.

ومن المهمّ أيضًا أنْ يبتهل الكهنة، بثقةٍ وإلحاح، إلى العذراء مريم، والدة الكهنة، لكي تُساعدهم على أنْ يتلقَّوا بطواعيَّةٍ مشروع الله في حياتهم، وعلى أنْ يقولوا بإيمانٍ ومحبَّةٍ "نَعَم" للرَّبّ الَّذي يدعو دومًا فعلةً جدُدًا إلى أن يُعلنوا ملكوت الله.

9. يقتضي نموّ الدَّعوة الكَهَنوتيَّة ونضوجها حبًّا ملموسًا تجاه الكنيسة المحلِّيَّة الَّتي ينتمي إليها المدعوّ، واستعدادًا تامًّا للقيام بجميع الخدْمات الرَّاعويَّة؛ وهذا ما يمكّن المدعوّ من أنْ يختبر الحرِّيَّة الدَّاخليَّة، وألَّا يشعر بأنَّه سيِّد دعوته.

ويمكن مشاركة المدعوّ الفعَّالة في حياة الجماعة المسيحيَّة أنْ تُجَنِّبه الوقوعَ في أشكالٍ جديدةٍ من الإكليروسيَّة (cléricalisme)، وفي حالات المركزيَّة الرَّاعويَّة غير المفيدة، وفي العمل الرَّاعويّ بدوامٍ جزئيٍّ والخيارات الخِدْميَّة المُفصَّلة على القياس الخاصّ وفاقًا للحاجات الفرديَّة، ممَّا يسبِّب بفِقْدان حياة الجماعة ووحدتها.

وإذا ما أردْنا بناء كنيسةٍ في حالة إرسالٍ دائمٍ، فعلى دعوة الكاهن السَّعْيُ إلى أنْ تُنْمي جماعةً غنيَّةً بالخِدْمات، جماعةً تفسح مجالًا واسعًا لمشاركة المؤمنين العلمانيّين الفعَّالة والمسؤولة.

وعلى الشُّبَّان الَّذين يسمعون نداء الدعوة إلى الكَهَنوت أنْ يتعلَّموا التَّعاون مع الآخرين، وأنْ يقيسوا أنفسهم (se mesurer à) مقارنة بالجماعة المسيحيَّة وأنْ يقدِّروا مختلف الدَّعوات، وذلك لكي يكونوا قادرين على تنشيط هذه الجماعة ودعمها.

إنَّ البعد الجامع (أو الشَّامل) هو جزءٌ لا يتجزَّأ من الخدْمة الكَهَنوتيَّة؛[٢٦٤] وتجعل السِّيامةُ الكاهن قادرًا على القيام بالرِّسالة الَّتي تشكِّل وجهًا أساسيًّا من أوجه الهويَّة الكَهَنوتيَّة.

وفي هذا المعنى، من الأهمِّيَّة بمكانٍ أنْ ننشِّئَ المدعوَّ إلى الكَهَنوت في الاهتمام بالأشخاص القريبين (من الكنيسة)، ومن دون أن يغفل أولئك البعيدين عنها.

إنَّ الاستعداد للرِّسالة هو ما يُحدِّد هويَّة الكاهن في مختلف نشاطاته. وهذا ما يفرض على المدعوِّ أنْ يصوغ بُنيةً داخليَّة، وألا يكتفي بطريقة تصرُّفٍ خارجيَّةٍ (manière de faire)، بل أنْ يصوغَ كِيانًا (manière

[٢٦٤] راجع مجمع الإكليروس، **دليل في خدمة الكهنة وحياتهم**، ٣١ كانون الثَّاني ١٩٩٤، العددان ١٤-١٥ (عُرِّبَ هذا الدَّليل، راجع مجمع الإكليروس، **دليل في خدمة الكهنة وحياتهم وملحق في روحانيَّة الكاهن المارونيّ**، منشورات الإكليريكيَّة البطريركيَّة المارونيَّة-غزير، غزير-لبنان، ٢٠١٧. المعرِّب).

d'être) يتميَّز بشجاعةٍ تقوده إلى الخروج مِنَ التَّعلُّق بالمصلحة الذَّاتيَّة (particularisme)، ليفتح قلبه على حاجات الأنْجَلَة الجديدة.

III. مقترحاتٌ من أجل راعويَّة الدَّعوات الكَهَنوتيَّة

10. إنَّ الدَّعوات الكَهَنوتيَّة هي ثمرة عمل الرُّوح في الكنيسة. وتسجِّل بعض البلدان نموًّا مطَّردًا وواعِدًا في الدَّعوات الكَهَنوتيَّة، وهذا ما يشجِّع على متابعة السَّير في طريق تعزيز الدَّعوات.

غير أنَّ الكنيسة الَّتي تدرك ضرورة الدَّعوات إلى الكَهَنوت، تدرك -في الوقت عينه- أنَّ هذه الدَّعوات هي عطيَّةٌ من الله. لذا، هي تسأل الرَّبَّ -في ابتهالٍ دائمٍ ملؤه الثِّقة- بأنْ يمنحها هذه الدَّعوات بوفرة.

"في الحقيقة، إنَّ الله، ربَّ الحصاد، هو الَّذي يختار فعَلَتَه عندما يدعو الأشخاص بقرارٍ مجانيٍّ ومفاجئ. وانطلاقًا من سرّ العهد الَّذي أقامه معنا، نحن مدعوُّون إلى التَّعاون مع عنايته باستعمالنا القوَّة الكبيرة الَّتي استودَعنا إيَّاها، ألا وهي: **الصَّلاة**! وهذا ما طلبه يسوع منَّا: «صلُّوا لربِّ الحصاد أنْ يُرسل فعلةً إلى حصاده!»".[٢٦٥]

تلمس الصَّلاة قلب الله. وتصبح الصَّلاة، بالنِّسبة إلى المؤمن، مدرسة حياةٍ عظيمةً إذ تُعلِّم الإنسان أنْ ينظر إلى العالم وإلى حاجات كلّ إنسان، بحكمةٍ إنجيليَّة. لا بل أكثر من ذلك، توحِّد الصَّلاةُ القلوب بمحبَّة المسيح للإنسانيَّة وبتألُّمه معها.[٢٦٦]

تُفيد خبرة كنائس عديدة بأنَّ أعدادًا كبيرةً من الشَّباب تتنبَّه للدَّعوة إلى الكَهَنوت الخِدْميّ بخاصَّةٍ في الجماعات الَّتي تشكِّل الصَّلاةُ فيها بُعدًا ثابتًا وعميقًا.

11. تطغى على الغرب ثقافةٌ لا تُبالي بالإيمان المسيحيّ ولا تقدر أنْ تفهم قيمة الدَّعوات إلى تكرُّسٍ خاصّ.

بيد أنَّ الكنيسةَ المدعوَّة إلى أنْ تعيش في الزَّمن، تعرف أنْ تُعاين بحكمة، في مجرى التَّاريخ، حضور الله الَّذي يُرافق ويسأل بإلحاحٍ ويدعو إلى تحقيق العهد، حتَّى في الأوقات الَّتي تبدو قليلة الثَّمر. وهي تنظر "إلى

---

2 Jean-Paul II, *Discours aux membres de «Serra International»*, 7 décembre 2000, in *Insegnamenti*, XXIII- 2 (2000) 1050; Cf. *Discours aux membres du Mouvement «Serra International» pour les vocations*, 29 mars 1980, in *Insegnamenti*, III- 1 (1980) 759-761.

2 Jean-Paul II, *Message pour la XXXVIII Journée Mondiale de Prière pour les Vocations*, 6 mai 2001, in *AAS*, 93 (2001) 98-102.

العالم بتعاطفٍ عميقٍ، حتَّى ولو أنَّ هذا العالم يشعر بأنَّه غريب عن المسيحيَّة؛ إذ لا يمكن الكنيسة أنْ تشعر بأنَّها غريبة عن العالم، مهما كان موقف العالم منها"[٢٦٧].

ولا تزال الكنيسة، في أيّامنا هذه، تعلن كلمة الله وتوصل البُشرى السَّارَّة بجرأة الحقيقة. وهي تسعى، خاصّة، إلى أنْ تقترح على الأطفال والشُّبَّان، الإيمانَ الَّذي يقلب الحياة رأسًا على عَقِب، والَّذي يقدِّم جوابًا على العطش إلى السَّعادة، هذا العطش الَّذي نجده في قلب الإنسان.

ويتعلَّق الأمر بأنْ نقترح خبرة الإيمان باعتباره علاقة شخصيَّة وعميقة بالرَّبِّ يسوع المسيح الَّذي يكشف سرَّ الله.

ومن جواب الإيمان، يولَد، فيما بعد، اكتشاف الدَّعوة، وبخاصَّةٍ عندما يُعاش هذا الإيمان في قلب جماعاتٍ مسيحيَّةٍ تحيا جمال الإنجيل، وفيها منشِّطون ومربُّون قادرون على اكتشاف علامات الدَّعوة.

وإذا رغبنا في أنْ نقترح الإيمان المسيحيّ بشكلٍ يمكِّن من أنْ يولِّد إجاباتٍ تتعلَّق بالدَّعوات، فعلينا أنْ نسهِّل قيامَ مساحاتٍ صادقةً للعلاقات الإنسانيَّة[٢٦٨] بعمل مُرَبِّين ومُرافقين ناضجين في الإيمان؛ وذلك في أوساطٍ جماعيَّةٍ تتميَّز بحياةٍ مسيحيَّةٍ تجذب الآخر وتدعوه إلى الالتزام.

من المفيد أنْ نقترح، مباشرة، الحياة الكَهَنوتيَّة على الأطفال والشُّبَّان؛ ومن المناسب، في الوقت عينه، أنْ ندعو الجماعات المسيحيَّة إلى أنْ تُصلِّي، بزخمٍ أكبر، "إلى ربِّ الحصاد" (مت ٩: ٣٨) لكي يُخرِجَ خدَّامًا جددًا وأشخاصًا مكرَّسين جددًا.

من أجل بلوغ هذه الغاية، من المفيد أنْ تضع الكنائس المحلِّيَّة موضع التَّنفيذ راعويَّةً شاملةً تحمل زخمًا إنجيليًّا ورساليًّا ووزخمًا مرتبطًا بالدَّعوة الكَهَنوتيَّة.

12. كلّ أعضاء الكنيسة مسؤولون عن الاعتناء بالدّعوات الكَهَنوتيّة. "وقد صرّح المجمع الفاتيكانيّ الثاني بوضوحٍ ما بعده وضوح، أنَّ واجب تشجيع الدَّعوات يقع على الجماعة المسيحية كلّها، وهي تقوم به، بدءًا، إذا سلكَتْ سلوكًا مسيحيًّا كاملًا (**قرارٌ مجمعيّ في التَّنشئة الكَهَنوتيَّة، العدد ٢**). هذا اليقين هو المبدأ الَّذي من منطلقه يكتسب العمل الراعويّ لأجل الدَّعوات الكَهَنوتيَّة وجهه الكنسيّ الحقّ، ويضطلع

---

2 PAUL VI, *À Bethléem: invitation à la fraternité, à l'union et à la paix*, 6 janvier 1964, in *AAS*, 56 (1964) 177; *L'Osservatore Romano*, Anno CIV, n. 5 (7-8 gennaio 1964) 2.

[٢٦٨] راجع **نحو ألفيَّةٍ جديدة**، العدد ٤٥، في: *Novo millennio ineunte*, n. 45, in *AAS*, 93 (2001) 298-299

بنشاطٍ متناغم، مستعينًا أيضًا بما هنالك من أجهزةٍ مختصَّة، ووسائل التَّعاون والمشاركة في المسؤوليَّة"[٢٦٩].

أسّس الكرسيّ الرّسوليّ، منذ سبعين عامًا، **الأعمال الحبريّة من أجل الدَّعوات الكهنوتيَّة**، بهدف تعزيز العمل المشترك للكرسيّ الرَّسوليّ والكنائس المحلِّيَّة بهدف تشجيع الدّعَوات على الكَهَنوت الخِدْميّ.

تُعنى هذه الهيئة بنشر **الرِّسالة في مناسبة يوم الصّلاة من أجل الدَّعوات** وبالتَّعريف بها، هذه الرِّسالة الَّتي يوجّهها الأب الأقدس، كلَّ عامٍ، إلى الكنيسة جمعاء. وتهدف أيضًا إلى جَمْع المبادرات، الأكثر أهمِّيَّة، المُتَعلِّقة بالدّعوات، وإلى نشرها؛ هذه المبادرات الَّتي تُغني الكنائس المحلِّيَّة. كما تنظِّم الهيئة مؤتمراتٍ دوليَّةً وتشترك في انعقاد مؤتمراتٍ قاريّة، بهدف تشجيع جميع العاملين في راعويّة الدَّعوات على التَّآزر في ما بينهم.

تُظهِر خبرة العقدَين الأخيرَين أنَّ **رسالة** الأب الأقدس تساعد الكنائس المحلِّيَّة على تحديد برامج سنويَّةٍ لراعويّة الدَّعوات، وعلى اقتراحها ووضْعها موضع التَّنفيذ.

يلعب الأساقفة دورًا مركزيًّا وبارزًا في ما يتعلّق بتشجيع الدّعوات، وبخاصَّةٍ الكَهَنوتيّة منها. "إنَّ المسؤوليَّة الأولى في رعاية الدَّعوات الكَهَنوتيَّة تقع على الأسقف (**قرارٌ مجمعيٌّ في مهمَّة الأساقفة الرَّاعويَّة**، العدد ١٥)، وعليه أنْ يتحمَّلها شخصيًّا حتَّى وإنِ اضطُّر إلى الاستعانة بعددٍ من المعاونين. إنَّه الأب والصديق لأبنائه الكهنة وعليه أن "يحافظ على استمراريَّة" الموهبة والخدْمة الكَهَنوتيَّة، بما يجبيه من طاقاتٍ جديدة، بوضع اليد. ومن واجباته السَّهر على أنْ يظلَّ هَمُّ الدَّعوات ماثلًا دومًا في إطار الجهود الرَّاعويَّة العاديَّة، بل مندمجًا فيها ومُتَماهيًا وإيَّاها. وعليه تقع أيضًا مسؤوليَّة التَّشجيع والتَّنسيق لجميع المساعي المعنيَّة بالدَّعوات الكَهَنوتيَّة"[٢٧٠]:

على الأساقفة أنْ يوكلوا راعويّة الشَّباب وراعويّة الدّعوات إلى كهنةٍ وأشخاصٍ قادرين، بحماسٍ وبمِثال حياتهم، أن ينقلوا فرحَ اتِّباع يسوع المسيح بمدرسة الإنجيل.

---

[٢٦٩] **أعطيكم رعاة**، العدد ٤١.

[٢٧٠] **أعطيكم رعاة**، العدد ٤١؛ راجع **المجمع الفاتيكانيّ الثّاني**، قرارٌ مجمعيٌّ في التنشئة الكَهَنوتيَّة، العدد ٢؛ **مجموعة الحقّ القانونيّ** (اللّاتينيّ)، العدد ٣٨٥.

على الصّعيد الأبرشيّ، على الأسقف أنْ يؤسِّس المركز الأبرشيّ للدَّعوات. هذا المركز الَّذي يتكوَّن من كهنةٍ ومكرَّسين ومكرَّساتٍ وعلمانيّين، هو هيئة شراكةٍ توضَع في خدمة راعويَّة الدَّعوات في الكنائس المحلّيَّة، ويكون هدفها تعزيزَ الدّعوات من أجل تَكرُّسٍ خاصٍ، في إطار مجموع الدَّعوات كلّها.

يهتمّ المركز الأبرشيّ للدَّعوات بتنشئة منشِّطين من أجل راعويَّة الدّعوات، ويستحِثُّ ثقافة الدّعوة في شعب الله وينشرها في أوساطه، ويشارك في وضْع برنامج العمل الرَّاعويّ في الأبرشيّة، ويتعاون مع الهيئات الأبرشيَّة المسؤولة عن راعويّة العائلة، وراعويَّة التَّعليم المسيحي، وراعويَّة الشباب.

في الأبرشيَّات والرَّعايا، من المناسب أنْ نشجِّع المجموعات الَّتي تُعنى بالدَّعوات وأنْ ندعمها؛ هذه المجموعات الَّتي تقترح مساراتٍ ترتبط بالتَّربية المسيحيَّة وبتمييزٍ أوّليٍّ للدَّعوات.[٢٧١]

إنَّ المراكز الَّتي تُعنى بالدّعوات، سواء أكانت وطنيَّةً أم مشتركةً ما بين أبرشيَّاتٍ عديدة، والَّتي حازَتْ تفويضًا منَ المجالس الأسقفيّة، والَّتي يشرف عليها عادةً أحد الأساقفة، هي مولجة في التنسيق بين مراكز الدّعوات الخاصَّة بالأبرشيّة.

13. تجد نعمة الدَّعوة (l'appel) أرضًا خِصْبةً في الكنيسة الَّتي توفِّر ظروفًا مؤاتيةً لإجابات على الدّعوة تتَّصِف بالحرّيَّة والسَّخاء، وذلك بجماعاتها الكنسيَّة وجميع المؤمنين فيها.

طلب الطُّوباويّ (القدّيس) يوحنّا-بولس الثاني إلى الأساقفة: "إعادة تنشيط النَّسيج الاجتماعيّ للجماعة المسيحيّة بأنجلة العائلة، ومساعدة العلمانيين على نشر قيَم التَّرابط والعدالة والمحبّة في عالم الشَّباب".[٢٧٢]

تصبح شهادة **الجماعات المسيحيّة** القادرة على الدِّفاع عن إيمانها، في عصرنا هذا، لضروريّة أكثر فأكثر، إذا أردنا من المسيحيّين الملتزمين باتّباع المسيح أن يتمكّنوا من أنْ ينقلوا محبَّته إلى الآخرين. فإنَّ الشَّراكة الَّتي تجمع المؤمنين بالمسيح تُهيِّئُ لتَقبُّل نداء الرَّبّ الذي يدعو إلى التَّكرُّس والرِّسالة.

---

[٢٧١] **أعطيكم رعاة**، العدد ٤١.

[2] Jean-PAUL II, *Message pour la XXX Journée mondiale de Prière pour les Vocations*, 10 mai 1992, in *Insegnamenti*, XV-2, (1992) 135.

يتمّ التَّشجيع على الدَّعوة الكَهَنوتيّة، أوّلًا، في الأُسَر المسيحيّة. فإنْ كان روحُ الإيمان والمحبّة والتّقوى هو الَّذي يحرِّكُ هذه الأُسَر، فإنّها ستشكِّل "الإكليريكيّة الأُولى" (**قرارٌ مجمعيٌّ في التَّنشئة الكَهَنوتيَّة**، العدد ٢)، "وستوفّر الشُّروط المؤاتية لتَفَتُّح الدَّعوات".[٢٧٣]

حتّى وإنْ كانت الأُسَر تربِّي حِسَّ الاحترام لصورة الكاهن، فإنَّها تُبدي، وبخاصةٍ في الغرب، صعوبةً في تقبُّل دعوة أحد أبنائها إلى الخدمة الكَهَنوتيّة أو إلى الحياة المُكرَّسة.

هناك مِساحةٌ تربويَّةٌ مشتركةٌ لراعويّة العائلة وراعويّة الدّعوات. لذلك، يجب حثّ الأهل على تَحَمُّلِ مسؤوليَّة مهمَّتهم (ministère) كمربّين على الإيمان، هذه المهمَّة المُتجذِّرة في سرّ الزّواج، لكي تنمو الشّروط الإنسانيّة والرُّوحيَّة (surnaturelles) الَّتي تشجِّع على اكتشاف الدّعوة الكَهَنوتيَّة في قلب العائلة.

أمَّا في ما يتعلَّق بالرّعيّة، فهي المكان الأمثل من أجل إعلان البُشرى السّارة الخاصَّة بالدَّعوة المسيحيّة، وبالأخص، من أجل إظهار مثال الكَهَنوت الخِدْميّ. إنّها الأرض الخِصْبة حيث تنبت الدَّعوات وتنضج، بشرط أنْ تكون الرَّعيَّة "عائلةَ الله، أخوَّةً لها نَفْسٌ واحدةٌ بالمسيح، في الرُّوح"[٢٧٤]، وأنْ تتميَّز بأسلوب حياة الجماعات المسيحيّة الأولى (راجع أع ٢: ٤٢؛ ٤: ٣٢).

تُظهِر الرّعيَّة، بوضوح، تنوُّعَ الدَّعوات، وتوَعِّي بشدَّةٍ الحاجة الماسَّة إلى الدّعوات الكَهَنوتيَّة، من أجل تأمين الاحتفال بالأفخارَسْتِيَا وبسرّ المصالحة.

إنَّ الجماعة الرّعويَّة حوضٌ خِصبٌ، وهي تقدر على أنْ تسهم، بشكلٍ كبير، في التَّنشئة الإنسانيّة والرُّوحيَّة لِمَن هم في مسيرةٍ نحو الكَهَنوت الخدْميّ.

إنَّ دور الكهنة والمكرَّسين، وبخاصةٍ من يعمل منهم في الجماعات الرَّعويَّة، حاسمٌ في تشجيع الأولاد والمراهقين والشباب، علانيَّة، على الدَّعوة الكَهَنوتيّة، وذلك بعملٍ تربويٍّ وحكيمٍ ومقنع، قادرٍ على أنْ يُبرِزَ عندَهم السُّؤال في ما يتعلَّق بالدَّعوة.

في الرّعية، يمكن أساتذة التَّعليم المسيحيّ والمنشِّطين الرَّاعويّين، وبالعرْض الشَّامل الخاصّ بالرِّسالة المسيحيّة، أن يلفتوا النّظر وأن يشيروا الى الرَّوابط الثَّمينة الَّتي تجمع مواضيع التَّعليم المسيحي بتقديم الدَّعوات المحدّدة، وبخاصّةٍ الدَّعوة الكَهَنوتيّة، "وبخاصَّةٍ المسؤولين عن التَّعليم الدينيّ، والمعلِّمين والمُربِّين والمُهتَمّين برعاية الشباب. ولكلٍّ على حسب طاقاته وكفاءاته، مهمَّةٌ كبيرةٌ في رعاية الدَّعوات الكَهَنوتيَّة.

---

[٢٧٣] يوحنَّا-بولس الثَّاني، **أُعطيكم رعاة**، العدد ٤٠.

[٢٧٤] **نور الأمم**، العدد ٢٨.

فبمقدار ما يستقصون معنى دعوتهم ورسالتهم في الكنيسة، يتمكّنون مِنْ أنْ يستوعِبوا قيمة الدَّعوة والرِّسالة الكَهَنوتيَّة وطابعها الإلزاميّ".[٢٧٥]

14. من المناسب تذكير الطُّلَّاب الإكليريكيّين بحقيقةٍ راعويّةٍ مُثْبَتَة: "ما من أحدٍ يقدر على أنْ يبشِّر الشَّباب، سوى الشَّباب أنفسهم. إنَّ الطُّلَّاب الشَّباب الَّذين يتحضَّرون للكَهَنوت، والشُّبَّان والشَّابات الَّذين يتابعون تنشئةً دينيّةً ورساليَّة، على صعيدٍ شخصيٍّ أو جماعيّ، هم، من بين الشُّبَّان الآخرين، الرُّسُل الأَوَّلون والمباشرون للدَّعوة".[٢٧٦] ويجب، فضلًا عن ذلك، الاهتمام بالجماعات الكنسيّة المنظَّمة وبالحركات والجمعيّات الَّتي تُشكِّل أماكن تربويَّةً ثمينةً من أجل القضيَّة الكَهَنوتيَّة. إنَّ الاهتمام الَّذي نُبديه حيال الأشخاص والحثّ (propostion) الرُّوحيّ الواضح والمُركَّز على الصلاة يشجِّعان على لقاء المسيح، في الأماكن الَّتي ذكرناها أعلاه؛ إذ إنَّ عددًا كبيرًا من الدّعوات يُولَد انطلاقًا من هذه الاختبارت.[٢٧٧]

في المدرسة، إن المعلِّمين الملتزمين بتأدية خدمةٍ معيّنةٍ هي، بطبيعتها، دعوةٌ ورسالة، يمكنهم توسيع أفق عمل العائلة التَّربويّ على صعيد الثّقافة، من دون أن يغفلوا البتَّة أنَّ الوجود، بحدِّ ذاته، يحمل بُعْدَ الدَّعوة.

يمكن خدْمتهم أنْ تضيء على خيار حياةٍ تُبذَل، بكلِّيَّتها، من أجل الله ومن أجل الإخوة، إذ تبثُّ "في قلوب الأحداث والشُّبَّان، الرَّغبة في تحقيق مشيئة الله في اختيار الحالة المناسبة لكلّ فرد، من غير أنْ تُستَبعَد البتَّة الدَّعوة إلى الخدمة الكَهَنوتيَّة".[٢٧٨]

في بلدانٍ عديدة، أصبحت الفترة الجامعيّة، بالنّسبة إلى الشباب، وقتًا خِصْبًا من أجل الخيارات المرتبطة بالحياة الشَّخصيَّة. وهذا ما يتطلّب منّا اهتمامًا كبيرًا؛ لأنَّ سِنِي الشّباب ثمينةٌ ومفصليَّةٌ في ما يتعلَّق بالبحث عن ملء معنى الوجود.

---

[٢٧٥] **أُعطيكم رعاة**، العدد ٤٠.

[٢٧٦] Congrégation pour les Églises Orientales, pour les Religieux et les Instituts séculiers, pour l'Évangélisation des peuples, pour l'Éducation catholique, *Sviluppi della cura pastorale delle vocazioni nelle chiese particolari: esperienze del passato e programmi per l'avenire*. Document conclusif du II congrès international des évêques et autres responsables des vocations ecclésiastiques- Rome, 10-16 mai 1981, 2 mai 1982, n. 41.

[٢٧٧] راجع **أعطيكم رعاة**، العدد ٤١.

[٢٧٨] **أعطيكم رعاة**، العدد ٤٠. راجع Congrégation pour l'éducation catholique, *Éduquer ensemble dans l'école catholique*, 8 septembre 2007, n. 19.

أمَّا في ما يختصّ بمنشِّطي النَّشاطات الترفيهيّة والرّياضيّة في المؤسّسات الكنسيّة، فإنَّهم، إلى جانب الدَّوافع المحدّدة الخاصَّة بهم والقِيَم الإنسانيّة الَّتي من الممكن أنْ تطوّرها هذه النَّشاطات، مدعوّون إلى ألّا ينسوا الغايةَ السَّامية ألا وهي: تنشئة الإنسان تنشئةً متكاملة ومتناغمة (intégrale et harmonieuse). وبقدر ما ترتبط هذه التَّنشئة الإنسانيَّة المتكاملة والمتناغمة بالقضيَّة التَّربويَّة المسيحيّة، يمكنها أنْ تشكِّل، في الواقع، أرضًا خِصبةً تعرْض الدَّعوة الكَهَنوتيّة.

إنّ الإرشاد الرّوحي هو شكلٌ مميَّزٌ من أشكال تمييز الدّعوة ومرافقتها. إنَّه يتطلَّب من الكهنة جهوزيّةً حقيقيّةً للإصغاء والحوار، والقدرة على إثارة التَّساؤلات الأساسيّة المرتبطة بالوجود وعلى إعطاء الأجوبة المناسبة على هذه التساؤلات؛ كما يتطلَّب منهم الإرشادُ الرُّوحيّ حكمةً أكيدةً لكي يتمكَّنوا من طَرْحِ الأسئلة المُرتبطة بالخيارات الَّتي على الإنسان أن يلتزم بها في الحياة، وبالدّعوة إلى الخدْمة الكَهَنوتيّة.

يجب أنْ يتلقَّى الكهنة، في تنشئتهم الأساسيَّة والمُستدامة في الخدْمة الكَهَنوتيَّة، إعدادًا خاصًّا في ما يختصّ بالإرشاد الرُّوحيّ والمشورة المرتبطة بالدَّعوة.

15. إنَّ تعزيز الدّعوة الكَهَنوتيّة يجد مرتكزاته في المقترحات المُتعلِّقة بالتنشئة في الحياة المسيحيّة، هذه المقترحات المبنية على سماع الكلمة والمشاركة في الأفخارستيا وعيش المحبّة.

يمرّ إعلان الكلمة بالكرازة الَّتي تجذب وتُحدّد طرق وأشكال تطبيق الإنجيل في حياة المؤمنين والجماعات الكنسيّة. "الكرازة تستهدف تَوًّا سرّ الدعوة في الكنيسة، ومكانة الكَهَنوت الرَّاعويّ وضرورته المُلِحَّة لشعب الله"[٢٧٩].

إنَّ التعليم المسيحيّ هو أيضًا طريقٌ طبيعيٌّ من أجل تعزيز الدّعوات، عندما يساعد الأولاد والشّباب على تقييم الحياة باعتبارها جوابًا على نداء الرَّبّ، وعلى استقبال عطيَّة الدّعوة الشَّخصيّة بإيمان.

يفسح التَّعليم المسيحيّ الذي يُعِدُّ الَّذين يستعدون لنوال سرِّ التثبيت، الفرْصة لهؤلاء لكي يتعرَّفوا إلى عطايا الرّوح القدس وإلى المواهب والخِدَم، وإلى مختلف الدَّعوات المرتبطة بها.

لا يمكن أيّ شكلٍ من أشكال التَّعليم المسيحيّ أنْ يتغاضى عن التَّعريف بالدَّعوة الكَهَنوتيّة. "لا بدَّ إذن من تعليمٍ متماسكٍ يوزَّع بطريقةٍ ملائمةٍ على جميع أبناء الكنيسة، فيبدّد شكوكَهم ويتصدّى للأفكار

[٢٧٩] أعطيكم رعاة، العدد ٣٨.

المنحازة والمنحرفة في شأن الخدْمة الكَهَنوتيَّة، لا بل يفتح أيضًا قلوب المؤمنين على ترقُّب هذه العطية ويتيح ظروفًا مؤاتية لتفتُّح دعواتٍ جديدة":[٢٨٠]

تسهم الإفخارستيَا، الَّتي هي محور حياة المسيحيّ وحياة الجماعة، في تقديم مسارٍ ليتورجيٍّ أسراريٍّ قادرٍ على أنْ يُغذِّي، اعتياديًّا، طريق كلِّ دعوة.

يُعتَبر التَّرَدُّد الدّائم والمُنتَظِم على سرّ المصالحة علامةً حاسمةً لتمييز الدَّعوة إلى الكَهَنوت.

تشكّل السَّنة الطَّقسيَّة مدرسة الإيمان المستمرَّة في حياة الجماعة المسيحيّة، إذ إنَّها تضع إيقاعًا لأزمنة الجماعة المسيحيَّة ولأوقات حياتها العادِّيَّة، وترافق نضوج الدَّعوة عند المؤمنين.

يمكن مختلف المبادرات المتعلّقة بالصّلاة، وبخاصَّةٍ عبادة القربان المقدّس، إذا أُعِدَّت وطُبِّقَتْ بطريقةٍ معبِّرةٍ وبحسٍّ ليتورجيٍّ عميق، أنْ تُظهِرَ بشكلٍ جلِّيٍّ الأهميّة الفائقة للدَّعوة الكَهَنوتيّة في الكنيسة.

تتَّخِذُ شهادة المحبّة في الكنيسة تعبيرًا متعدّدَ الأشكال ومذهلًا. وإنَّه لَمِن الأساسيّ أنْ تُدْعَم هذه المبادرات الَّتي تحيا الالتزام، بمساراتٍ تنشئيَّةٍ محدَّدةٍ تحثُّ على المجّانيّة وعلى خدْمة ملكوت الله، وتنزعُ إلى تشبُّهٍ شخصيٍّ وجماعيٍّ بالمسيح.

إنَّ الشّباب يتأثرُون، أساسًا، بظروف النَّاس الأضعف والأفقر. وكثيرون منهم يُبدُون استعدادهم لخدْمة القريب ولمشاركته في أفراح الحياة ومتاعبها.

ويختار البعض منهم العملَ التطوُّعيّ الخيريّ من أجل خدمة المتألّمين، سواء أكانوا عجزة أم فقراء. ويلتزم البعض الآخر بتربية الشّباب بالتَّعليم المسيحيّ، والجمعيَّات الكاثوليكيَّة، والأنشطة التَّرفيهيّة. أضِف إلى هؤلاء، أولئك الَّذي يقدِّمون شهادةً قيِّمةً على تطوُّعهم الرَّسوليّ الَّذي يمكنه أنْ يقلب حياة الإنسان رأسًا على عقب، إذ تنفتح عيناه على الحاجات المادِّيّة والرّوحيّة، الخطيرة والمُلِحَّة، في البلدان النامية.

تبين الدَّعوات الَّتي تزدهر في إطار شهادة المحبّة المسيحيّة، صلبةً وصادقة، إذ نراها موجّهةً بعمقٍ نحو الخدْمة.

16. في الجماعات الكنسيّة، علينا أنْ نشجّع قيام حركة صلاة صادقةٍ، نسأل فيها الرَّبَّ دعواتٍ (كَهَنوتيَّة). في الواقع، "لا بدّ إذن من تعليمٍ متماسكٍ يوزَّع بطريقةٍ ملائمةٍ على جميع أبناء الكنيسة، فيبدِّد شكوكهم

[٢٨٠] المرجع نفسه.

ويتصدّى للأفكار المُنْحازة والمُنْحَرِفة في شأن الخدْمة الكَهَنوتيَّة، لا بل يفتح أيضًا قلوب المؤمنين لتَرَقُّب هذه العطيَّة، ويتيح ظروفًا مؤاتيةً لتفتُّح دعواتٍ جديدة".[٢٨١]

ينبغي لنا احتضان المبادرات الَّتي تعطي مِثالًا يُحتَذى به لجماعةٍ مُتَّحِدةٍ في الصّلاة من أجل الدَّعوات، وينبغي لنا تكثيفها أيضًا.

وبالتَّالي، يمكن المركز الأبرشيّ للدَّعوات أنْ يعرض وينظِّم مبادرة **الدَّير الخفيّ**، مبادرةً يلتزم فيها عددٌ كبيرٌ من الأشخاص بالصَّلاة المتواصلة، ليلًا ونهارًا، من أجل الدَّعوات الكَهَنوتيّة.

يشكِّل يوم **الخميس من أجل الدَّعوات** (*jeudi pour les vocations*) وقفةً تقليديّةً شهريّةً للصَّلاة الجماعيَّة من أجل الكهنة والدَّعوات الكَهَنوتيّة، هذه الصَّلاة الَّتي ترتكز على عبادة القربان.

أمّا **اليوم العالميّ للصَّلاة من أجل الدَّعوات واليوم من أجل الإكليريكيّة** (*la journée du Séminaire*)، فهما يشكّلان وقفتَين مميَّزتَين للصَّلاة وللتَّعليم المسيحيّ وللحديث عن الدَّعوات، في الجماعات المسيحيّة.

17. إنَّ خدْمة المذبح هي، غالبًا، باكورة أشكالٍ أخرى من الخِدْمة في الجماعة المسيحيّة. يمكن هذه الخبرة، إذا رُبِطَتْ، بحكمةٍ، بالتربية على الصَّلاة اللِّيتورجيّة وبسماع الكلمة وبالحياة الأسراريَّة، أن تُبنى وفقًا لِمَسارٍ حقيقيٍّ منفتحٍ على الدَّعوة الكَهَنوتيّة.

لذلك، تُولي راعويّة الدَّعوات الكَهَنوتيّة انتباهًا خاصًّا لخُدَّام القدّاس. إذ إنَّ عددًا كبيرًا من الكهنة والطُّلَّاب الإكليريكيّين كانوا منتسبين إلى مجموعاتِ خُدَّام المذبح وكانوا ملتزمين بخدْمة المذبح، قبل دخولهم الإكليريكيّة.

تؤدِّي الرِّياضات والتَّمارين الرُّوحيّة الخاصَّة بالدّعوة والَّتي تُنظَّم من أجل الشّباب، دورًا حاسمًا لأنَّها تُمَكِّنهم مِنْ أنْ يعيشوا خبرةً في الصَّمت والصَّلاة الطَّويلة وفي الحوار مع كلمة الله. ويمكن هذه الرِّياضات والتَّمارين أن تشكِّل أوقاتًا مميَّزةً للتَّفكير في مشروع الحياة باعتباره اكتشافًا لنداءٍ شخصيٍّ خاصٍّ بدعوةٍ معيَّنة.

كذلك، تساعد "الجماعات المَحَلِّيَّة المُهتَمَّة بالدَّعوات" («communautés vocationnelles résidentielles») الشّبابَ على اختيار دعوتهم وعلى تمييزها استعدادًا لدخول الإكليريكيّة. وتشكِّل هذه الجماعات شكلًا من أشكال "مرحلة ما قبل الإكليريكيّة" («pré-séminaire»)، وذلك عبر حضورٍ دائمٍ وثابتٍ

[٢٨١] أعطيكم رعاة، العدد ٣٨.

لكهنةٍ مُهيَّئين جيّدًا. وتعرض هذه الجماعات نهج حياةٍ تَتَخَلَّلُهُ أوقاتٌ للحياة الأخويَّة والدِّراسة الشَّخصيَّة، وللمشاركة في كلمة الله، وللصَّلاة الشَّخصيَّة والجماعيَّة، وللاحتفال الأفخارستيّ وللإرشاد الرُّوحيّ.

18. تقدّم الإكليريكيَّة الصغرى للمُراهقين إمكانيَّة المرافقة والتَّربية والتَّنشئة، لكي يُمَيِّزوا رغبتهم في أنْ يصبحوا كهنة. في المقابل، "من المحبَّذ أنْ تصير الإكليريكيَّة الصغرى، بفعل طبيعتها ورسالتها، نقطةً مرجعيَّةً صالحةً لراعويَّة الدَّعوة في الأبرشيّة، إذ تُقدِّم خِبْراتٍ ملائمةٍ تتعلَّق بتنشئة الأحداث الَّذين هم في بحثٍ عن معنى حياتهم وعن معنى دعوتهم، أو تنشئة أولئك الَّذين قرَّروا أن يسلكوا درب الكَهَنوت الخِدْميّ، ولكنَّهم لا يستطيعون البدء بسلوك طريق التَّنشئة".[٢٨٢]

19. إنّ همّ الدَّعوات الكَهَنوتيّة هو تحدٍّ دائم للكنيسة.

إنَّ **العمل الحَبْريّ من أجل الدَّعوات الكَهَنوتيّة**، لمناسبة الذِّكرى السَّبعين على تأسيسه، يقترح من أجل تشجيع كلّ الجماعات المسيحيّة، وبالأخصّ الأشخاص المُلتَزِمون فيها والَّذين يُعنَون براعويَّة الدَّعوات، (يقترح) هذه الوثيقة للكنائس الخاصَّة، كـ**خلاصةٍ** (*compendium*) لتشجيع الدَّعوات إلى الكَهَنوت الخِدْميّ.

إنَّ المكان المؤاتي أكثر من سواه للدَّعوة الكَهَنوتيّة هو جماعةٌ مسيحيّةٌ تسمع كلمة الله، وتصلِّي في اللِّيتورجيا وتشهد بالمحبّة. ففي هذا السِّياق، تُفهَم رسالة الكاهن ويُعترَف بها بديهيًّا أكثر فأكثر.

تريد هذه الوثيقة أنْ تدعم الجماعات الكنسيَّة والجمعيَّات والحركات في التزامها خدْمة الدَّعوات، وأنْ تُوَجِّه جهودها نحو راعويَّة الدَّعوات القادرة على أنْ تُنَضِّجَ كلَّ الخيارات الَّتي تؤول إلى بَذْل الذّات، والقادرة على أنْ تشجِّع خاصّة، استقبالَ نداء الرَّبِّ للخِدْمة الكَهَنوتيّة.

إنَّ الأب الأقدس، في المقابلة الَّتي خَصَّ بها عميد المجمع الموقّع أدناه، و افق على هذه الوثيقة وسَمَحَ له بنَشْرِها.

روما، في ٢٥ آذار ٢٠١٢، عيد بشارة الرَّبّ.

الكردينال زينون غروكولِفْسكي — العميد

جان-لويس بريغِز — أمين السِّرّ

[2] Congrégation pour les évêques, Directoire pour le ministère pastoral des évêques *Apostolorum successores*, 22 février 2004, n. 86.

فهرس الموضوعات

مقدَّمة

I- راعويَّة الدَّعوات إلى الخِدْمة الكَهَنوتيَّة في العالم

II- دعوة الكَهَنوت الخِدْميّ وهُوِيَّته

III- مقترحاتٌ من أجل راعويَّة الدَّعَوات الكَهَنوتيَّة

خاتمة

أخبار الإكليريكيّة

أيلول ٢٠٢١

- استقبلت المدرسة الإكليريكيّة، كعادتها في كلّ سنة، شبّانًا لأسبوع اختبار ابتداء من الإثنين ٣٠ آب حتّى الخميس ٣ أيلول. واستنادًا إلى التّمييز والاختبار، قرّرت إدارة الإكليريكيّة قَبول بعض الأشخاص المُؤهَّلين للدعوة الكَهَنوتيّة الذين بدؤوا مسيرتهم، في التّنشئة، في السّنة الإعداديّة نهار الإثنين في الثالث عشر من أيلول ليلة عيد الصليب المقدَّس.

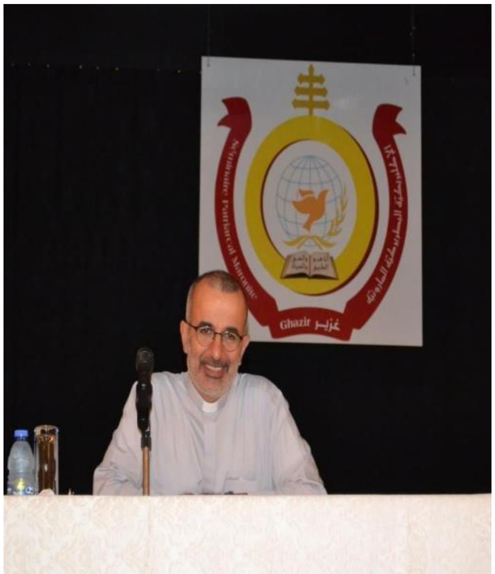

- بعد عطلة الصيف الناشطة رعويًّا ورسوليًّا، عاد الطلّاب الإكليريكيّون إلى المدرسة الإكليريكيّة صباح **الأربعاء ٢٩ أيلول**. في اللّقاء العام، شكر الأب الرئيس المونسنيور جورج أبي سعد لله هذه السّنةَ المباركة التي أخذنا شعارًا لها "**نرجو حيث لا رجاء**" (رو ٤: ١٨)، ورحّب بالخوري بيّار جبّور قيّم الإكليريكيّة والخوري جوزيف دريان منشئ سنتَي اللّاهوت اللّذين انضمّا إلى هيئة إدارة الإكليريكيّة، وكذلك رحّب كلّ التّرحيب بالطلّاب الإكليريكيّين بخاصّة الجدد منهم. تخلّل اللّقاء موضوعًا روحيًّا لشعار السّنة أطلقنا فيه العام الجديد، ومن ثمّ ذكّر الأب الرئيس بالتوجيهات العامّة بما يخصّ حياتنا الجماعية، ووُزّعَ الطلّاب على مختلف اللّجان للخدمة.

تشرين الأوّل ٢٠٢١

- **نهار الإثنين في الرابع من تشرين الأوّل**، أُستؤنفت الدّروس اللّاهوتيّة والفلسفيّة في جامعة الروح القدس الحبريّة-كسليك، وفي النّهار ذاته، بدأت تنشئة السّنة الرعائيّة.

- **في الحادي عشر من شهر تشرين الأول** وتلبية لدعوة مجلس الإدارة في الإكليريكية البطريركيّة المارونيّة، غزير، التقت العائلة الإكليريكيّة بعائلة الطالب بول حرب في قداس لراحة نفسه.

- **يوم الإثنين في الخامس والعشرين من تشرين الأول،** احتفلت الإكليريكيّة بسيامة ستة عشر مرتّلًا جديدًا على مذابح الأبرشيّات المارونيّة في لبنان. احتفل بالسيامة المشرف على الإكليريكيّة صاحب السيادة المطران بيتر كرم السامي الاحترام وعاونه الأب الرئيس المونسنيور جورج أبي سعد عرّاب المرتلين الجدد، والخوري جان بول شربل نائب الرّئيس، والكهنة المنشئون والمرشد العام في الإكليريكية.

<u>تشرين الثاني ٢٠٢١</u>

- **يوم السبت في السادس من شهر تشرين الثاني،** نظّمت الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة نزهة في الطبيعة لطلّابها، حيث استكشف فوج السنة الثالثة لاهوت غابة شجر العزر في إهمج برفقة الأب الرئيس، واستكشف فوجا السنة الأولى والثانية لاهوت طريق القمر في بكركي برفقة الخوري بيار جبور والخوري جوزيف دريان، واستكشف فوجا الفلسفة محميّة جبل موسى برفقة الخوري جان بول شربل، وفوج السنة الإعداديّة بحيرة شوّان برفقة الخوري بولس مطر.

- **مساء الإثنين في التاسع من شهر تشرين الثاني،** استقبلت الإكليريكيّة الكهنة الجدد الذين سيموا كهنة في صيف ٢٠٢١ وشارك الجميع في الصلاة في القدّاس الإلهيّ في كنيسة مار يوسف. وبعد الذبيحة الإلهيّة شارك الجميع أيضًا في العشاء، ورحَّب الأب الرئيس بالكهنة الجدد مباركًا ومعربًا لهم عن أحرّ أمنياته.

- **نهار السبت في العشرين من شهر تشرين الثاني،** احتفلت الإكليريكية البطريركية المارونية بعيد الاستقلال بمحاضرة بعنوان "الحياد الآتي" ألقاها الوزير السابق سجعان القزي وهذه المحاضرة من تنظيم اللجنة الرياضية.

- **الثلاثاء في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني**، بدعوة من إدارة الإكليريكيّة، التقى سيادة المطران جوزيف نفاع السامي الاحترام الطلاب الإكليريكيين وكلّمهم عن كتابه الجديد **"الكتاب المقدس، من البشارة إلى النصّ"** شارحًا وملخّصًا مضمونه.

- احتفلت الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة يوم **الإثنين في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني** بسيامة خمسة عشر قارئًا جديدًا على مذابح الأبرشيّات المارونيّة في لبنان. احتفل بالسيامة المشرف على الإكليريكيّة صاحب السيادة المطران بيتر كرم السامي الإحترام، وعاونه الأب الرئيس المونسنيور جورج أبي سعد عرّاب القرّاء الجدد، والخوري جوزيف دريان، والكهنة المنشئون والمرشد في الإكليريكية .

كانون الأوّل ٢٠٢١

- **في الأول من كانون الأول**، قام طلّاب السنة الرعائية بزيارة لكاريتاس سن الفيل مع منشئ السنة الخوري شوقي كرم، وتعرّفوا والمرشد العام لكاريتاس الأب شارل صوايا إلى رسالة كاريتاس ومهامها وكيفية العمل والتواصل معها.

- احتفلت الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة نهار الأحد **في الخامس من كانون الأول** بسيامة عشرة شدايقة جدد على مذابح الأبرشيّات المارونيّة في لبنان. ترأس السيامة سيادة المطران بيتر كرم المشرف البطريركي السامي الاحترام، وعاونه الأب الرئيس المونسنيور جورج أبي سعد عرّاب الشدايقة الجدد، والخوري جان بول شربل نائب الرّئيس، في حضور سيادة المطران أنطوان نبيل العنداري راعي النيابة البطريركية المارونية منطقة جونية وسيادة المطران سمعان عطاالله راعي أبرشية بعلبك- دير الأحمر سابقًا والكهنة المنشئين والمرشد العام في الإكليريكية.

والشدايقة الجدد هم : ماريو غصوب، جان الصائغ، ، شادي شطا، جوزيف عقيقي، مايكل حداد ، جوني إسطفان، مارك رحمة، شربل فخري، ريكاردو مسعد، كارلوس شاهين.

- تلبية لدعوة مجلس إدارة الإكليريكية التقى سيادة المطران منير خيرالله السامي الاحترام الطلاب الإكليريكيين **يوم الأربعاء في الثامن من شهر كانون الأول** وكلمهم بمسيرة تحضير السينودس الذي دعا إليه البابا فرنسيس بعنوان : "من أجل كنيسة سينودوسية : شركة، مشاركة، رسالة".

- زار غبطة البطريرك الكردينال مار بشارة بطرس الراعي مساء يوم **الاثنين في الثالث عشر من كانون الاول**، الاكليريكية البطريركية المارونية في غزير يرافقه المشرف عليها سيادة النائب البطريركي المطران بيتر كرم، وكان في استقباله رئيس الاكليريكية المونسنيور جورج ابي سعد والآباء الاداريّون والمرشدون والمنشئون والشمامسة والشدايقة والراهبات والطلاب الإكليريكيين. وفي كنيسة مار يوسف، ألقى المونسنيور أبي سعد كلمة ترحيبية باسم العائلة الاكليريكية شكر فيها لغبطته أبوّته لهذه العائلة ورعايته الدائمة وإصراره على استمرار التنشئة والتعليم والاهتمام بالطلاب الاكليريكيين بالرغم من كل الاعباء المادية والمعنوية". وأضاف: "نشكر لغبطتك ايضًا تشكيلك لنا ولكل اللبنانيين علامة رجاء في الكنيسة والوطن، وقد اتخذنا موضوع للتنشئة هذا العام، من وحي كلام مار بولس على ابراهيم: "آمن على عكس كلّ رجاء"، ورحنا نتعمّق في الرجاء حيث لا رجاء. فغبطتكم مَن يعطينا اليوم الرجاء على عكس كل رجاء لكي نتمسّك بإيماننا بهذا الوطن وبرسالته، ولكي نتشبّث برسالتنا ككهنة الغد في كنيسة الرب ".

ثم ترأس غبطة البطريرك الذبيحة الإلهية وألقى عظة بعنوان: "صعد يسوع في الخفاء لا في العلن"، وممّا جاء فيها:

-فضيلة التواضع هي الوسيلة والطريق إلى ممارسة وصية المحبة الجديدة؛ لأن المتواضع يبحث عن منفعة الآخرين .

-مَثَلُنا الأول في التواضع هو المسيح الذي أخلى ذاته فتجسّد وغسل أرجل تلاميذه ومات على الصليب .

-يضع بولس التواضع في قائمة ثمار الروح إلى جانب الإيمان. فالمتواضع يؤمن، والمؤمن يتواضع .

بعد العشاء، عرض الطلاب الإكليريكيون عملًا مسرحيًا وفنيًا من إعدادهم ومن وَحْيِ الأزمات التي نعيشها في وطننا. اختُتِم اللقاء بمزيجٍ من الأغاني الميلادية التي تذكرنا بأنّ رجاءَنا الوحيد هو المسيح المتجسد.

- مشاركة الإكليريكية البطريركية المارونية في غزير، إدارةً وطلابًا، في اليوم الأول من تساعية الميلاد مساء **الأربعاء في الخامس عشر من شهر كانون الأول** لصاحب الغبطة البطريرك مار بشارة بطرس الراعي الكليّ الطوبى والسادة الأساقفة وإنارة مغارة الصرح البطريركي في بكركي.

كانون الثاني ٢٠٢٢

- أقامت الإكليريكية البطريركية اللقاء الأول لتمييز الدَّعوات يوم **الأحد في السادس عشر من شهر كانون الثاني**، وشارك فيه نحو ٢٧ شابًا من أبرشيات مختلفة. تخلل اللقاء كلمة للخوري جان-بول شربل بعنوان: "الدعوة في الكتاب المقدس"، ثمّ قداس ترأسه الخوري بولس مطر مرافق السنة الإعدادية، تلته مشاركة وختام .

- دورة تنشئة كَهَنوتيّة **يومي الإثنين والثلاثاء في الرابع والعشرين والخامس والعشرين من شهر كانون الثاني** لمجلس الإدارة والآباء المرشدين مع الأب الدكتور ميشال خوري ر.أ.م. في الإكليريكية البطريركية المارونية في غزير بعنوان: **"دور المنشئ والطروحات الفعّالة للتنشئة"**.

شباط ٢٠٢٢

- استقبلت الإكليريكيّة الكبرى **ليلة السبت في الخامس من شهر شباط** طلاب السنة الإعدادية في الإكليريكيّة البطريركيّة المارونية، فوج البابا القديس يوحنّا الثالث والعشرين، بقدّاس إلهيّ ترأسه سيادة المطران بيتر كرم، المشرف على الإكليريكيّة يعاونه الأب الرئيس المونسنيور جورج أبي سعد والخوري بولس مطر منشئ السنة الإعدادية والكهنة المنشئون.

استُهلّ الحفل بالنشيد الوطني اللبناني تلته كلمة للشدياق كارلوس شاهين منسّق اللجنة الفنيّة في الإكليريكية. فمسرحيّة لطلاب اللجنة عن حياة الإكليريكي اليوميّة، فلعبة تعارف للطلّاب الجدد .

وفي الختام، ألقى سيادة المطران كلمة رحّب فيها بطلّاب السنة الإعدادية مثنيًا على مواهبهم. وتم توزيع هدايا تَذْكارية مع موسوعة كتب من إصدارات الإكليريكيّة على طلاب السنة الإعداديّة.

- أقامت الإكليريكية البطريركية اللقاء الثاني لتمييز الدَّعوات **يوم الأحد في الثالث عشر من شهر شباط**، وشارك فيه ٢١ شابًا من مختلف الأبرشيات في لبنان. تخلل اللقاء كلمة للخوري شوقي كرم بعنوان: "الدعوة المسيحيّة". تلاها قداس ترأسه حضرة المونسنيور جورج أبي سعد رئيس الإكليريكيّة. واختُتم النهار بمشاركة الخوري بولس مطر، المسؤول عن لقاءات تعرّف الدعوة.

<u>آذار٢٠٢٢</u>

- أقامت الإكليريكية البطريركية اللقاء الثالث لتعرّف الدعوة، **يوم الأحد في الثالث عشر من شهر آذار**، وشارك فيه ٢٧ شابًا من مختلف الأبرشيات في لبنان. تخلل اللقاء كلمة للخوري جوزيف دريان بعنوان: "الدعوة الكَهَنوتيّة "، تلاها قداس. اختُتم النهار، بمشاركة الخوري بولس مطر.

- **يوم الأربعاء في الثالث والعشرين من شهر آذار**، زار طلاب السنة الرعائية المجمع البطريركي الماروني في زوق مصبح . استُهِلَّت الزيارة بلقاء المسؤولة عن المركز الماروني للتوثيق والأبحاث الأستاذة نيلي فيّاض، وقد أطلعتنا بمشاركة الأستاذ إسكندر شديد على رسالة ودور المركز في الكنيسة المارونية . ومن ثم التقينا بسيادة المطران حنّا علوان السامي الاحترام المشرف على المحكمة الابتدائية الموحدة المارونية فحدّثنا عن كيفية عمل المحاكم المارونيّة. ومن ثم رافقنا في جولة على المحكمة ومكاتب مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان واللجنة البطريركية للشؤون الطقسية.

- نظّمت اللجنة الثقافيّة في الإكليريكية البطريركيّة المارونية غزير لقاءً ثقافيًّا نهار **الجمعة في الخامس والعشرين من شهر آذار** في موضوع "الكنيسة والسياسة"، بإشراف المرشد الثقافي الخوري شوقي كرم. وأُفْتُتِح اللقاء بكلمة منسّق اللجنة الشدياق شادي شطا تناول فيها أهميّة تبنّي تعليم الكنيسة في السياسة وضرورة نقله إلى المؤمنين. ثم تناوب ممثّلو السنوات على عرض ما خلص إليه بحث رفاقهم في الإكليريكية في المواضيع المُوَزّعة عليهم. وفي نهاية المداخلات الطلابيّة، قام الأب البروفيسور جورج حبيقة بتهنئة الباحثين وتشجيعهم على عملهم، مقدّمًا الثوابت والحيثيات لعمل الكنيسة المارونيّة في السياسة. وخُتِمَ اللقاء الثقافي بكلمة رئيس الإكليريكية المونسنيور جورج أبي سعد شكر فيها كلّ مَن نظّم وشارك في إحياء هذا اللقاء الثقافيّ، وتوّجه بشكر خاص إلى الأب البروفيسور جورج حبيقة لحضوره وسلّمه باسم الإدارة والطلاب أيقونة مار مارون.

- التقت إدارة وطلاب الإكليريكية البطريركية المارونيّة **نهار الإثنين في الثامن والعشرين من شهر آذار** في مسرح الإكليريكيّة لإحياء مؤتمرهم السُّريانيّ الثالث، بعنوان "مقاربة لاهوت يعقوب السروجي انطلاقًا من ميامر الصلب ١٥، ١٧، ١٨ في كتاب ١٦٠ ميمر غير منشور ليعقوب السرّوجي"، وبحضور المشرف على الإكليريكية المطران بيتر كرم، وضيف الشرف الأخت ماري تيريز إيليّا من الرهبنة الباسيليّة الشويريّة.

افتتح الخوري دانيال زغيب المؤتمر بكلمة عن ارتباط هذا المؤتمر بما سبقه من مؤتمرات وأهميته في مسيرة التنشئة الكَهَنوتيّة، وعن آلية العمل على تحضيره وتنفيذه من المجموعات الثلاث من الإكليريكيين. بعدها، عرض الطالبان روجيه باخوس وطوني موسى آلية تعريب هذه الميامر وصعوبات التعريب وبعض المفاتيح في الميامر ١٥، ١٧، ١٨ من تكرار وغيره .ومن ثم عرض الطالبان كاميليو مخايل وروي زيدان البعد الكريستولوجي في الميامر المذكورة قبل أن يعرض الطالب بطرس واصاف البعد الإيكلزيولوجيّ فيها. وبعد فترة استراحة، أعطت الأخت ماري تيريز إيليّا مداخلة بقسمين:

القسم الأول: آلية عملانيّة من أجل تعريب ميامر أو نصوص سُرْيانية مطبوعة أو مخطوطة.

القسم الثاني: شرح الميمر ١٧٩ ليعقوب السروجيّ الذي يتحدّث عن الموت والشيطان.

وفي ختام المؤتمر، شكر المطران بيتر كرم للخوري بيار جبّور والكهنة أساتذة اللغة السّرْيانيّة تحضيرهم وتنظيمهم لهذا المؤتمر، وأثنى على جديّة الطلاب المحاضرين وحثّهم على المثابرة على نبش كنوز هذا الإرث السُّرْيانيّ وسبر أغواره .

نيسان ٢٠٢٢

- زيارة غبطة أبينا البطريرك مار بشارة بطرس الراعي الكليّ الطوبى للإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة في غزير كانت **يوم الثلاثاء في السادس من شهر نيسان**.

استهلّ غبطته الزيارة باجتماع بمجلس إدارة الإكليريكيّة. ومن ثم، احتفل غبطته بالذبيحة الإلهيّة مع الطلاب الإكليريكيّين. تلى القدّاس عشاء ومحاورة صادقة بين غبطته والطلاب تناولت مختلف القضايا الكنسيّة والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

- احتفلت الإكليريكيّة **ليلة السبت في التاسع والعشرين من شهر نيسان** بعيد العمال: استُهِلَّ العيد بالذبيحة الإلهية على نيّة العمّال في الأكليريكية، وقد ترأسها المطران المشرف بيتر كرم وعاونه الأب الرئيس جورج أبي سعد والقيّم الخوري بيار جبور. وتبعه عشاء تخلّله بعض الأعمال الفنيّة والترفيهية من تحضير الطلّاب تكريمًا للعمال. وختم اللقاء بكلمة لسيادة المطران بيتر كرم شكر للعمال جهودَهم وللطلّاب تنظيمَهم لهذا العيد.

أيّار ٢٠٢٢

- زار طلاب السنة الرعائية يرافقهم الأب الرئيس المونسنيور جورج أبي سعد والخوري شوقي كرم **يوم الثلاثاء في العاشر من شهر أيّار** غبطة أبينا السيد البطريرك مار بشارة بطرس الراعيّ الكليّ الطوبى. وقد شكر الآباء والطلاب لغبطته رعايته لهم في هذه السنة الرعائية .وتمنى غبطته على الطلاب أن يحافظوا على تجهّزهم الدائم للإصغاء إلى صوت الله والعمل بمشيئته.